AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العالم يتضامن مع فلسطين

الهدف - فلسطين - العدد 77 (1551) - نوفمبر / تشرين ثاني 2025

الافتتاحية

فلسطين
بين التضامن العالمي والنفاق في مجلس الأمن

تواصلت الجهود الدولية والإقليمية والعربية وتكثفت في الشهرين الأخيرين إلى أن تم الاتفاق على وقف إطلاق النار في قطاع غزة بموجب ما جاءت به خطة الرئيس الأمريكي ترامب بنقاطها العشرين. وما أتى عليه قرار مجلس الأمن الدولي رقم (2803) بالموافقة على مضامين هذه الخطة بتعديلات طفيفة لا تغير في المحتوى الذي يتقاطع مع الرؤية الصهيونية، وينال من حق الشعب الفلسطيني ونضاله العادل والمشروع في الدفاع عن نفسه واسترداد حقوقه الوطنية.

إلا أن الحرب والعدوان لم يتوقف رغم هذا الاتفاق فالقصف والتدمير والقتل والاعتقال والحصار والاحتلال لا زال قائماً في قطاع غزة، وأبعد من ذلك يستمر العدوان والاجتياحات والاغتيالات والاستيطان في الضفة الغربية، سيما مدن ومخيمات الشمال وليس آخرها مدينة طوباس ومخيم الفارعة، وكما تستمر الاستفزازات ومحاولات التهويد للمقدسات الفلسطينية، وخاصة القدس والمسجد الأقصى وما حوله، وأيضاً في الخليل والحرم الإبراهيمي.

مخاطر حقيقية تتهدد الوجود الفلسطيني، الإنسان والحضارة والهوية والكيانية الفلسطينية والتاريخ والجغرافيا الفلسطينية الموحدة، وكل ذلك ضمن خطة صهيونية واضحة عنوانها حسم الصراع ونفي أي وجود قومي وأية تعبيرات قومية للفلسطينيين على أرض فلسطين بمعنى وحسب الادعاء الصهيوني لا تتسع هذه الأرض أو ما يسمونه بـ»الدولة اليهودية» لوجود شعبين أو قوميتين متناقضتين، وعلى الفلسطينيين أن يرحلوا، مخطط التهجير والتطهير العرقي لا يزال له الأولوية في المخططات والأهداف الصهيونية.

ويزداد التمسك بهذه الأهداف في العام الانتخابي «الإسرائيلي» 2026، ويتصاعد العدوان بأشكاله الوحشية المختلفة ضد الشعب الفلسطيني في الداخل وخاصة في قطاع غزة والضفة الغربية والقدس، وفي الخارج سيما لبنان والاعتداء على مخيم عين الحلوة، وأيضاً التهديدات للمخيمات الفلسطينية في سوريا، وكل ذلك يتم بدعم أمريكي مطلق وبلا حدود، وفي ظل عجز وتواطؤ معظم الدول العربية والإسلامية وبؤس القيادة الرسمية الفلسطينية ومواقفها التي تجلّت في مباركة وتأييد قرار مجلس الأمن، والانصياع للضغوط والتهديدات الصهيو- أمريكية.

إن ما حققته العملية الفدائية البطولية «طوفان الأقصى» في السابع من أكتوبر يتميز بأبعاد ومعاني تاريخية وإنجازات وطنية استراتيجية رغم حجم التضحيات والدمار والنزوح والحصار والتجويع والإبادة الجماعية. وإذ يحتفي العالم كله باليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني لابد من الإشارة إلى التغير النوعي في حجم التأييد العالمي للحق الفلسطيني، وانتصار سردية الحق والعدالة والرواية الفلسطينية، واقتحامها لكل عواصم وجامعات وبرلمانات وموانئ العالم، وباتت فلسطين "Viva Palestine" رمزاً وعنواناً لكل الشعوب والحركات التقدمية والديمقراطية وقوى الحرية والسلام في العالم.

وغدا الكيان الصهيوني والحركة الصهيونية رمزاً للوحشية والفاشية والعنصرية وعنواناً للقتل والإجرام في العالم بأسره، وهكذا سقطت الرواية التاريخية الصهيونية والتلمودية وتم سحقها وتحول الكيان الصهيوني إلى كيان مطارد وملاحق ومعزول.

تسعى الإدارة الأمريكية وفائض «القوة الإسرائيلية» لتحقيق الأهداف التي عجزوا عن تحقيقها بالحرب والعدوان، وخاصة على جبهات فلسطين ولبنان وسوريا بوسائل الضغط والابتزاز السياسي والاقتصادي والإرهاب العسكري والأمني.

إلا أن ثبات وصمود المقاومة في فلسطين ولبنان والمنطقة، ومشاهد الأبطال السوريين في تصديهم للتوغلات الصهيونية في الجنوب السوري ومؤخراً في بيت جن، سيقطع الطريق على مخططات العدو وسيسقط أهدافه.

لقد أعلنت المقاومة موقفها برفض الوصاية الدولية على قطاع غزة، وأي محاولة لفصل قطاع غزة عن الضفة وأي محاولة لاختراع بدائل تمثيلية للشعب الفلسطيني سواء كانت محلية أو دولية أو غير ذلك.

إن أي قوة دولية في غزة لها مهمة واحدة هي مراقبة وتثبيت وقف إطلاق النار، وأي هيئة دولية مشرفة «مجلس السلام» دورها يتعلق بجمع الأموال وإعادة الإعمار وإلزام الكيان الصهيوني بالانسحاب من قطاع غزة وإدخال المساعدات بكل أشكالها وما تتطلبه مقومات الحياة وإعادة الإعمار، وأما المقاومة وحقها بالدفاع عن النفس وإنهاء الاحتلال فهو حق مشروع كفلته كل القوانين والشرائع.

ويبقى الواجب الذي تفرضه الضرورة والمبادئ والقيم؛ وهو وحدة المقاومين الفلسطينيين والعرب وخاصة في فلسطين وجبهات التماس وساحات الاستهداف.

كل الحقيقة للجماهير

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسـان كنفـاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منـير الرفـاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي
أيمن الحسن

الإدارة
حسن شتيوي

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف
يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينيـة عربيـة ديمقراطيـة بهويـة يساريـة
العدد رقم (77) - (1551) - تشرين الثاني (نوفمبر) 2025

الافتتاحية

- فلسطين بين التضامن العالمي والنفاق في مجلس الأمن — 1

شؤون فلسطينية

- النصر والهزيمة في غزة — أحمد عويدات — 6
- على درب عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم — د. سامي الشيخ محمّد — 8
- التحديات التي تواجه استحقاقات السابع من اكتوبر 2023 — بسام عليان — 10
- أهمية التضامن مع الشعب الفلسطيني في تعزيز سردية الحقيقة — رضي الموسوي — 11
- في الهدف: الخيمة 77 — 13

ملف العدد: المؤتمر القومي العربي الـ 34

- افتتاحية الملف — 14
- خبر: الدورة 34 للمؤتمر القومي العربي تنهي أعمالها بانتخاب د. ماهر الطاهر أميناً عاماً — 15
- نائب الأمين العام للجبهة الشعبية في افتتاح الدورة 34 للمؤتمر القومي العربي في بيروت — 15
- حوار الملف: مع د. ماهر الطاهر الأمين العام للمؤتمر القومي العربي — حوار: لمى الشطلي — 17
- على هامش المؤتمر القومي العربي في بيروت.. الهدف تلتقي بعدد من الشخصيات الفاعلة — حوار محمد أبو شريفة — 23

شؤون عربية

- جغرافيا المتغيرات: دمشق تعيد ترتيب أولوياتها في لحظة دولية فارقة — عزيز موسى — 28
- أين مشروع اليسار العربي؟ — د. عبد الحسين شعبان — 30

شؤون دولية

- قرار مجلس الأمن ٢٨٠٣ هو تشريع دولي لصفقة القرن — حاتم إستانبولي — 33
- الإبادة والتطهير العرقي في فلسطين: الفاشية لم تندحر بعد — وسام رفيدي — 35
- نصف قرن على القرار الأممي: الصهيونية مساوية للعنصرية !.. — محمد صوان — 36
- الثالوث النازي: قانون معاداة الفلسطينية — مروة محمد — 38
- يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني — د. حمزة البشتاوي — 39
- وعد بلفور جديد على الطريقة الترامبية — نعيم إبراهيم — 40
- التصعيد العدواني الأمريكي على فنزويلا قراءة سياقية للواقع والأهداف — د. محمد عبد القادر — 42

شؤون العدو

- بعد عامين من العدوان الإسرائيلي على غزة ماذا عن فشل إسرائيل وعزلتها؟! — إبراهيم أبو ليل — 44
- الكيان الصهيوني بعد طوفان الأقصى — حسين موسى — 46
- قتل مُنظّم: داخل غرف الظل الإسرائيلية وإمبراطورية مصاصي الدماء — نبال عمر — 47
- الفاسد.. محاكمات نتنياهو والتداعيات — أكرم عطاالله — 49
- تحولات الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي — د. محمد عياش — 50

- **ترجمات الهدف:** بلا ختم مغادرة بلا وجهة واضحة: هل تُستَخدم شركات وهمية لـ«تطهير» غزة؟ — ترجمة: نور نوارة — 52
- **ترند الهدف:** طفولةٌ فرحٍ فلسطيني.. ترعب أوداج المكر الاسرائيلي — ديمة داوودي — 54

شؤون ثقافية

- حوار الهدف الثقافي: مع المبدع الفلسطيني حسين عبد الله المناصرة — حوار: باسمة حامد — 55
- لقاء مع الأديب والشاعر أيمن العتوم — وفاء حميد — 59
- تاريخ ودينامية وأثر الاتحادات ورابطات ومجمعات الكتاب العرب — أحمد طنيش — 61
- تمثّلات وعد بلفور في الأدب العربي — د. ثائر يوسف عودة — 63
- ما وراء الحكاية: الذاكرة الثقافية في مواجهة النسيان — تماضر سعيد عودة — 65
- قيس الزبيدي: عراقي.. فلسطيني الهوى — أميمة عباس — 66
- السينما الفلسطينية في عصر طوفان الأقصى... — موسى سعيد مراغة — 69
- مضافة أبو خليل — د. محمد أبو ناموس — 71
- الراحل زياد أبو خوله شاعراً وصحفياً — بسام سفر — 72
- إسكندر حبش.. هل كان الشعر وصيته الأخيرة بحثاً عن وطن القصيدة الأخير — أحمد علي هلال — 74
- أول قسم لرفاقها.. شادية أبو غزالة — فراس عبدو — 75
- البدء هنا كان — راسم الحديثي — 76
- التقاء الساكنين — ركان حسين — 77
- شعر: أقحوانة لفلسطين.. أرجوحة لغزة — محمود علي السعيد — 78
- أخبار ثقافية: نشاطات أكاديمية دار الثقافة في بيروت ودمشق — 79

مكتب إعلام الأسرى:
الأسير القائد الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
أحمد سعدات
تعرض لاعتداءات جسدية ونفسية متكررة داخل عزل «جانوت»

أفاد مكتب إعلام الأسرى بأن الأسير القائد الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدات تعرض لاعتداءات جسدية ونفسية متكررة داخل عزل «جانوت» حيث نُقل إليه مؤخرا قادما من عزل «مجدو».

وبحسب مكتب إعلام الأسرى فإن القائد سعدات 72 عاماً، قد تعرض فور وصوله للضرب الوحشي على يد وحدات القمع الصهيونية.

وبحسب شهادات موثقة، فقد عانى القائد سعدات في عزل «مجدو» من اقتحامات متكررة لزنزانته وتفتيشات مهينة وتراجع كبير في وضعه الصحي وهبوط واضح في وزنه إلى جانب تعرضه لاعتداء جسدي مباشر عدة مرات ضمن سياسة انتقامية تستهدف رمزيته ومكانته.

كما وثقت عائلته، أن سعدات أُصيب سابقا بمرض جلدي (سكابيوس) وخضع لظروف تنكيل قاسية حيث تم الاعتداء عليه في شهر مارس الماضي أثناء نقله من «ريمون» إلى «مجدو» واحتُجز في ساحة السجن لساعات مع تقييده وتغطية رأسه.

وأكد مكتب إعلام الأسرى أ، ما يتعرض له القائد سعدات هو جريمة متكاملة الأركان وانتهاك صارخ للقانون الدولي الإنساني واتفاقيات جنيف ويعكس نية الاحتلال الواضحة في تصفية رموز الحركة الوطنية داخل السجون ببطء وتحت غطاء رسمي.

وحمل المكتب إدارة سجون الاحتلال المسؤولية الكاملة عن حياته وسلامته وندعو الصليب الأحمر والمؤسسات الحقوقية الدولية للتدخل الفوري من أجل وقف هذه الانتهاكات وإنهاء عزله والإفراج عنه.

السبت 22 نوفمبر 2025

موجة تضامن
محليّة وعربية واسعة تطالب بالإفراج الفوري عن
إبراهيم شريف

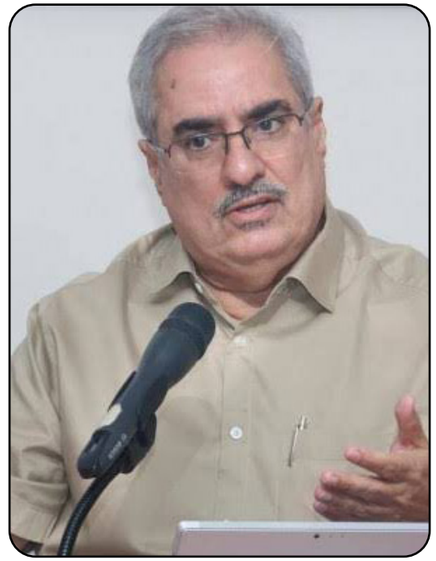

شهدت الساحة العربية موجة واسعة من الإدانات والمطالبات بإطلاق سراح القيادي البحريني إبراهيم شريف، عقب توقيفه على خلفية تصريحاته الداعمة للقضية الفلسطينية ومناهضته للتطبيع، في أعقاب مشاركته في المؤتمر القومي العربي ببيروت. وتقاطعت بيانات من منظمات عربية وخليجية وبحرينية في التأكيد على أن اعتقاله يمثل استهدافًا لحرية الرأي وللمواقف القومية الداعمة لفلسطين.

المؤتمر القومي العربي: «مئات الشخصيات تستنكر... وشريف رمز وطني وقومي»

في أول رد فعل على الاعتقال، دعا المؤتمر القومي العربي إلى الإفراج الفوري عن شريف، مؤكدًا أن توقيفه «يدحضه أداء المشاركين» في المؤتمر الذين ركزوا بالكامل على دعم فلسطين ولم يتعرضوا لشؤون أي دولة عربية. وأشار إلى أن مئات الشخصيات تعتبر اعتقاله استهدافًا لرمز وطني وقومي.

رئيس المنتدى العربي: ما قاله إبراهيم ينسجم مع السياق العربي وحتى الرسمي

قال محمد البشير، رئيس المنتدى العربي وعضو الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، إن اعتقال شريف لا يستقيم مع ما يتعرض له شعبنا الفلسطيني، مؤكدًا أن تصريحاته «تنسجم مع السياق العام حتى للنظام الرسمي العربي». وانتقد «المفارقة الفظيعة» التي تجعل الأنظمة العربية «تلاحق الأحرار العرب بدل اتخاذ موقف واحد تجاه العدو الذي يريد بناء إسرائيل الكبرى».

الجبهة الوطنية الشعبية الأردنية: ندعو لأوسع حملة تضامن»

في بيان صادر عن اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الشعبية الأردنية، أكدت أن تصريحات شريف «تنطلق من واجب كل مناضل عربي في الدفاع عن فلسطين»، وطالبت بـ»الإفراج الفوري عن المناضل الكبير»، داعية إلى «أوسع حملة تضامن لينال الحرية التي يستحقها».

المرصد المغربي لمناهضة التطبيع: استهداف للأصوات العربية الحرة

عبّر المرصد المغربي لمناهضة التطبيع عن استغرابه وإدانته الشديدة للاعتقال، معتبراً أنه يمس بحرية الرأي والموقف الوطني ويستهدف الأصوات الرافضة للتطبيع والارتهان للمشروع الصهيوني. وطالب المرصد بالإفراج العاجل عن شريف، مؤكداً دعمه لمواقفه الوحدوية والمبدئية.

منظمة أمة عربية واحدة: التوقيف يحمل دوافع سياسية واضحة

أدانت منظمة أمة عربية واحدة اعتقال شريف فور عودته من المؤتمر، معتبرة أن التوقيف يعكس «دوافع سياسية واضحة»، وأن مواقفه تمثل موقفًا عربيًا مشروعًا يتوافق مع المبادئ الإنسانية والمواثيق الدولية. وطالبت المنظمة بالإفراج الفوري عنه ووقف الملاحقات.

أكاديمية دار الثقافة: استهداف للمعرفة والخبرة الوطنية

أكّدت أكاديمية دار الثقافة أن اعتقال شريف يمثّل تصعيدًا خطيرًا ضد حرية الرأي واستهدافًا لـ»عقل اقتصادي إصلاحي دفع ثمن استقلاليته أكثر من مرة». وشددت على أن تحويل رأي اقتصادي أو موقف قومي إلى ملف أمني يكشف عمق الانغلاق الذي تعيشه البحرين، وطالبت بإطلاق سراحه فورًا.

الشبكة الديمقراطية المغربية للتضامن مع الشعوب: اعتداء على مناضل ضد الاستبداد والتطبيع

وصفت الشبكة الديمقراطية المغربية الاعتقال بأنه موجه ضد مناضل وقف ضد الاستبداد والتطبيع، مؤكدة تضامنها المطلق مع شريف ومطالبتها بالإفراج عنه دون قيد أو شرط، ووجهت تحية لنضال الشعب البحريني وقواه الديمقراطية.

الحركة التقدمية الكويتية: اعتقاله بسبب مناهضته للتطبيع

قال أمينها العام أسامة العبدالرحيم إن توقيف شريف تكرر أكثر من مرة، مؤكداً أن السبب يعود إلى مواقفه المناهضة للتطبيع والداعمة لفلسطين، ومطالبًا بالإفراج عنه.

الجمعيات السياسية البحرينية: احتجاز قضايا الرأي لا ينسجم مع الدستور

ودعت الجمعيات السياسية الأربع (القومي، الإسلامي، التقدمي، الوحدوي) إلى إخلاء سبيل شريف، مؤكدة أن احتجاز أصحاب الرأي لا ينسجم مع المبادئ الدستورية ولا مع ضمانات حق اللجوء للقضاء، وأن احترام التعددية السياسية أساس لاستقرار الوطن.

جمعية الوفاق: البلاد تُدار بروح أمنية والتهم كيدية

اعتبرت جمعية «الوفاق» أن التهم الموجهة لشريف «ساقطة وكيدية»، مشيرة إلى أن البحرين تضيق بالرأي وتعيش أزمة سياسية وحقوقية متفاقمة. وقالت إن تحويل الحديث عن مقاومة العدو المحتل إلى جريمة أمر في غاية الخطورة، وطالبت بالإفراج الفوري عنه.

جمعية العمل الإسلامي «أمل»: الاعتقال استمرار لنهج القمع

أدانت جمعية العمل الإسلامي (أمل) الاعتقال، مؤكدة أن شريف من الأصوات الوطنية الداعية للإصلاح السياسي، وأن توقيفه «يعكس سياسات قمعية مستمرة ضد المعارضين». وطالبت بالإفراج الفوري عنه وضمان حقوق المواطنين.

الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع: نتضامن مع عضو الجمعية أ. إبراهيم شريف ونطالب بالإفراج عنه

تابعت الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني بقلق استمرار توقيف شريف والذي تم التحقيق معه على خلفية تصريحات إعلامية دعا فيها الشعوب العربية إلى مساندة الشعب الفلسطيني ودعم حقه في مقاومة الاحتلال الصهيوني ومقاطعة داعميه ومناهضة التطبيع معه.

وأكدت الجمعية بأن ميثاق العمل الوطني ينص صراحة على أن البحرين «تساند وتؤكد على الحقوق الفلسطينية المشروعة، وعلى الأخص حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف». وهذا هو الفعل الذي قام به شريف في تصريحه الإعلامي وعبّر فيه عن قناعات قطاع واسع من أبناء شعبنا المناصر للقضية الفلسطينية.

وكانت السلطات البحرينية قد اعتقلت شريف فور وصوله لمطار البحرين الدولي قادمًا من بيروت بعد مشاركته في أعمال المؤتمر القومي العربي الرابع والثلاثون، ووجهت له تهمة نشر أخبار كاذبة والإساءة لدول شقيقة، الأمر الذي أثار الرأي العام المحلي الذي استغرب تجريم إبداء الرأي تجاه جرائم الكيان الصهيوني في غزة والمدانة من قبل محكمة الجنايات الدولية.

تصريحات صحفية

الجبهة الشعبية تدين بأشدّ العبارات العدوانَ الصهيوني الغاشمَ والجبان على «قرية بيت جن» السورية، وتُشيد بالمقاومة الصلبة لأبناءِ القرية

تدين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأشد العبارات العدوان الصهيوني الغاشم والجبان الذي استهدف قرية بيت جن السورية، وأسفر عن استشهاد وإصابة العشرات من أبناء شعبنا وأهلنا.

يأتي هذا العدوان الآثم في سياق جرائم الاحتلال المتواصلة على أكثر من ساحة، من دون حسيب أو رقيب، متوهماً أنّه قادر على تحقيق أهدافه الخبيثة بفرض أمر واقع وتنفيذ مخططاته التوسّعية التي تستهدف السيطرة على المنطقة واحتلالها، بالتزامن مع ارتكاب أبشع الجرائم في فلسطين ولبنان والمنطقة بأسرها.

تعرب الجبهة عن تضامنها الكامل والثابت مع سوريا الشقيقة وشعبها في مواجهة هذا العدوان السافر، وتؤكّد أنّ هذه الجرائم لن تسقط بالتقادم.

تشيد الجبهة بالمقاومة الصلبة التي أبداها أبناء قرية بيت جن في مواجهة جنود الاحتلال المعتدين، والتي أدّت إلى إصابة عدد من الجنود الصهاينة، مؤكدةً أنّ حقّ المقاومة حقّ مشروع وواجب مقدّس في وجه الاحتلال والعدوان، وأنّ هذه الجرائم لن تزيد شعوبنا إلا تمسّكاً بحقّها في المقاومة والتحرير وحقّها الأصيل في الدفاع عن سيادتها وأراضيها.

تؤكّد الجبهة أنّ دماء الشهداء لن تذهب هدراً، وأنّ المقاومة ستظلّ مستمرة حتى دحر الاحتلال عن كامل أراضينا العربية.

الجمعة 28 نوفمبر 2025

الجبهة الشعبية: الضفة على أبواب انتفاضة ثالثة.. والغضب الفلسطيني المتراكم سينفجر حمماً في وجه الاحتلال

تؤكد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن الانفجار وشيك في الضفة المحتلة، وأن اندلاع انتفاضة ثالثة شاملة بات أقرب من أي وقت مضى. وتشدد على أن جريمة إعدام الفتى عمرو المربوع والطفل سامي مشايخ في كفر عقب فجر يوم الجمعة، وما رافقها من استباحة للدماء الفلسطينية وإطلاق العنان لعصابات المستوطنين للقتل والتخريب في عموم الضفة، هي الشعلة التي ستحرق ما تبقّى من أوهام الهدوء، وأن الغضب الفلسطيني المتراكم سينفجر حمماً في وجه الاحتلال.

توضح الجبهة أن شعبنا يواجه كياناً مسخاً، تقوده منظومة إجرامية شاذة تمزج بين جنون العظمة وسادية التلذذ بالدماء؛ إذ تكشف ممارسات الحرق والتدمير واستهداف المدنيين عن عقيدة عنصرية وفاشية متأصلة، وتركيبة نفسية مريضة لمجموعة من القتلة والمختلين الذين يمتهنون الإجرام كطبيعة بشرية مشوهة.

تشدد الجبهة على أن شعبنا لن يقف مكتوف الأيدي أمام هذه السادية الإجرامية، ولن يركع أمام إرهاب الدولة المنظم. وواهمٌ الاحتلال إن ظن أن تصعيد الجرائم سيجلب الهدوء، بل سيكون الوقود الذي سيفجّر طاقةً ثوريةً هائلة تفرض المواجهة الشاملة، وتُحوّل الضفة إلى ساحة استنزافٍ للعدو وقطعان مستوطنيه.

توجه الجبهة رسالة تحذيرٍ للعالم بأن استمرار هذا الكيان الفاشي بات يُشكّل بؤرةً مركزية للإبادة وخطراً داهماً على البشرية جمعاء، داعيةً القوى الحرة إلى محاصرة هذه المنظومة الإجرامية بالمقاطعة الشاملة ونزع الشرعية عنها، وعدم التعامل مع قادتها كدولة طبيعية بل كعصابة مارقة من القتلة وأعداءٍ للقيم الإنسانية، مؤكدةً أن استقرار المنطقة لا يمر إلا عبر اقتلاع هذا الاحتلال من جذوره.

الجمعة 21 نوفمبر 2025

النصر والهزيمة في غزة

أحمد عويدات – كاتب فلسطيني السويد

تنفيذاً لخطة الرئيس ترامب ذات العشرين بنداً والقاضية بوقف إطلاق النار وإنهاء الحرب في غزة والتي خرقها ولازال جيش الاحتلال مرّات عديدة نتج عنها سقوط المزيد من الشهداء والجرحى المدنيين، وقبل أن تنقشع غبار المعركة بالكامل وتصمت المدافع ويتوقف أزيز الرصاص وتكف المسيّرات والطائرات الحربية عن قصفها المدنيين في خيام النزوح ومراكز الإيواء الأممية وقصف المشافي، وقبل توقّف مجازر الإبادة الجماعية ومسح العائلات الفلسطينية من قيود السجل المدني، وتفاقم آثار حصار التجويع والترويع، ومنع دخول المساعدات من ماء ودواء وغذاء، وإغلاق كل منافذ الحياة عن مليونين ومئتي ألف فلسطيني ،وازدياد أعداد شهداء حرب نتنياهو البربرية إلى نحو٧٠ ألفاً ،وأكثر من ١٧١ألف جريح ،وآلاف المفقودين والمعتقلين، وتدمير نحو ٩٠% من البنية التحتية للقطاع ،وقبل أن تضع الحرب الوحشية النازية أوزارها؛ قبل كل ذلك كثر الحديث في الآونة الأخيرة ولا زال، خاصة بين صفوف المثقفين والمؤدلجين والأيديولوجيين والقوميين والماركسيين والحركيين والحزبيين وحتى أنصاف الأميين عن الانتصار والهزيمة، وكان محور النقاش العقيم -والذي كان في بعض مراحله يهدف إلى النيل من المقاومة والصمود الأسطوري الذي سطّره شعبنا بدم أبنائه، وتسفيه وتحطيم ما أُنجز - هل حقاً انتصرنا أم هُزمنا في حربٍ غير متكافئة ولا متناظرة استمرت ولا زالت منذ عامين ؟ هذه الحرب التي استُخدِمت فيها مختلف أنواع الأسلحة والقذائف والقنابل والصواريخ واختُبرت فيها أسلحة أمريكية وبريطانية وألمانية وإيطالية وغيرها من لم تُعرف جنسياتها ومصادرها. وتاه هؤلاء المحللون بين مفاهيم اللغة والوقائع، فبدا بعضهم متفلسفاً يعطي لمفهومي النصر والهزيمة ما لا تحمله قواميس اللغة، وتنأى بحمله عقول وتنوء ألسنة بالحديث عنه وتأبى أقلام أن تتبناه وتكتب عنه. لقد أجزت لنفسي - وليعذرني فقهاء اللغة - أن أبحث لغوياً عن مفهومي الانتصار والهزيمة لعلي أكون مخطئاً وظالماً لأولئك المتفلسفين المؤدلجين «الشامتين «والمعادين لفكرة المقاومة ؛ فوجدت أن الانتصار لغةً يعني حسب ملفات «التفسير الموضوعي» : الحصول على فوزٍ أو تحقيق التفوق على العدو أو الإتيان بالظفر.

أما الانتصار اصطلاحا : فيشير إلى تحقيق النجاح أو الفوز في مواجهةٍ أو صراعٍ . وإذا لم يتحقق ذلك يصبح الانتصار مجرد وهم وفكرة بعيدة عن الواقع.

و»الهزيمة» لغةً مصدرها «هَزَمَ»، بمعنى فرَّ وشقَّ وحطّمَ، وفي هَزْمِ العدو، يعني كَسرٌ له.

أما الهزيمة اصطلاحاً : هي ما يعتري الخصم صفات انكسار من قتلٍ أو أسرٍ أو ضررٍ نفسي وقع من الطرف الآخر.

وبوضعٍ آخر، هو فِرارُ الجيش من الغَلَبة.

فأين نَحن من هذين المفهومين و التعريفين اللذين يضعا حداً لفلسفة «النصر والنصرة والانتصار والمنتصرين والمنصورين « والانصار، ولفلسفة الهزيمة والانهزام والمهزومين». أما بالمفهوم السياسي فإن النصر أو الانتصار هو القدرة على تحقيق الأهداف التي وضعت قبل المعركة وفق خطةٍ متكاملةٍ، وفرض الاستسلام على الطرف الآخر، وتحويل النصر العسكري إلى إنجازٍ سياسي، فهل حققت «إسرائيل» الانتصار المنشود؟ إن الإجابة على هذا السؤال يكمن بالعودة إلى الأهداف التي وضعها قادة الكيان، وأولها القضاء على حكم وإدارة سلطة حماس لقطاع غزة في اليوم التالي، وثانيها تحرير جميع الأسرى بالقوة العسكرية، وثالثها القضاء على القدرات العسكرية « لحماس» وتدميرها بالكامل.

إن التحليل الموضوعي لهذه الأهداف يعيدنا إلى حقيقة هزيمة جيش الاحتلال وليس انتصاره، لأنه لم يستطع كما وعد أبو عبيدة الناطق باسم كتائب القسام تحرير أسراه بالقوة العسكرية، وعندما حاول ذلك عنوةً أعيدوا له بالتوابيت، واستطاعت المقاومة فرض شروطها بإطلاق سراح عشرات المئات من الأسرى الفلسطينيين من ذوي الأحكام العالية والمؤبدات ممن كانت» اسرائيل» ترفض إطلاق سراحهم، وما أظهرته مشاهد تسليم الأسرى في الهدنة الأولى قبل نحو عام أشارت - بما لا يدع مجالاً للشك - أن المقاومة لا زالت موجودة بحضورها القوي، وبأسلحتها وبزيّها وبتنظيمها وانضباطها، وإعدادها لمراسيم التسليم وكأنها مراسيم دولة. لقد ظهرت قوية صامدة، حيث أرسلت رسائل تحدٍ عديدة، حتى بلغ الأمر لمحللين وإعلاميين وقادة كبار إسرائيليين للإشادة بهذا الظهور الاستثنائي والمذهل وأبرزهم آنذاك كان رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي سابقا اللواء غيورا آيلاند عندما قال لصحيفة معاريف «إن إسرائيل خسرت الحرب، وانتصرت دولة غزة» إن في هذه العبارة - من عدوٍ هندس ووضع «خطة الجنرالات» لفصل شمالي غزة عن جنوبه - اعتراف صريح بالهزيمة.

إن سلطة حماس في ذاك المشهد لازالت قائمة. وقد أعادت تنظيم صفوفها، «واختارت قادة جددا وأعادت الإمساك ببلديات ومؤسسات وبلدات ومدن قطاع غزة» كما صرح بذلك أحد المسؤولين الإسرائيليين. واليوم بحكم صمود أهل غزة ومقاومتهم، وبسبب العزلة الدولية التي منيت بها دولة الكيان ،والضغط الجماهيري العالمي والرسمي أُجبرت الإدارة الأمريكية على التفاوض مع حماس ؛ الأمر الذي سجل خرقاً مهماً للمقاومة على حساب الجانب الإسرائيلي، وتفنيداً للسردية النتنياهوية بمسؤولية المقاومة عن تعطيل التوصل لصفقة تبادل الأسرى. ومن جهة أخرى- برغم الضغط العسكري واشتداد مجازر الإبادة بكل أشكالها- بقيت المقاومة تحتفظ بقوتها على طاولة المفاوضات، كما هو الحال في الميدان الذي شهد عمليات نوعية سيما بعد استئناف الحرب في آذار/مارس الماضي، و في ظل الحديث عن توسيع العملية العسكرية الشاملة الإسرائيلية لقطاع غزة. فما ظهر من جانب فصائل المقاومة بغزة لم يكن «تبجحاً، وقفزاً في الهواء وبعيداً عن الواقع» كما ذكر البعض؛ فالتبجح أن تتفاخر بشيء لم تفعله ولم تنجزه، بل إن ما ظهر كان تجسيداً لقولٍ أصبح فعلاً من جانب المقاومة.

فليعد هؤلاء المؤدلجين، والمحللين المتفلسفين إلى مفهومي النصر والهزيمة لغوياً وسياسياً وفلسفياً. وبالعودة إلى تاريخ الشعوب فإن الهزيمة لا تكمن بأن يدمّر العدو المدن ويعدم كل جوانب الحياة فيها ويشرّد ويهجّر أهلها، ويمارس كل أشكال الإبادة الجماعية، فالهزيمة أن يرفع المقاتلون الراية البيضاء ويسلّموا أسلحتهم ويُساقوا مُكبّلين، وأن يحقّق العدو أهدافه.

إن طوفان الآلاف من العائدين إلى بيوتهم في الشمال هو الانتصار بعينه، وما نصب خيمة متداعية ممزقة على انقاض البيت الذي يضم تحت الركام رفات الأبناء الشهداء إلا تعبير عن التحدي الأكبر، ورفض الهزيمة والاستعداد للعودة الكبرى. إن الانتصار تقرؤه بعيون الأطفال والنساء الصامدين الصابرين، وتجده أيضا، في كلمات كاتب اسرائيلي قائلاً :» لو قتلنا مليوني فلسطيني في غزة، وبقي طفلٌ واحدٌ يرفع إشارة النصر فهو الهزيمة لنا»

لا بد من تذكيرالمهزومين دوماً والمأزومين مما أنجزته المقاومة من أن اليابان قد تعرضت لقنبلتين ذريتين، وقصفٍ عشوائي غير محدود وقتل الملايين بفعل العمليات الحربية ؛ كان استسلامها بانتحار قادة عسكريين كبار، ورفع رايات بيضاء، وتوقيع إمبراطور اليابان على صك الاستسلام، فكانت الهزيمة لهم والانتصار لأمريكا وحلفائها.

وكذلك كما حدث في ألمانيا التي سوّيت بعض مدنها بالأرض، واستسلمت بعد مقتل قادتها، وعلى رأسهم هتلر، ووقعت على صك الاستسلام والهزيمة في معاهدة فرساي. والتي ما لبثت أن استضافت بعد نحو 30 عاماً مهرجان الأولمبياد العالمي في ميونيخ عام 1972.

أما في غزة لازال نتنياهو سيد الإجرام يبحث عن «النصر المطلق»، ولا زال يريد إلحاق الهزيمة بالمقاومة ؛ فقتل نحو ٧٠ ألف فلسطيني وجرح ما يزيد على ١٧١ ألفاً ، واعتقال الآلاف وتدمير القطاع كله إلا قليلاً، لا يعتبره بعض قادة الاحتلال من سياسيين وعسكريين سابقين نصراً، بل هزيمةً لنتنياهو وأهداف حربه. وما تصريحات نتنياهو المتكررة باستئناف الحرب، واعتداءاته المتواصلة على شعبنا وعلى دول المنطقة، إلا دليل قاطع على أنه لم يحقق أهداف حربه المجنونة العبثية، وأنه يريد الإفلات، من خطة ترامب لوقف الحرب.

إن إرادة شعبنا بالصمود والمقاومة والحياة كانت أكبر من أهداف نتنياهو وطموحاته. وما قاله الكاتب الأمريكي أرنست همنغوي في روايته الشهيرة « الشيخ والبحر» «يمكن للإنسان أن يُدمّر، ولكن لا يُهزم» ينطبق تماما على شعبنا ومقاومته ؛ الذي حقق النصر منذ اليوم الأول في السابع من أكتوبر حينما وقعت الهزيمة المنكرة «بإسرائيل «.

وها هو شعبنا الآن يرفع رايات الوطن خفاقة عالية ولم يرفع رايات بيضاء ولم يوقع صك الاستسلام الذي سيوقعه الكيان طال الزمن أم قصر. إن النصر هو نصر عسكري وسياسي واقتصادي وأمني، والهزيمة هي خسارة كل ذلك، وما يحاول نتنياهو تسويقه لا يزال بحيز النصر الوهمي والشخصي الذي يحاول من خلاله التمسك بالسلطة وإرضاء مجتمعه عاطفياً ومعنوياً، بزعم أنه جلب لهم السلام والرفاهية والأمن فهل حقق لهم ذلك؟ الإجابة على هذا السؤال تكمن في المظاهرات والاحتجاجات والانقسامات والخلافات في الجبهة الداخلية الإسرائيلية. أما النصر بالنسبة لحركات المقاومة، فهو محكوم باستمرار الاشتباك مع العدو ومناعة الحاضنة الشعبية، وليس محكوماً بنتائج كارثية بأعداد الضحايا والتدمير الهائل.

والهزيمة هنا هي إلقاء السلاح وإعلان الاستسلام، أما للدول فإن الهزيمة تعني انهيار الدولة وإعادة هيكلتها وفق أيدولوجية المنتصر اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وعسكرياً. في بحثٍ له صدر عام 1970 يقول هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق « إن الحركة المسلحة ما لم تعلن استسلامها، فإنها تكون قد انتصرت حتى عندما تفقد جزءا كبيراً من قدراتها العسكرية» .

وفي سياق متصل، وبالعودة إلى الحرب العالمية الثانية، قدمت دول الحلفاء نحوه 83 % من ضحايا الحرب، بينما قدمت دول المحور فقط 17 % من الضحايا، وبرغم ذلك انتصرت دول الحلفاء وهُزمت دول المحور، وتم توقيعها على صك الاستسلام في فرساي.

إن ما يجري من نقاش هو بين أصحاب التفكير الرغائبي الذين يرون الأشياء كما يرغبون وكما هي معنوياتهم، وبين أيدولوجيين واهمين و آخرين من مُثبّطي المعنويات والعزائم والمهزومين

داخليا وفاقدي الثقة بالآخرين، وكلاهما لا يتقبل الرأي الآخر ؛ فهذا يعتمد على فهم وإدراك كل طرف لمفهومي النصر والهزيمة .

وتبقى التحليلات الأخلاقية والعاطفية التي تفسر نتائج الحرب بأعداد الضحايا، والدمار المروّع، وانعدام جوانب الحياة سمة هؤلاء الذين يرون النصف الفارغ من الكأس، أما المنحازون لمشروع المقاومة يرون ذلك تحصيلاً عادياً لحرب همجية تجاوزت كل القيم والأخلاق والأعراف الانسانية ،وتتعلق بهوية ومستقبل الشعب والوطن، وإن كان الثمن باهظاً.

إن ما نسمعه من جيش المهزومين والمنبطحين أصبح فلسفةً قيمية لا أخلاقية لهؤلاء، وكأن دورهم فقط هو هزيمة الشعب ونصرة العدو. إن منطلقاتهم الأيديولوجية هي سبب هذه المواقف المترنحة الساقطة إزاء أيدولوجيا يعتبرونها معادية، وهي أيديولوجية المقاومة والنصر.

من المؤكد أن النصر فلسفياً لا يكون نصراً إذا كان بلا قيمة أخلاقية ولا يمنح السعادة للمنتصر، وكما قالت أستاذة الفلسفة والحضارات الباحثة والكاتبة مارلين كنعان:

« أحيانا قد تكون الهزيمة أفضل من النصر لأنها تتيح ممارسة الفضائل كالصبر والثبات، ويقود الانتصار المنتشي بفوزه إلى الشقاء والسمعة السيئة والفشل».

وعليه، حري بنا أن نجعل من الشدائد والآلام وسيلة اختبارٍ لعزائمنا وأخلاقنا وانتمائنا، وأن نصغيَ لما ذكره تاريخ الشعوب، وأن نرفع سقف توقعاتنا بمن حملوا روحهم على أكفهم وفقدوا فلذة أكبادهم قرباناً للحرية والحياة الكريمة.

بالمحصلة، إن ما حققه سيد الإبادة نتنياهو وقادة الاحتلال في حربهم الإجرامية الفاشية على غزة وعلى شعبٍ أعزل طيلة عامين لا يعدو كونه انتصاراً جزئياً تكتيكياً، بينما ما حققته المقاومة والشعب يعتبر بكل المفاهيم انتصاراً إستراتيجياً، وفي الوقت ذاته إنه حتى الآن هو الهزيمة بعينها للمشروع الصهيوني التوسعي الإجلائي الإحلالي و الإمبريالي الاستعماري برمته في المنطقة، ومثّل حالة استنهاضٍ لكل الشعوب المقهورة، وقراءة جديدة لصنع التاريخ المشرّف. إنها معركة الحياة «إما أن تكون أو لا تكون».

على درب عودة اللاّجئين الفلسطينيين إلى ديارهم

(عين غزال، إجزم، جبع ، أنموذجاً)

د. سامي الشّيخ محمّد - باحث أكاديمي سوري

أليس من حقّ اللاّجئين الفلسطينيين العودة إلى ديارهم الّتي هُجِّروا منها على يد العصابات الصّهيونيّة عام 1948؟ ألا يكفل القانون الدّولي وقرارات الشرعيّة الدوليّة وقرارات مجلس مراقبة الهدنة المركزي التّابع للوسيط الدّولي في فلسطين 1948 هذا الحقّ؟ ألا يمكن التّوجّه إلى المحافل الدّوليّة والمحاكم القضائيّة المختصّة لاستصدار قراراتٍ ملزمة وفاعلة لإعادة اللاّجئين إلى وطنهم؟ هل بوسع (الكيان الاستيطاني الصّهيوني) والولايات المتّحدة الأمريكيّة وبريطانيا سلب حق العودة للاّجئين الفلسطينيين إلى فلسطين حيث قراهم وبلداتهم ومدنهم وأراضيهم الّتي هُجِّروا منها، وسلب حقّهم في التعويض عن ممتلكاتهم ومعاناتهم والأضرار الّتي ألَمَّت بهم طيلة فترة اللّجوء خارج وطنهم؟

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ المرجعيّة القانونيّة والدّوليّة تكفل حقّ عودة اللاّجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، ومعاقبة (الدولة اليهوديّة) في حال رفضها الالتزام بعودة هؤلاء اللاّجئين إليه. فقرار التّقسيم لم ينصّ على طرد الفلسطينيين الّذين يَتْبَعون جغرافيّاً الأرض المخصّصة لقيام (دولة يهوديّة) عليها ، كذلك القرار 194 الخاص بالعودة ينصّ بوضوح تام على حقّ عودة اللاّجئين الفلسطينيين إلى ديارهم الّتي أُجبِروا على مغادرتها نتيجةً للحرب الّتي ألَمَّت بهم وبممتلكاتهم، بالإضافة إلى منحهم تعويضات ماليّة عن الأضرار الّتي لحقت بهم وبها نتيجةً للحرب اليهوديّة ضدّهم، وقيام ما يُسمّى بدولة (إسرائيل) في الخامس عشر من أيار 1948 م وحدوث النّكبة .

ومن القرارات الدّوليّة الّتي أدانت الجرائم اليهوديّة وتهجير أهالي العديد من القرى الواقعة ضمن الحدود الجغرافيّة والسّياسيّة لـ (الدّولة اليهوديّة) - وفاقا لقرار التّقسيم _ كقرى ((عينغزال ، وإجزم، وجبع) في قضاء حيفا ما يكفل حقّ العودة لأهالي

تلك القرى دون قيدٍ أو شرط. إذ إنَّ تهجير أهلها جرى بعد الإعلان عن قيام ما يُسمّى بـ(دولة إسرائيل) بشهرين وعشرة أيّام، وقد كانوا في عرف تلك (الدّولة) الناشئة بالاحتلال مواطنين تحت سلطتها، والدّليل على ذلك كما هو موثّق في سجلاّت عصبة الأمم المتّحدة، أنَّ الجيش اليهودي قد أطلق على حملته العسكريّة ضدّ هذه القرى بأنّها حملةٌ بوليسيّة ضدّ قرى متمرّدة داخل (الدّولة اليهوديّة) .

لكنَّ النّتائج المدمّرة للحملة العسكريّة على تلك القرى وإرغام أهلها على مغادرتها، جاءَت برهاناً فاصلاً على كذب الادّعاءات اليهوديّة من أنَّ حملتهم العسكريّة كانت مجرّد حملة شرطيّة تستهدف فرض الهدوء والنّظام داخل تلك القرى المتمرّدة. والدّليل على ذلك الوثيقة التّالية الصّادرة عن مجلس مراقبة الهدنة المركزي في حيفا عقب وقوع المأساة وتهجير جميع أهالي القرى المذكورة منها، إذ تنصّ الوثيقة حرفيّاً: «قرّر مجلس مراقبة الهدنة المركزي التّابع للوسيط أنَّ أعمال اليهود العسكريّة ضدّ هذه القرى بعد 1948/7/18 تشكّل خرقاً للهدنة. ورفض المجلس ادّعاء اليهود أنَّ الهجوم كان مجرّد عمل بوليسي لا يدخل ضمن صلاحيّات الوسيط. وزيادةً على ذلك فقد توصّل المجلس إلى نتيجةٍ مؤداها أنَّ هذا الخرق قد تسبّبَ عن عوامل ثلاثة:

1- أنَّ الجيش اليهوديّ قد أرغم سكّان القرى الثّلاث على إخلاء بيوتهم والجلاء عنها، وقام بتدمير قريتيّ عين غزال وجبع حسبَ خطّةٍ مرسومة.

2- أنّه لم يكن هناك أي دليل على مهاجمة سكّان هذه القرى لطريق تلّ أبيب حيفا بعد بدء الهدنة الثّانية كما يدّعي اليهود.

2- أنَّ الجيش اليهودي قد شنَّ هجوماً على القرى الثّلاث رغمَ أنَّ سكّانها العرب حاولوا الدّخول في مفاوضاتٍ معه. وقد توصّل المجلس إلى هذا القرار في اليوم الثّامن من أيلول بعد دراسةٍ دقيقة واستنطاق شهود من الطّرفين. ونقلَ الوسيط فحوى هذا القرار إلى الحكومة المختصّة. وقد كشَفَ التّحقيق النّقاب عن النّقاط الرئيسية وهي:

أ - إنَّ القرى الثّلاث تقع ضمن المنطقة اليهوديّة وأنَّ سُكّانها كانوا حتّى قبل البدء في الهدنة الثّانية يهاجمون خطّ المواصلات اليهوديّة على طريق تل أبيب ـ حيفا وأنَّ هنالك بيّنة تدلّ على أنَّ الهجمات كانت في بعض الأحيان ناتجةً عن تحريض الجيش العراقي .

ب - قام اليهود بعد 1948/7/18 بعمليّات عسكريّة تشكّل هجمات جوّيّة وبريّة ضدّ القرى رغم محاولة السّكان الدّخول في مفاوضاتٍ مع الجيش اليهودي .

ج - استناداً إلى المعلومات الّتي قدّمت لم يكن مستطاعاً معرفة عدد الإصابات العربيّة بالضّبط إلاّ أنّه من الجلي أنَّ هذا العدد لم يتجاوز المئة والثّلاثين، وليس هنالك أي دليل على أنَّ القوّات اليهوديّة قد أسرت أعداداً كبيرة من العرب.

د - بعد أن تمَّ احتلال القرى الثّلاث في اليوم الخامس والعشرين من تمّوز أُرغِمَ جميع سكّانها على الجلاء عنها وتمّ تدمير قريتي عين غزال وجبع حسب خطّة مرسومة، ولا يبدو أنّه قد وقعت أضرار بقرية إجزم منذ احتلالها»

. أنظر،جدعان محمّد راجح ، عين غزال كفاح قرية فلسطينيّة، مطبعة القبس ، عمّان، 2002/3/3، ص، ص 237، 238) .

وبغض النّظر عن الملاحظات الّتي يمكن الإشارة إليها بخصوص القرارات آنفة الذّكر، إلاّ أنّها تشكّل وثيقةً دوليّة بالإمكان الاستفادة منها في مقاضاة (الدّولة اليهوديّة) في فلسطين وإرغامها على قبول عودة سكّان تلك القرى إليها والّذين يتجاوز تعدادهم أكثر من مئة وعشرين ألفاً بالإضافة إلى منحهم التّعويضات المستحقّة عن البيوت والأراضي والممتلكات والمعاناة الّتي تسببت (الدولة اليهوديّة) في حصولها لهؤلاء اللاّجئين .

وبالطّبع فما ينسحب على أهالي القرى المذكورة بعودتهم وتعويضهم، ومنحهم حقّ تقرير المصير في الحفاظ على هويّتهم العربيّة الفلسطينيّة، وممارسة نضالهم القومي المشروع في وطنهم ضد الكيان العنصري الاستيطاني، وبناء دولة فلسطين العربيّة الدّيمقراطيّة، ينسحب على جميع اللاّجئين الفلسطينيين دون استثناء.

من هنا يصبح من الضّروريّ على اللاّجئين الفلسطينيين، ومنظّمة التّحرير الفلسطينيّة، والدّول العربيّة الشّقيقة التّمسّك بمطلبي حقّ العودة والتّعويض في كافّة المحافل السّياسيّة الدّوليّة ، ورفع الدّعاوى القضائيّة في المحاكم الدّوليّة المختصّة ضدّ (الدّولة اليهوديّة) بهذا الخصوص. ونحن على ثقةٍ أكيدةٍ أنَّه يستحيل إسقاط حقّ العودة والتّعويض، من جانب الفلسطينيين والأشقّاء العرب تحت أي اعتبار، وبهذا الخصوص، ينبغي التأكيد على قرارات القمم العربية المتعاقبة التي شددت على التّمسّك بحقّ اللاّجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم، في حال التّوصّل لأيّ تسويةٍ سياسيّةٍ للصّراع العربي الصّهيوني. الأمر الّذي يدعو القمّة العربيّة لتبنّي قرارٍ صريح ينصّ على أن لا سلام مع (الدّولة اليهوديّة) دون منح اللاّجئين الفلسطينيين الحقّ بالعودة إلى ديارهم وممتلكاتهم بالإضافة إلى منحهم التّعويضات الماليّة المتوجّبة على تلك (الدّولة). انسجاماً مع القرارات الدّوليّة الخاصّة بعودة اللاّجئين إلى وطنهم .

وهو عين موقف اللاّجئين الفلسطينيين من المسألة .وبالتأكيد هم على استعدادٍ تام للنّضال والتّضحية في سبيل تحقيق عودتهم إلى ديارهم وممتلكاتهم .وأمّا الدّعوات الّتي تطلقها بعض الجّهات الدّوليّة وفي مقدّمتها دعوة المفوّضة الدّوليّة لحقوق الإنسان ماري روبنسون الّتي ترى أنَّ الحلّ الجذري لمشكلة اللاّجئين الفلسطينيين في مخيّمات اللّجوء يكمن في تحسين شروط المعيشة وتوفير فرص العمل لديهم كما هو عليه الحال بالنّسبة للاّجئين في لبنان، دون الإشارة لحقّهم في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم في وطنهم، والّذي لا يتعارض مع مطلب ضرورة تحسين شروط معيشتهم وحياتهم وإقامتهم في المخيّمات الّتي يتواجدون فيها بطريقة مماثلة لحياة أخوتهم اللاّجئين في سوريا مثلاً . من هنا فالحلّ الجذري لمشكلة اللاّجئين الفلسطينيين يتمثّل في عودتهم إلى وطنهم الّذي شُرِّدوا منه وإلى ممتلكاتهم والتّعويض عن المعاناة والأضرار الّتي ألمّت بهم جرّاء اللجوء النّاجم عن الاحتلال الصّهيوني لفلسطين عام 1948، وإلاّ فلن يتوقّف الصّراع مع الكيان الصّهيوني حتى تصبح العودة لفلسطين واقعاً مُتعيّناً بالفعل، مهما طال الزّمن أو قَصُر .

التحديات التي تواجه استحقاقات السابع من اكتوبر 2023

بسام عليان- كاتب اجتماعي وباحث سياسي فلسطيني - سورية

بين السابع من أكتوبر 2023 وبين الكتابة عنه درجة من عدم التطابق؛ تماما كالفرق بين المعرفة وبين الواقع. غير أن الاقتراب من الواقع كما هو بالفعل لإنتاج معرفة موضوعية عنه يظل مطلبا مشروعا وضروريا؛ أي تبقى شروط إنتاج معرفة صحيحة موضوعية عن التحديات التي تواجه استحقاقات السابع من اكتوبر 2023؛ وهو واقع متشابك معقد. ونحن -هنا- في حالة الكتابة عن حرب إبادة ومقتلة وتدمير وتهجير وتجويع استمرت سنتين وما تزال مرشحة للاستمرار، فنحن نكتب عن حدث راهن ينطوي على إمكانيات مفتوحة من الصعب التوقف عند «خطة هدنة» مشوهة وغير عادلة تحمل في طياتها المراوغة والخداع وعدم تحديد المصير والنتائج النهائية لها.

أولا: ما هي الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى حدوث السابع من أكتوبر؛ فهذا الهجوم الفلسطيني على العدو أتى بعد 75 عاما من الاحتلال؛ عانى فيه الشعب الفلسطيني كثير وكثير جدا من صنوف العذاب والعقاب والتنكيل والتعسف والقتل والتهجير والاعتقال والتجهيل وتفتيت الأسرة الفلسطينية الواحدة وسرقة ونهب الأراضي والممتلكات، وهذا الأمر يتم في ظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية تحيط بالفلسطيني مما جعلت خياره الوحيد هو مقاومة الاحتلال والدفاع عن حريته الوطنية. ثانيا: جاء السابع من أكتوبر في ظل غياب الفعالية السياسية الوطنية لمنظمة التحرير الفلسطينية واستمرار أعراض الانقسام الداخلي. وكذلك تراخي الالتفاف الشعبي حول القيادة المتنفذة في منظمة التحرير الذي اضعف الى حد كبير عنصر المبادرة عند الفصائل الفلسطينية التي تنضوي في منظمة التحرير؛ وبدا وكأنه حالة من الركود الطويل تنتظر مسيرة النضال الوطني الفلسطيني. من خلال هذا التقدير للموقف قامت حركة المقاومة «حماس» باختراق حالة الركود تلك، كسلوك ثوري مقاوم مشروع، لتجاوز ركود منظمة التحرير والفصائل المنضوية فيها وسلبيات القيادة المتنفذة في المنظمة منذ توقيع «اتفاق أوسلو»؛ أي أن السابع من أكتوبر 2023؛ جاء بحد ذاته كخيار مشروع (خيار المقاومة المشروعة) أمام الشعب الفلسطيني كثمرة فقدان الأمل في أي تحرك وطني جدي من قبل قيادة منظمة التحرير المتنفذة بالقرار الفلسطيني. ... ورغم أن العدو الصهيوني المدعوم من الولايات المتحدة الأميركية ومن دول أوروبا الغربية وبعض الدول العربية الرجعية شن حربا عدوانية مجرمة على غزة الفلسطينية إلا أن المقاومة الوطنية الفلسطينية التي انطلقت من السابع من أكتوبر 2023 وما زالت مستمرة والشعب رغم فقده لأبنائه وتدمير بيوتاته ومستشفياته ومدارسه وجامعاته وجوامعه وأسواقه؛ ما زال يبدع كل يوم بقدرات صموده واستمرار تحديه للاحتلال واستمرار المقاومة المسلحة؛ رغم تشكيك بعضهم بقدرة المقاومة على الاستمرار في الأشهر الثلاثة الأولى من الحرب. وأثبتت المقاومة الوطنية الفلسطينية خلال عامين كاملين أنها أصبحت أكثر اتساعا وأكثر قوة وأقرب إلى تحقيق انتصارها وانتصار الشعب الفلسطيني بعامة. وهنا يقع علينا أن نميز بين أسباب السابع من أكتوبر من جهة واستمرار المقاومة والصمود والتحدي والانتصار من جهة ثانية. واعتقد أن التفكير بتغيير الشروط التي نعيشها فلسطينيا وعربيا ينقلنا مباشرة من انتصار المقاومة إلى التفكير والانخراط في العمل السياسي؛ وهذا ما فعلته حركة المقاومة «حماس» عند قبولها النظر في التفاوض حول «خطة ترامب».... ومن هنا يعتبر السابع من أكتوبر بحد ذاته عاملا مؤثرا بل حاسما في التسريع في حل القضية الفلسطينية؛ ذلك أن المناخ الذي نتج عنه قام بدور كبير في تحريض الشعوب العالمية وخاصة الأوروبية؛ كذلك قربت احتمالات إعادة وحدة الصف الوطني الفلسطيني، وغيرت كثير من المفاهيم والبديهيات عند «الإسرائيليين» وعند المجموعات التي كانت تناصرهم على الباطل. وفلسطينيا شكل السابع من أكتوبر وما نتج عنه من حرب صهيونية مجرمة على الشعب الفلسطيني شكل عاملا هاما ومهما للتقريب بين أهداف الشعب الفلسطيني في كل مكان (في غزة والضفة والاراضي المحتلة عام 1948 والشتات الفلسطيني في كل دول العالم). وهذا الأمر يجعل الشعب الفلسطيني يجدد قدراته للاقتراب من تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني بإزالة الاحتلال والتخلص من آثاره الاستيطانية الاستعمارية التوسعية ويجعل من الشعب الفلسطيني التفوق والقدرة بخلق قيادة جديدة لمنظمة التحرير بدلا من القيادة المترهلة والفاسدة التي تهيمن على القرارات. وهذا الأمر يقود إلى الارتقاء بالعمل الوطني الفلسطيني بالخارج والإرتقاء بالقيادة الوطنية الفلسطينية إلى مستوى هذا الانتصار للمقاومة في حرب غزة، والصمود والتحدي والتضحيات الذي عبر عنه أهلنا الفلسطينيين في غزة ومدنها ومخيماتها ومعسكراتها.

أهمية التضامن مع الشعب الفلسطيني في تعزيز سردية الحقيقة

رضي الموسوي - كاتب صحفي من البحرين

يشكل الدعم والتضامن مع الشعب الفلسطيني محورا رئيسيا في الحياة السياسية والاجتماعية عربيا ودوليا، ذلك أن القضية الفلسطينية اليوم تعتبر أبرز القضايا العادلة سياسيا وإنسانيا وأخلاقيا على المستوى العالمي، بعد أن تكشفت حقيقة الكيان الصهيوني العنصرية مع حرب الإبادة والتطهير التي يرتكبها جيش الاحتلال في قطاع غزة والضفة الغربية، فضلاً عن جرائمه بحق الأسرى الفلسطينيين في السجون الصهيونية. وحيث تحتفي الشعوب العربية وشعوب العالم باليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، فإن تسليط الضوء على دور التضامن مع فلسطين يصبح من الأهمية بمكان.

ولعل أبرز مظاهر التضامن والدعم الجماهيري الذي شهدته الدول الغربية وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية خلال العامين الماضيين، هو تظاهرات واعتصامات طلبة الجامعات والشباب، وما قابل ذلك من ردود أفعال الإدارات الجامعية على هذا الحراك من حيث الاستشراس في القمع والتنكيل بما فيه الاعتقال والفصل من الجامعة وإبعاد الطلبة الأجانب. وقد شهدت الجامعات الأمريكية والأوروبية حراكا كشف حقيقة النظام الذي يدعي الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير والتفكير العلمي القائم على النقد، وتم فيه فصل رؤساء جامعات وجهت لهم لجان في الكونغرس الأمريكي اتهامات بعدم القيام بما يلزم لمواجهة «معاداة السامية».

أكدت التحركات الجماهيرية الأممية، الشبابية منها على وجه الخصوص، بأن ليس الضرر الذي يسببه الاحتلال الصهيوني بالشعب الفلسطيني عرضيا أو جانبيا، بل هو من أهم أهداف العدوان، ويترجم جيش الاحتلال ذلك عبر الإبادة والتطهير العرقي، الأمر الذي جيّش مشاعر الضمير العالمي وأيقظ فيه الإحساس بالمسؤولية الإنسانية تجاه بشر تتم إبادتهم بدم بارد. وقد لعبت وسائل التواصل الاجتماعي الدور الأكبر في التحركات الجماهيرية التي كان شباب جيل (زد) عمودها الفقري ومحركها في الوقت الذي كانت وسائل الإعلام العالمية غارقة في غيها تردد الاكاذيب الصهيونية.

حراك الجامعات الغربية:

يعتبر ما شهدته الجامعات الغربية، والأمريكية خصوصا، من حراكات شبابية، ساحات مواجهة ذات صلة عميقة بالقيم السياسية والقانونية والأخلاقية، فكشفت زيف الديمقراطية الغربية من جهة، ومن جهة أخرى ترسخت قضية فلسطين على أنها قضية ذات علاقة بالداخل الغربي تمس مسألة حرية الرأي والتعبير والتفكير والنقد. في الجامعات تم الفحص والتدقيق في سياسة التمويل التي تحدد في الكثير من الجامعات طريقة التفكير والمواقف والرؤى السياسية، خصوصا الموقف من الكيان الصهيوني. ففي الولايات المتحدة، ولمواجهة الحراك الطلابي، تم اعتقال أكثر من 3,000 شخص في أكثر من60 جامعة، وعشرات المعتقلين في فرنسا والمانيا بعد ان تم فض الاحتجاجات بالقوة بتدخل الشرطة. بعض الجامعات الأمريكية تعاملت بفظاظة مع الطلبة، بينما عقدت جامعات أخرى تفاهمات واتفاقات مع الطلبة بدل الصدام، فانهى الطلبة اعتصامهم بعد أن تعهدت الإدارات الجامعية بعرض مقترح الانسحاب من استثمارات مرتبطة بـ»إسرائيل» على التصويت المؤسسي. ولأن المانيا تعاني من مساحات ضيقة في الحريات والتصلب تجاه الطوفان وتبعاته وانحيازها الكبير إلى جانب الكيان، فقد تعاطت مع الاحتجاجات بسرعة أكبر من فرنسا، قمعا ومنعا للفعاليات المتضامنة مع فلسطين.

أما في إيطاليا فقد تمددت الاعتصامات والمسيرات الطلابية إلى الشوارع وداخل البرلمان، وكان أبرزها تصويت مجلس جامعة تورينو على إنهاء اتفاقية بحثية مع مؤسسات إسرائيلية، وتبعتها جامعة باليرمو بتعليق برامج إيراسموس مع جامعات في الكيان.

افرزت الحراكات الطلابية حالة جديدة تُذكّر بالاحتجاجات التي شهدتها الجامعات الفرنسية نهاية الستينات، وفي الولايات المتحدة مطلع العقد السابع من القرن العشرين إبان حرب فيتنام، وفتحت آفاقا أخرى لكيفية تعاطي الجامعات مستقبلا مع مثل هذه الاحتجاجات ومدى تفاعل الرأي العام معها من ناحية مواجهتها والتضييق عليها أو فتح نوافذ لحرية التحرك وفق النظم والقوانين، فضلا عن بناء العلاقات بناء على توازنات دولية على مستوى جامعات العالم ولا تقتصر العلاقة مع جامعات ومؤسسات الكيان الصهيوني، وذلك من طراز تأسيس علاقات مع الجامعات في دول الجنوب، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

إن التحركات هذه المرة لم تتفجر لأسباب داخلية في أمريكا و أوروبا، بل لأسباب وجدها العالم تمس الضمير الإنساني والأخلاقي، ومن المرجح أن تتشكل المواقف الداخلية للأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، وتباعا الرأي العام، بناء على الموقف من حرب الإبادة في غزة. لقد أكدت الاحتجاجات الطلابية والشبابية والنقابية على أن قضية فلسطين لم تعد قضية خاصة بالفلسطينيين والعرب، بل تحولت إلى قضية انسانية اخلاقية عالمية، حيث تطور الوعي، خصوصا بين الشباب، إزاء القضية الفلسطينية. في هذا الصدد نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالا لفتت فيه إلى أن هناك زيادة في التعاطف مع القضية الفلسطينية في امريكا من 12 بالمئة في 2013 إلى 27 بالمئة في العام 2024، ونوه المقال أن هذا التحول هو تحول جيلي لأعمار ما بين 18 و29 سنة الذين هم الأكثر تعاطفا مع فلسطين. وفي 23 أكتوبر/تشرين الأول من هذا العام نشرت رويترز استطلاعا للرأي العام الأمريكي قال فيه 59% من الأمريكيين أنهم يؤيدون اعتراف أمريكا بالدولة الفلسطينية.

تضامن النقابات العمالية:

في السابع والعشرين من سبتمبر/ ايلول 2025 أعلنت نقابات عمال الموانئ الأوروبية عن تنسيق حملة لمقاطعة السفن المحملة بالشحنات العسكرية المتجهة إلى الكيان االصهيوني، في خطوة تعكس تضامن العمال الأوروبيين مع الشعب الفلسطيني ورفضهم للحرب والإبادة الجماعية في قطاع غزة. وجاء ذلك في بيان أصدرته نقابات الموانئ الأوروبية التي اجتمعت في ميناء جنوة الإيطالي، تحت شعار «عمال الميناء لا يعملون من أجل الحرب»، وشاركت فيه وفود من إسبانيا وفرنسا واليونان وقبرص والمغرب وألمانيا والولايات المتحدة. وأكدت النقابات أن «الموانئ الأوروبية لن تكون أداة لآلة الحرب ولن تسهم في تمويلها، بل يجب أن توجه الموارد نحو حياة كريمة وضمان اجتماعي للفئات العاملة»، ودعت لفتح الممرات الإنسانية و»تقديم المساعدات العاجلة لسكان قطاع غزة، والمساهمة في إقامة دولة فلسطينية مستقلة، معربة عن دعمها لأسطول الصمود العالمي الذي يسعى لكسر الحصار عن غزة». واتخذت النقابات خطوات عملية تم بموجبها «منع ناقلات نفط وسفن عسكرية متجهة إلى موانئ الكيان الصهيوني من الرسو في موانئ إيطالية، منها ميناء تارانتو ولفيرنو»، وفق ما ذكرته وكالات الأنباء.

وفي الثالث من أكتوبر/تشرين الأول 2025، خرجت مظاهرات ضخمة تضامنا مع الشعب الفلسطيني قدرت بمليوني متظاهر في أكثر من 100 ميدان في مختلف المدن الإيطالية، وذلك بدعوة من كبرى النقابات العمالية دعما لأسطول الصمود العالمي بعد اعتراضه من قبل قوات الاحتلال في عرض البحر وأسر أكثر من 500 متطوع من نشطاء العالم واقتيادهم إلى السجون الصهيونية. كان الشباب في المقدمة، حيث شاركوا بفعالية كبيرة في مختلف المظاهرات، وقد عبر بعضهم عن مواقفه الداعمة لفلسطين وتحريرها. أحد المشاركين في التظاهرات بإيطاليا واسمه جوردانو فيورامونتي، وهو طالب ثانوية يبلغ من العمر 19 عاما، رسم على وجهه علم فلسطين وكتب عليه «الحرية لغزة». يقول جوردانو: هذا «واجب مدني بالنسبة لنا لنُظهر مدى غضبنا واستيائنا مما يحدث في العالم، ومن حكومتنا، ولنعلن دعمنا لأسطول المساعدات، وقبل كل شيء لفلسطين ولأهالي غزة الذين يُقتلون ويُعذبون ويُذبحون منذ أزمنة بعيدة».

لم يأبه جوردانو لما قالته رئيسة وزراء ايطاليا اليمينية المتشددة جورجيا ميلوني التي نددت قبل يوم من التظاهرات الاستثنائية وهي في العاصمة الدانماركية كوبنهاغن، بالدعوة إلى الإضراب العام، ووصفت مبادرة «أسطول الصمود» بأنها «غير مسؤولة». لقد كان رد الإيطاليين أكثر التزاما من الكثير من العرب!!.

رحلة اسطول الصمود العالمي لكسر حصار غزة:

مع إمعان جيش الاحتلال الصهيوني في حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة وسقوط عشرات آلاف الشهداء وأضعافهم من الجرحى وآلاف المفقودين والأسرى وتزايد المجاعة وسقوط شهداء التجويع والحصار، تحرك ضمير الرأي العام العالمي بشكل عملي لتبزغ في منتصف 2025 فكرة التحضير لأسطول غير مسبوق الحجم من حيث عدد السفن والمشاركين فيه بهدف كسر الحصار عن القطاع. وقد خرجت المبادرة إلى النور في شهر يوليو تموز من هذا العام بمبادرات تضامنية شارك فيها كل من الحركة العالمية نحو غزة، وهي مبادرة دولية تسعى للفت الانتباه إلى الوضع الإنساني في قطاع غزة، وتحالف أسطول الحرية وهي حركة تضامن شعبية دولية تأسست عام 2010 وتعمل على إنهاء الحصار الصهيوني على القطاع، وقافلة الصمود وهي حملة مغاربية انطلقت في يونيو/حزيران 2025 بمشاركة متضامنين من دول المغرب العربي، بالاضافة إلى مبادرة صمود نوسانتارا وهي قافلة شعبية من دول جنوب شرق آسيا تهدف إلى دعم الجهود لكسر الحصار البحري عن غزة.

بدأت الاستعدادات لتجهيز السفن، وبدأ تسجيل أسماء المتطوعين الذين بلغ عدد من تم تسجيلهم أكثر من 15000 متطوع ينتمون لأكثر من 44 دولة، لكن السفن المجهزة والمتاحة للإبحار يبلغ عددها نحو 50 سفينة لا تتحمل أكثر من 500 متطوع، بينهم خليجيون وعرب. أبحر «أسطول الصمود العالمي» عدة مرات وتعثر في اكمال رحلته بسبب سوء الأحوال الجوية ومهاجمة المُسيرات الصهيونية بعض سفنه، إلا أن الرحلة الرئيسية بدأت في أواخر أغسطس/آب 2025 من ميناء برشلونة الإسباني، وتبعها انطلاق أساطيل أخرى في سبتمبر وأكتوبر 2025 من موانئ مختلفة، مثل ميناء جنوى الإيطالية في سبتمبر 2025، وأندونيسيا ومن موانئ تونس واليونان.

وفي الأول من أكتوبر 2025، اعترضت قوات الاحتلال الصهيوني عدة سفن تابعة للأسطول أثناء إبحارها باتجاه غزة، وأكملت قرصنتها على باقي السفن بعد أيام قليلة من بدء عملية القرصنة.

في تجربة أسطول الصمود العالمي، كشف أبطاله الذين تم أسرهم، هول العذابات التي يعاني منها الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال، حيث تعرض النشطاء لجزء مما يتعرض له الفلسطينيون.

الذي يحز في النفس ضعف التضامن الشعبي العربي الذي تعود أسبابه إلى الحالة الأمنية والسياسية السائدة في أرجاء الوطن العربي. فالتضامن الشعبي اللافت كان في المغرب وتونس وإلى حد ما في الأردن ومصر والبحرين التي يعتصم النشطاء فيها منذ الاسبوع الأول لطوفان الاقصى قبل أكثر من سنتين. إن هذا يدلل على وجود خلل واضح في المنطقة العربية، حيث تغرق أغلبها في أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية ومعيشية، تجعل من الحكومات تتوجه نحو الحلول الأمنية بدلا من الشروع في التنمية الإنسانية المستدامة، وهي غارقة في الديون بسبب فشل البرامج الاقتصادية والفساد المالي والإداري ويكفي الاشارة إلى ان أكبر عشر دول مدينة يصل دينها العام إلى 1.5 تريليون دولار، ما يعني ربط الاقتصادات العربية عموما بما تفرضه المؤسسات المالية الدولية الدائنة التي تقرر الكيفية التي تعاد فيها إعادة هيكلة الاقتصادات والأولويات التي يتوجب تطبيقها.

يضع هذا الوضع على النخب العربية المؤمنة بعدالة قضية فلسطين ومشروعية مقاومتها للاحتلال الصهيوني، مسؤوليات كبيرة ومفصلية في حياة الأمة التي تعاني من وهن وتجزئة بلدانها وتقسيمها..كما تعاني فلسطين والأمة من خطة ترامب التي أقرها مجلس الأمن الدولي والتي يراد منها فرض انتداب جديد على غزة وعزلها عن الضفة وقطع الطريق على إقامة الدولة الفلسطينية ومحاولة ترميم سردية الاحتلال المعطوبة وتعبيد الطريق لفرض الهيمنة الصهيونية على الوطن العربي بـ»إسرائيل الكبرى».

في الهدف

الخيمة 77

في غزة.. تلك الخيمة ليست ذاتها منذ أُقتلع الفلسطيني من تاريخه وهويته قبل أرضه، وأصبحت خيمته منفاه القسري، والذي ما انفك -الفلسطيني- يضارعها ويفكك أوتادها ليبني كيانه وحلمه... كان الطريق إلى الخيمة الأخرى شائكاً بما يكفي لأن يكتب تاريخه وتحولات روحه وكل سردياته الممكنة في مقاومة المحو والتغييب والنفي والمقتلة، فكم ردد غسان كنفاني في مدوناته الباذخة (خيمة عن خيمة تفرق)، لكن خيمة غزة بعد سبعة عقود من تحولات التاريخ الفلسطيني، هي شاهدة أخرى على تلك الرحلة التراجيدية، والتي جعلت من الفلسطيني أن يكون وتد الخيمة الجديدة، خيمة فوق الماء وتحت سماء ملتهبة، لا جدار يسندها سوى تلك الأرواح الناجية لوقت قليل من استعارات الموت، هي الآن ما تبقى لتلك الحيوات القلقة، كي تقيم وطناً فوق الأنقاض المترعة برفات الشهداء، مزق متهالكة لا تحمي أحلام الصغار لينامو بهدوء وسط العتمة، وكيف للفلسطيني أن يعبر من خيمة إلى خيمة، وما بينهما وطن مسلوب وحكايات لا أفواه لها، وذاكرة مثخنة على اتساع.

ليست تلك الخيام/ الجراح المفتوحة فوق جلد الأرض، محض مجاز أو تورية لتاريخ سيكثر رواته وساردوه، إنها طلقة الحياة... حياة أقل حتى يصحو النهار، وقد تعاضد الصغار ليثبتوا خيمتهم قبل أن تجرفها الأمطار وتعصف بها الرياح، ليست طائرة ورقية حتى يتمم الأطفال ضحكاتهم، ولنجهر بالقول: ليست هوية حتى تنهض البيوت وينهض الشهداء ويعود الوطن أرضاً وسماء، هنا كانت الحرب.. هنا تولد الحياة.

ملف العدد

المؤتمر القومي العربي الرابع والثلاثون

بيروت 7 - 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2025

المؤتمر القومي العربي

عَقَدَ المؤتمر القومي العربي دورته الرابعة والثلاثين، مستأنفاً دوراته الثانوية امتداداً للمؤتمر العربي الأول عام 1913، والتي تهدف إلى توحيد الجهود العربية لمواجهة التحديات، والتركيز على القضايا الوطنية والقومية، وتجديد الفكر القومي العربي لمواجهة القوى الخارجية، فضلاً عن قضايا النهضة العربية والتنمية، وفي المقدمة منها القضية الفلسطينية كقضية مركزية، وضرورة دعم المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، واعتبار المقاومة عنصراً أساسياً في نهضة الأمة.

وذلك في الفترة الواقعة ما بين 7-9 نوفمبر/تشرين الثاني في العاصمة اللبنانية - بيروت، بمشاركة 250 عضواً من مختلف الأقطار العربية.

وقد ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام الأوراق التي قُدِّمت في المؤتمر، والنظام الداخلي، وتوقف أمام المتغيرات والتحديات، وتطورات القضية الفلسطينية في ظل «طوفان الأقصى» وحرب الإبادة التي يشنها الاحتلال الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني في غزة، وتحديات الهيمنة الخارجية والتفكك الإقليمي.

وخلص المؤتمر إلى انتخاب الأمانة العامة له، المكونة من الرفيق ماهر الطاهر أميناً عاماً، والإعلامي غسان بن جدو نائباً له.

خبر

الدورة 34 للمؤتمر القومي العربي
تنهي أعمالها بانتخاب
د. ماهر الطاهر أميناً عاماً

أنهى المؤتمر القومي العربي مساء الأحد 9 /2025/11 دورته الرابعة والثلاثين في بيروت بانتخاب القيادي الفلسطيني البارز الدكتور ماهر الطاهر اميناً عاماً للمؤتمر لمدة ثلاثة سنوات، خلفاً للشخصية الناصرية المصرية البارزة الاستاذ حمدين صباحي، إضافة الى انتخاب امانة عامة جديدة للمؤتمر تضم 25 عضواً من مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب واليمن والبحرين والأردن وسورية وفلسطين ولبنان، على ان تستكمل الامانة باختيار عشرة اعضاء اضافيين.

وكان المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام قد افتتح صباح يوم الجمعة 2025/11/7 بسماع خطابات لقادة المقاومة في فلسطين ولبنان واليمن بالإضافة الى رموز نضالية عربية كبيرة.

وكان المؤتمر قد ناقش تقريراً سياسياً مهماً حول الأوضاع العربية والاقليمية والدولية، وناقش في أربع محاور "مستقبل الصراع العربي – الصهيوني في ظل طوفان الاقصى"، إضافة الى ورقة تتناول المشروع النهضوي العربي وآفاقه، كما استعرض مواقف ومبادرات المؤتمر بين دورتين، والوضع المالي للمؤتمر في ضوء تقرير أعده خبير مالي قانوني.

كما اقر المؤتمر في جلسته الختامية بيانه الختامي "بيان الى الامة" و"نداء بيروت لتطوير الحركة الشعبية العربية".

لقد أثبت المؤتمر القومي منذ تأسيسه انه إطار حواري جامع قادر على جمع متنام للعديد من القوى والشخصيات المنتمية الى تيارات متنوعة، وقادر ان يدير حواراً بينها، ويسعى الى اطلاق مبادرات فكرية وعملية عبر اعضائه.

ولعل اللافت في تجربة المؤتمر هو شفافيتها المالية، واستقلاليتها السياسية، ومواقفها المبدئية، مما جعلها تستمر 35 عاماً دون توقف رغم الزلازل والعواصف التي مرت بها الامة... وهذا بالتأكيد يفسّر الحملات المغرضة التي يتعرض اليها المؤتمر منذ انطلاقته قبل ثلث قرن ونيف.

معن بشّور

شؤون فلسطينية

كلمةالرفيق جميل مزهر
نائب الأمين العام للجبهة الشعبية
في افتتاح الدورة الرابعة والثلاثين للمؤتمر القومي العربي في بيروت

خلال افتتاح الدورة الرابعة والثلاثين للمؤتمر القومي العربي في بيروت
نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: صمود غزة والمقاومة يعيدان فلسطين إلى قلب القضية العربية
القتال والنضال مستمر حتى تحرير كل فلسطين ونرفض مخططات الوصاية على شعب فلسطين

أكد نائب الأمين العام للجبهة الشعبية، الرفيق جميل مزهر، أن صمود غزة والمقاومة وحراك الشعوب العربية والدولية أعاد البوصلة إلى فلسطين وجعلها قضيتنا المركزية، مشدداً على أن الأمة العربية قادرة بمقاومتها وإرادتها ووحدتها وتلاحمها وحشد قواها الحية على إفشال مخططات معسكر العدوان وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، التي تسعى لتصفية كل مظاهر المقاومة العربية واستباحة المنطقة بأكملها.

جاء ذلك خلال كلمة له في افتتاح الدورة الرابعة والثلاثين للمؤتمر القومي العربي في بيروت، حيث وجه رسالة قوية قائلاً: «لن نستسلم، وأن القتال والنضال مستمر حتى تحرير فلسطين، كل فلسطين، وإنهاء نظام الإبادة الصهيوني ومعاقبة مجرمي الحرب؛ فالجواب على الوحشية والإبادة ليس الاستسلام، بل مزيد من الصمود والمقاومة».

وأضاف الرفيق مزهر: «رغم نيران الإبادة وأنين الجراح، تظل رسالة فلسطين حاضرة، من غزة الكرامة والضفة والداخل المحتل والقدس، حاملة صوت أسيراتنا وأسرانا الأبطال، ومنهم الرفيق القائد أحمد سعدات، وصوت عائلات الشهداء والجرحى والنازحين، أطفالاً ونساءً، والصامدين في الخيام ومراكز الإيواء، أو الثابتين على ركام بيوتهم»، موجهاً التحية إلى الأمين العام حمدين صباحي وأعضاء المؤتمر، مع تقدير جهود اللجنة التحضيرية في إعداد الدورة رغم التحديات السياسية والفكرية والإنسانية.

كما وجه التحية إلى غزة الصامدة والمتمسكة بعروبتها، وإلى شهداء ملحمة طوفان الأقصى، القادة العظام: حسن نصر الله، إسماعيل هنية، يحيى السنوار، محمد الضيف، نضال عبد العال، وقائمة طويلة من الشهداء الأبطال.

وأضاف: «نلتقي في لحظة تاريخية فارقة تشتد فيها الهجمة على فلسطين وشعوب أمتنا، وتتعاظم مسؤوليتنا القومية في حماية هوية الأمة ومشروعها التحرري، ونلتقي لنجدد العهد على إرادة النضال والكفاح ضد العدو الصهيوني الذي كان ولا زال وسيبقى عدواً لكل إنسان عربي، ضد مجرمي الحرب ومن يتحالف معهم».

وشدد على أن المعركة لم تنته، ومن المبكر إعلان النصر قبل استيفاء شروطه، مؤكدًا أن اليأس وخيار الهزيمة مرفوضان طالما بقي الشعب يقاوم بصمود وبسالة، موجهاً رسالة لكل معسكر العدوان الاستعماري الذي يحلم بإسقاط الأمة العربية بأكملها واستباحة عواصمها، قائلاً: «قد تقف دباباتكم اليوم قرب دمشق، لكننا ما زلنا نقاتلكم ونواجه هذا المسار التاريخي في القدس عبر قرن من المقاومة والصمود. القدس وغزة ونابلس وجنين لم تسقط؛ شعبها وأبناؤها يرفعون راية العروبة بإرادتهم وتضحياتهم وصمودهم المدني والسياسي والثقافي. لا يزال لم يع الفارق بين أمة متجذرة في أرضها وبين حملات الغزو التي تحطمت مراراً على صخرة عزيمتها».

وأكد الرفيق مزهر على ضرورة أن تكون مهمة هذه الدورة تحويل الغضب الشعبي وصمود المقاومة وبطولات الشعوب العربية في جبهات المواجهة في فلسطين ولبنان و اليمن إلى رؤية استراتيجية وعمل جماعي منظم يعيد للمشروع القومي العربي مكانته كقلب نابض للأمة ودرع يحميها من التفكك والهيمنة.

ودعا إلى إصدار موقف والتزام واضح ببرنامج للعمل مع كل القوى العربية، عنوانه الأساسي رفض أي تراجع أو استسلام أمام الهجمة الاستعمارية الجديدة، والتمسك بحقنا وواجبنا في المقاومة بكل أشكالها، والدفاع عن أمتنا وعن خندقها الأول المتمثل بقضية فلسطين وشعبها، وحشد كل الطاقات لأجل هذا الواجب.

وأكد على رفض المخطط الأمريكي والاستعماري لتصفية قضية فلسطين، وعلى التزام كل القوى العربية بتظهير هذا الموقف وتضمينه في برامجها، وتشكيل لجنة من المؤتمر تختص بتنسيق العمل على مواجهة مخططات التصفية والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

كما رفض مخططات الوصاية على شعب فلسطين، وتبنى الموقف الفلسطيني برفض أي محاولات لتغييرات ديموغرافية أو إدارية في غزة أو فصلها عن باقي الأراضي الفلسطينية، والتصدي لمحاولات خلق واقع ميداني جديد يخالف القانون الدولي.

وطالب بدمج المؤتمر القومي بكل ثقله في جهود التعافي وإعادة الإعمار، وإرسال وفود إلى غزة للمساهمة في عملية التعافي والإغاثة، ودراسة فكرة أن يكون هناك وفد من المؤتمر وحضور ميداني على أرض الواقع في غزة، وعلى هذا الأساس تتشكل لجنة غزة العربية لدعم تنمية وإعمار وازدهار غزة، وإعلانها عاصمة للهوية العربية مطلع العام القادم على أقصى تقدير.

ودعا لإطلاق حملة قانونية عربية ودولية موحدة لتوثيق جرائم الحرب وملاحقة مرتكبيها أمام المحكمة الجنائية الدولية بالتنسيق مع منظمات قانونية ومراكز أبحاث عربية، وبناء في الوقت نفسه جبهة إعلامية عربية موحدة لمواجهة الدعاية الصهيونية وإعادة صياغة الخطاب العالمي حول العدالة في فلسطين؛ مؤكداً أهمية إنشاء منصة تنسيق عربية دائمة تجمع النقابات والأحزاب والمؤسسات الأهلية لتوحيد دعم صمود الفلسطينيين ميدانياً، وتنسيق الجهود الإغاثية والإعلامية، مع بحث تأسيس صندوق شعبي عربي لدعم غزة وصمود أهلها.

وأشار إلى ضرورة تواصل جامعة الدول العربية في جهود الوحدة الوطنية الفلسطينية، ورعاية المصالحة الشاملة، وترتيب البيت الفلسطيني على أسس ديمقراطية ووطنية جامعة.

وشدد على مواصلة الضغط بكل الوسائل لتثبيت وقف إطلاق النار الشامل ورفع الحصار فوراً، والعمل مع القوى البرلمانية والنقابات ومنظمات المجتمع المدني لمواجهة خروقات الاحتلال، وممارسة ضغط فعال في كل المحافل لإجباره على الانسحاب من كافة أراضي غزة، ووقف انتهاكاته في الضفة، وإطلاق سراح جميع الأسيرات والأسرى، وتنفيذ التزاماته وفق القانون الدولي.

وأكد أن الصراع اليوم هو معركة هوية ووجود بين مشروع تحرري عربي واستعماري إحلالي. لذلك، يجب بناء عقيدة استراتيجية عربية تعيد تعريف الصراع كتحرر شامل، وتعزز التنسيق بين المقاومة العربية وشعوب المنطقة وحركة التضامن الدولية، وتواجه التطبيع بخطط كفاحية وسياسية وثقافية وإعلامية واقتصادية.

واعتبر أن تجديد المشروع القومي العربي يتطلب نهضة فكرية تربط بين التحرر الوطني والتنمية والعدالة الاجتماعية، مع إطلاق برنامج ثقافي عربي مشترك حول فلسطين ودمج الشباب في صياغة المشروع القومي الجديد، داعياً لتحويل المؤتمر القومي العربي من رمز إلى مركز تفكير وعمل ميداني، بإعادة هيكلة الأمانة العامة لتضم طاقات شبابية وخبرات فكرية متنوعة من مختلف الأقطار العربية، وأكد أهمية إطلاق شبكة تواصل رقمية، وضمان تنفيذ قراراته وتحويل التوصيات إلى فعل ملموس.

وختم كلمته قائلاً: «لا يجب أن نبدأ من الصفر، بل من إرث طويل من النضال والتضحيات. غير أن التحدي اليوم أعظم والمسؤولية أعمق. فلنجعل من هذه الدورة نقطة انطلاق لمرحلة جديدة من العمل القومي المنظم، تعيد للأمة ثقتها بذاتها وتوحد طاقاتها حول فلسطين، جوهر العروبة وقلبها النابض وميزان كرامتنا».

حوار الهدف

مع الرفيق د. ماهر الطاهر
الأمين العام للمؤتمر القومي العربي

أجرى الحوار:لمى الشطلي ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

في لحظة سياسية مصيرية، يحتدم الصراع بين مشروع المقاومة ومشاريع الهيمنة والوصاية، ويبرز دور المشروع القومي كأحد المشاريع المضادة، الإطار الناظم لرؤية عربية مشتركة لمواجهة الخطر الإمبريالي عبر المشروع الصهيوني المدعوم أمريكياً. يقدم الأمين العام للمؤتمر القومي العربي، الدكتور ماهر الطاهر، في حواره مع مجلة الهدف رؤية شاملة لطبيعة هذا الصراع، وللمخاطر التي تواجه القضية الفلسطينية في ظل محاولات فرض الوصاية الدولية على غزة، ويستعرض دلالات انتخابه أميناً عاماً للمؤتمر القومي العربي ودور المؤتمر في تعزيز الفكر القومي ومواجهة المشروع الأمريكي-الصهيوني.

■ **ما الذي يعنيه لكم انتخابكم أميناً عاماً للمؤتمر القومي العربي في هذا الظرف العربي الحساس؟ وكيف تقرؤون دلالات هذا التكليف في ظل ما تمرّ به الأمة من تحديات سياسية واستراتيجية؟**

لا شكّ أن انتخابي أميناً عاماً للمؤتمر القومي العربي في هذا الظرف العربي الدقيق يُمثّل، قبل أي شيء آخر، تكريماً لفلسطين وللشعب الفلسطيني الذي خاض ملحمة بطولية ستسجّل في التاريخ والذي شكل صفحة مجد مشرقة في مسيرة شعبنا وأمتنا وأحرار العالم كله. وقد جاء هذا الانتخاب بإجماع من الدورة الرابعة والثلاثين للمؤتمر، إدراكاً لرمزية أن يتولى فلسطيني هذه المسؤولية في لحظة دقيقة تمرّ بها القضية الفلسطينية، وما تتعرض له من مخاطر غير مسبوقة.

بالنسبة لي، فإن هذا التكليف جاء في وقت نواجه فيه -كشعب وأمة- تحديات تاريخية غير مسبوقة ومخاطر تستهدف التصفية الشاملة للقضية الفلسطينية. بل إن هذه المخاطر لم تعد محصورة بفلسطين وحدها، وإنما باتت تطال الأمة العربية بأسرها. فحين نتابع تصريحات نتنياهو الذي يتحدث عن "شرق أوسط جديد" وعن مشاريع توسعية كـ "إسرائيل من الفرات إلى النيل"، ندرك أننا أمام مرحلة تتطلب مسؤوليات جسيمة واستنفاراً عربياً شاملاً.

ومع ذلك، نحن على ثقة بأن شعبنا العربي والفلسطيني قادر على مواجهة هذه التحديات، مهما اشتدت الظروف وصعُبت اللحظة الراهنة، لأن إرادة الأمة كانت دائماً أقوى من كل المخططات التي استهدفتها عبر التاريخ.

■ شهد العالم مؤخراً تصويت مجلس الأمن على مشروع القرار الأمريكي المتعلق بمرحلة ما بعد الحرب على غزة، والذي يرى كثيرون أنه يكرّس وصاية دولية جديدة على القطاع وربما على القضية الفلسطينية ككل. كيف تنظرون إلى هذا التطور؟

إن القرار الذي أصدره مجلس الأمن بأغلبية 13 صوتاً وامتناع كل من روسيا والصين، يشكّل في حقيقته محاولة لتحقيق ما عجز عنه الاحتلال الإسرائيلي وحرب الإبادة خلال العامين الماضيين. فالاحتلال فشل في كسر إرادة شعبنا الفلسطيني، ولم يتمكن جيشه من إنهاء المقاومة أو القضاء عليها، كما فشل في استعادة أسراه بالقوة رغم التدمير الهائل والجرائم التي ارتكبها. هذا الفشل الذريع، الذي كان نتيجة مباشرة لصمود الشعب الفلسطيني، دفع نحو محاولة استثمار الأدوات السياسية والدولية لمنح الاحتلال ما لم يستطع تحقيقه عبر القوة العسكرية.

فالقرار يفرض وصاية دولية على قطاع غزة من خلال ما يسمى "مجلس السلام"، وهو نموذج يعيد إلى الأذهان تجربة الانتداب البريطاني على فلسطين، ذلك الانتداب الذي مهد الطريق لزرع الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي. واليوم تُعاد صياغة الفكرة نفسها بصيغة جديدة، هدفها حماية الاحتلال وضمان استمراره، ومنح القوى الدولية صلاحيات حكم انتقالية وسيادية من شأنها إعادة إنتاج الاحتلال بأشكال مختلفة. وهذا ما يرفضه الشعب الفلسطيني والعربي، كما ترفضه قوى المقاومة كافة.

ومن أخطر ما ينطوي عليه القرار محاولة إخراج الشعب الفلسطيني ومرجعياته الوطنية من المعادلة السياسية، وفرض حلول تتجاهل وجود شعب مكافح قدّم تضحيات هائلة، وتستهدف تصفية القضية الفلسطينية بمختلف أبعادها. كما أن القرار يسعى بشكل واضح إلى نزع سلاح المقاومة الفلسطينية عبر وصفها بالإرهاب، في تجاهل صارخ لحقيقة أن المقاومة حق مشروع تكفله القوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة لأي شعب يقع تحت الاحتلال.

إضافة إلى ذلك، يستهدف القرار فصل قطاع غزة عن الضفة الفلسطينية والقدس، بل وحتى تقسيم القطاع نفسه إلى مناطق تخضع للسيطرة الإسرائيلية. فالحكومة الإسرائيلية تعلن بوضوح أنها لا تريد الانسحاب من كامل قطاع غزة، وأنها تسعى للسيطرة على أكثر من 50% من أراضيه.

ومن اللافت أن القرار يتجاهل، بشكل كامل، الجرائم التي ارتكبها الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني. فقد أشارت منظمة العفو الدولية نفسها إلى أن القرار لم يذكر إطلاقاً حرب الإبادة التي تعرّض لها الفلسطينيون، والتي وقع ضحيتها ما يزيد على 250 ألف شهيد وجريح، غالبيتهم من الأطفال والنساء. ولم يتطرق القرار بأي صورة إلى محاسبة المسؤولين عن هذه الجرائم، ولم يطالب بإنهاء الاحتلال أو الانسحاب من الأراضي الفلسطينية.

أما الإشارة الغامضة إلى "إصلاح السلطة الفلسطينية" واعتبار ذلك مقدمة لعملية سياسية نحو مسار قد يؤدي الى إقامة دولة فلسطينية، فهي في رأينا محاولة للتضليل وصناعة وهم سياسي لا يعكس حقيقة الأهداف المطروحة.

لذلك، أعلنت الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي رفضها الصريح لهذا القرار، ودعت الجماهير العربية إلى التحرك، وطالبت الدول العربية والإسلامية باتخاذ مواقف عملية وفعالة لمساندة الشعب الفلسطيني في مواجهة كل محاولات تصفية قضيته الوطنية.

> **انتخابي أميناً عاماً للمؤتمر القومي العربي يمثل قبل أي شيء تكريماً لفلسطين وللشعب الفلسطيني**

■ هناك من يرى أن المؤتمر القومي العربي لم يعد يعكس نبض الشارع العربي كما كان في العقود الماضية، وأن دوره أصبح أقرب إلى تمثيل وفود شكلية. كيف تردّون على هذا الانطباع؟

المؤتمر القومي العربي هو بالأساس مرجعية قومية تضم نخبة من المثقفين والممارسين العرب، وهو ليس حزباً، بل إطار مرجعي يقدم رؤية شاملة للمشروع النهضوي العربي. ومن خلال هذه الرؤية، طرح المؤتمر مشروعاً للنهوض بالأمة العربية، الذي يقوم على ركائز أساسية تشمل: الوحدة العربية، الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، التنمية المستقلة، الاستقلال الوطني والقومي، التجدد الحضاري، وتحرير فلسطين.

ويعقد المؤتمر دورته سنوياً لمناقشة واقع الأمة العربية، وتقديم أوراق عمل وأفكار تشكل مرجعية ومرشداً للقوى الشعبية في الساحة العربية للنهوض بأوضاع أمتنا. وباعتقادي، فإن المؤتمر استطاع تحقيق العديد من النجاحات، ويظهر ذلك من صموده واستمراره على مدى 35 عاماً.

ومن المهم الإشارة إلى أن حضور هذه الدورات يتحمل تكلفتها الأعضاء أنفسهم، بما يشمل تذاكر السفر والإقامة والطعام، بالإضافة إلى الاشتراك السنوي الذي لا يقل عن 100 دولار. ورغم هذه التكاليف والأعباء، استمر المؤتمر في أداء مهامه، وكانت الدورة الرابعة والثلاثون التي انعقدت في بيروت بحضور نحو 250 شخصية دليلاً واضحاً على الالتزام العميق لقناعات أعضائه ورسالة المؤتمر.

لذلك، أرى أن مسيرة المؤتمر القومي العربي مستمرة ومتواصلة، وستظل كذلك في المستقبل. ومع ذلك، هناك حاجة لتطوير العمل المؤسسي للمؤتمر، وتقديم مقترحات عملية لتفعيل الحركة الشعبية العربية، بما يضمن قدرتنا على مواجهة التحديات التاريخية الكبرى التي تواجه الأمة العربية اليوم.

■ المنطقة العربية تواجه خطراً جوهرياً إذا انتقل المشروع الأمريكي إلى حيّز التنفيذ، خاصة أن فلسطين ستكون الساحة الأولى. ما طبيعة هذا الخطر؟ وكيف ينعكس على مستقبل القضية الفلسطينية وعلى المشروع القومي العربي؟

المشروع الصهيوني الذي زرعه الاستعمار في قلب وطننا العربي بدأ منذ احتلال فلسطين أو أجزاء منها عام 1948، وتوسع لاحقاً إلى احتلال كامل فلسطين عام 1967 بما في ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، كما شمل احتلال أراضٍ عربية أخرى في سيناء والجولان. وبالتالي، نحن أمام مشروع استعماري خطير لا تقتصر أهدافه على السيطرة على فلسطين فحسب، بل يمتد ليشمل الوطن العربي بأسره.

اليوم، نحن نمر بمرحلة تاريخية حرجة، إذ يسعى هذا المشروع، المدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الغربية، إلى السيطرة الكاملة على المنطقة العربية. هذا الأمر مرتبط بالصراع الدولي على مستوى الأقطاب الكبرى: الولايات المتحدة، الصين، روسيا ودول مجموعة البريكس، في ظل صراع عالمي محتدم بين القوى الصاعدة والقوى التقليدية التي تسعى للحفاظ على هيمنة القطب الواحد. الولايات المتحدة الأمريكية، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، تحاول الحفاظ على موقعها كقطب عالمي محدد لمصير العالم، وتسعى للسيطرة على المنطقة العربية لكونها منطقة استراتيجية حيوية، غنية بالموارد وممرات مائية مهمة، مستفيدة في ذلك من المشروع الصهيوني لتحقيق أهدافها.

إلا أن المشروع الصهيوني بدأ يواجه تحديات كبيرة نتيجة صمود الشعب الفلسطيني وقوى المقاومة، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة للتدخل المباشر، بعدما تبين لها أن الكيان الصهيوني لم يعد قادراً على تنفيذ المهمات الموكلة إليه بالكامل. لذلك، نشهد اليوم وجوداً أمريكياً واسعاً يسعى للهيمنة على منطقتنا بشكل مباشر.

أما بالنسبة للمشروع القومي العربي، فإن هذا الخطر لا يهدد فلسطين فحسب، بل يشكل تهديداً حقيقياً وملموساً لكل المشروع النهضوي العربي الذي يهدف إلى توحيد الأمة العربية واستثمار طاقاتها وخيراتها. وبالتالي، يمكن القول إن الخطر جسيم ويطال الشعب الفلسطيني والأمة العربية بأسرها، ويستهدف المشروع القومي العربي وكل القوى الحية فيه، مما يستدعي يقظة ومواجهة شاملة لحماية مصالح الأمة العربية ومشروعها القومي النهضوي.

■ ما الآليات العملية التي يمكن للمؤتمر القومي العربي اعتمادها اليوم لحماية القضية الفلسطينية ومنع فرض ترتيبات دولية تُضعف الهوية والقرار العربيين؟

نحن ندرك حدود إمكانيات المؤتمر القومي العربي، فالمؤتمر ليس قادراً على تحمل أكثر مما يحتمل، لكنه يمثل مرجعية فكرية وثقافية، ويطرح رؤى وأفكاراً حول واقع الأمة العربية وكيفية النهوض بها. أما مواجهة التحديات التي تعصف بالأمة العربية فهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق القوى الشعبية، بما في ذلك الأحزاب والقوى السياسية والنقابات والاتحادات، وكذلك الدول العربية التي تتصدى للمشروع الإمبريالي والصهيوني في المنطقة.

في هذا الإطار، يستطيع المؤتمر القومي العربي أن يلعب دوراً ثقافياً وتوجيهياً من خلال إطلاق الأفكار والمبادرات والرؤى التي توجه الفكر العربي في مواجهة هذه التحديات. نحن اليوم أمام خطر يستهدف الهوية العربية، إذ يسعى المشروع الصهيوني الإمبريالي، بدعم القوى الغربية، إلى فرض ما يُسمى بـ»شرق أوسط جديد»، أي محاولة تقويض الهوية العربية واستبدالها بهوية مزيفة لا علاقة لها بالتراث العربي والثقافي.

> **المؤتمر ليس حزباً بل إطار مرجعي يقدم رؤية للمشروع النهضوي العربي**

إن هذه المخاطر ليست مجرد تهديد سياسي أو عسكري فحسب، بل تهديد ثقافي شامل يطال التاريخ والحضارة والوجود العربي. ومن هنا، فإن الأمة أو أي شعب قد يخسر معركة سياسية أو عسكرية، لكن من غير المقبول أن نخسر المعركة الثقافية والهوية العربية في مواجهة التحديات الراهنة.

لذلك، يضطلع المؤتمر القومي العربي بدور أساسي في الحفاظ على الهوية العربية واستنهاض المشروع النهضوي العربي، مع التركيز على البعد الثقافي الذي يحمي الشخصية العربية ويعزز وعيها، ويصون جذورها التاريخية والثقافية في مواجهة محاولات التغييب والتشويه التي تستهدف الأمة.

يُطرح اليوم سؤال جوهري حول مستقبل المشروع النهضوي العربي: هل يبدأ الإحياء من مراجعة نقدية عميقة للتجربة القومية، أم من إعادة تعبئة الصفوف العربية خلف مشروع وحدوي بآليات جديدة؟

سألني أحد الكتاب العرب، وهو من الباحثين المعروفين، قائلاً: «ألا تعتقد أنه آن الأوان لأن نقول وداعاً للفكر القومي العربي وللعروبة، خاصة بعد ملحمة الطوفان الأقصى وحرب الإبادة التي مورست ضد الشعب الفلسطيني؟» وكان جوابي، وأنا مقتنع به بعمق، أن الوقت قد حان لإحياء واستنهاض الفكر القومي العربي، لأن خلاص أمتنا من المخاطر المحدقة بها من كل جانب لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال العمل على تحقيق أهداف هذا الفكر.

هل هذه الأهداف غير واقعية؟ أليست هذه هي الأهداف التي يسعى إليها الشارع العربي والجماهير العربية حتى هذه اللحظة؟ صحيح أننا واجهنا أزمات وتراجعاً، وعلينا الاعتراف أن هناك تراجعاً في حركة الفكر القومي العربي، لكن هذا التراجع لا يعني فشل المفاهيم والمقولات التي طرحها هذا الفكر.

المقولات والمفاهيم المتعلقة بالوحدة، والتحرر، وتحرير فلسطين، والعدالة الاجتماعية، والديمقراطية، كانت ولا تزال وستبقى أهداف الجماهير العربية. هذه الأفكار والمقولات صالحة وحية، وتشكل في اعتقادي، الطريق الأساسي لخلاص أمتنا من التحديات والمخاطر التي تواجهها.

ومع ذلك، علينا الاعتراف بأن هذا الفكر يحتاج إلى تطوير ومراجعة نقدية ذاتية. يجب أن نسأل: أين أخطأنا؟ أين أصبنا؟ هل تصرفت الحوامل التي حملت هذا الفكر بطريقة سليمة؟ هل تحققت الأهداف والشعارات التي تم رفعها؟ هنا تكمن الحاجة لاستخلاص الدروس والعبر من تجربة ومسار العمل القومي خلال العقود الماضية.

على سبيل المثال، نحن كقوة شعبية عربية وكقوة سياسية، ولم نمتلك أيضاً كدول عربية، رؤية واضحة وموحدة لكيفية مواجهة المشروع الصهيوني. كانت هناك اجتهادات متباينة، ولا يزال البعض يعتقد أنه لا إمكانية للتعايش مع المشروع الصهيوني، وأنه صراع تاريخي غير قابل للحلول السياسية، وهذا ما برهنته مسيرة الأحداث خلال العقود الماضية. المشروع الصهيوني يسعى للسيطرة الكاملة على فلسطين، ويتنكر لوجود الشعب الفلسطيني وأي حقوق مشروعة له. بعض الأطراف كانت تدعو إلى الحل السياسي والتسوية أو التعايش مع هذا المشروع، مثل ما يسمى بحل الدولتين لم تتشكل رؤية موحدة لمواجهة هذا المشروع، وما زالت الحاجة قائمة لوضع رؤية عربية موحدة لمواجهة الخطر الصهيوني، قائمة على مبدأ أن فلسطين لها معنى واحد وهو تحرير كل ذرة من ترابها.

أيضاً، فيما يتعلق بالديمقراطية، فقد افتقدت الأمة خلال العقود الماضية الديمقراطية بمفهومها الشامل، ولم نتمكن من استنهاض طاقات شعوبنا ومؤسساتنا لدعم معركة التحرير ومواجهة العدو الصهيوني. لم يتم استثمار الطاقات المجتمعية والأمة العربية والدول العربية بالشكل الأمثل لمواجهة هذا المشروع، في حين أن العدو الصهيوني استثمر طاقاته بدعم من القوى الإمبريالية والاستعمارية، وحقق أهدافه ووسع احتلاله لفلسطين والأراضي العربية، ولا يزال يطمح للسيطرة على المزيد.

كما أن تجربتنا السابقة شهدت غياب علاقة جدلية سليمة بين البعدين الوطني والقومي؛ إذ ركز البعض على العامل الوطني وتجاهل البعد القومي، في حين ركز البعض الآخر على البعد القومي وتجاهل العامل الوطني. من الضروري وجود رؤية عميقة للعلاقة بين البعدين الوطني والقومي. على سبيل المثال، الشعب الفلسطيني بحاجة إلى إبراز الشخصية الوطنية الفلسطينية لمواجهة المشروع الصهيوني الذي يسعى لتفكيك الكيانية الوطنية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه لا ينبغي تجاهل البعد القومي في هذا الصراع.

أما بالنسبة لجدل العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك، فنحن بحاجة إلى ربط وثيق بينهما، بحيث لا تؤثر أي خطوة تكتيكية على استراتيجيتنا في تحرير كامل تراب فلسطين. هناك الكثير من الدروس والعبر التي يمكن استخلاصها من التجربة السابقة، لضمان أن يكون المشروع القومي قادراً على التعلم من الماضي ورسم آفاق مستقبلية واضحة وواقعية، تستفيد من الأخطاء السابقة وتستجيب لتحديات الحاضر والمستقبل.

■ في ظل صعود مشروع التطبيع واتفاقيات إبراهام، وتراجع الأدوار العربية الرسمية، هل ما يزال المشروع القومي العربي يتمتع بجدوى وحضور في وعي الشعوب العربية؟ وكيف تقرؤون التناقض بين ما تريده الأنظمة وما تعبّر عنه الشعوب؟

أظهرت استفتاءات عديدة في مختلف البلدان العربية أن أكثر من 90% من أبناء الأمة العربية يرفضون التطبيع ويرفضون هذه الاتفاقات، إدراكاً منهم لحقيقة الخطر الصهيوني الذي يهدد الشعب العربي بأسره.

وللتوضيح، يمكن النظر إلى تجربة مصر وتجربة الأردن كمثالين حيّين على هذا الرفض الشعبي المستمر. ففي مصر، رغم توقيع اتفاقات رسمية مع الكيان الإسرائيلي، فإن الشعب المصري الأصيل رفض التطبيع بكل حزم، وأظهرت النقابات والاتحادات الشعبية موقفاً صارماً حين كان أي عضو يقوم بزيارة الكيان الصهيوني، حيث يتم فصله فوراً من النقابة. وبالمثل، في الأردن، على الرغم من توقيع اتفاقية وادي عربة، ظل الشعب الأردني الأصيل يرفض التطبيع ويرفض الانخراط في أي علاقات طبيعية مع الكيان الإسرائيلي.

هذا الرفض الشعبي المستمر يوضح أن الكيان الصهيوني يدرك إدراكاً تاماً أن شعوب الأمة العربية برمتها ترفض وجوده ومخططاته العدوانية، وأن أي محاولات لفرض التطبيع أو فرض ترتيبات سلام من طرف واحد لن تُغيّر موقف الشعوب العربية. لذلك، عندما يتحدث القادة الصهاينة عن «سلام الأقوياء» أو «سلام القوة»، فإن هذا يعكس إدراكهم العميق لرفض الشعب العربي الكامل لوجودهم ولأهدافهم التوسعية.

حتى تجربة اتفاقات أوسلو تظهر هذا الواقع بوضوح، فقد قدم الجانب الفلسطيني الرسمي تنازلات كبيرة، بما في ذلك الاعتراف بالكيان الإسرائيلي وإلغاء بنود من ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية، والابتعاد عن العنف، ومع ذلك، وبعد أكثر من ثلاثين عاماً، لم يتم الاعتراف بأي دولة فلسطينية، بل استمر الكيان الصهيوني في إنكار حقوق الشعب الفلسطيني ذاته ورفض أي حلول تلبي الحد الأدنى من مطالبه.

الفكر القومي يحتاج مراجعة نقدية عميقة واستخلاصاً لدروس الماضي

في هذا السياق، يلعب المشروع القومي العربي دوراً أساسياً في الحفاظ على الوعي العربي وصيانته أمام كل محاولات التطبيع. فالمؤتمر القومي العربي، من خلال طروحاته وأفكاره وأوراق العمل التي يقدمها للرأي العام، بالإضافة إلى ما يصدره مركز دراسات الوحدة العربية من كتب وأبحاث، يشكل حصانة فكرية وثقافية ضد محاولات كي الوعي لدى الشعب العربي والفلسطيني. وهذا الدور كان واضحاً خلال الأحداث الأخيرة، حيث فشل مشروع كي الوعي الذي حاول الكيان الصهيوني فرضه على الشعب الفلسطيني والشعب العربي، رغم الحروب ومحاولات التدمير والإبادة.

لقد برهن صمود الفلسطينيين، وخاصة في قطاع غزة لمدة عامين متتاليين، أن هذا الوعي العميق يشكل قوة مضادة للكيان الصهيوني، ويؤدي إلى نتائج معاكسة على العدو نفسه. فقد بدأ الكيان الصهيوني يشهد هجرة عكسية لعشرات الآلاف من مستوطنيه، مما يشكل خطراً استراتيجياً على مستقبل هذا الكيان، ويؤكد أن قوة الوعي القومي والشعبي العربي الفلسطيني لا يمكن كسرها أو محاصرتها، وأن المشروع القومي العربي لا يزال يشكل الدرع الحامي في وعي الشعوب العربية، والمحرك الرئيسي لاستنهاض الوعي والثقافة الوطنية والعربية لمواجهة كل مشاريع التطبيع والابتزاز السياسي.

■ ما الأدوات الواقعية والمؤسساتية التي يمكن للمؤتمر القومي العربي الاعتماد عليها لإعادة وصل ما انقطع بين الأجيال العربية والفكرة القومية، وإحياء الإيمان بجدوى المشروع النهضوي؟

لا شك أن الأمة العربية بحاجة ماسة إلى أدوات عملية لتعزيز الوعي القومي بين الأجيال الجديدة وضمان إدراكهم للمخاطر المحدقة بالأمة. ومن هذا المنطلق، يعمل المؤتمر القومي العربي على تعزيز التواصل مع الأحزاب والقوى الشعبية العربية والنقابات، بهدف طرح أفكار وخطوات عملية ملموسة تمكن الشباب والقوى الحية في الأمة من مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية بوعي وإدراك كاملين.

وفي هذا الإطار، يجدر الإشارة إلى أن المؤتمر القومي العربي لا يقتصر على عقد دورته السنوية فحسب، بل ينظم أيضاً كل عام دورة خاصة بمخيم الشباب القومي العربي. وقد عقد المؤتمر العديد من هذه الدورات في بلدان مختلفة مثل لبنان وتونس والعديد من الدول العربية الأخرى.

لقد كانت تجربة مخيم الشباب القومي العربي ناجحة بكل المقاييس، حيث حضرها أكثر من 150 شاباً وشابة من مختلف البلدان العربية في كل دورة. وخلال المخيم، يشارك الشباب في ندوات ومحاضرات، ويقدمون مبادرات، ويجرون مناقشات موسعة حول الأوضاع في بلدانهم وتجاربهم الوطنية، ويتبادلون الخبرات والرؤى، ويتعرفون على بعضهم البعض، مما يعزز روح التواصل والتعاون بين الأجيال العربية الجديدة.

وقد أثمرت هذه التجربة عن تواصل مستمر بين المشاركين بعد انتهاء المخيم، حيث تمكن العديد منهم من شغل مواقع ومراكز قيادية في بلدانهم، مع استمرارهم في التواصل وتبادل الخبرات. وتعتبر هذه التجربة نموذجاً قيماً يثبت إمكانية بناء أجيال عربية واعية وملتزمة بالمشروع القومي العربي، كما أنها توفر أرضية صلبة لتعزيز العمل المشترك بين الشباب العربي في مختلف الدول.

ومن هذا المنطلق، يؤكد المؤتمر القومي العربي على ضرورة متابعة وتطوير تجربة مخيم الشباب القومي العربي في المرحلة القادمة، بهدف تعزيز فاعليتها، وتوسيع قاعدة المشاركين، وتقديم برامج أكثر شمولية تتوافق مع احتياجات الأجيال العربية الجديدة، لضمان استمرار استنهاض الوعي القومي العربي والحفاظ على المشروع النهضوي العربي في مواجهة التحديات المعاصرة.

آن الأوان لاستنهاض الفكر القومي العربي لمواجهة المشروع الصهيوني الأمريكي وحماية القضية الفلسطينية

■ كيف تقيمون العلاقة اليوم بين القوى الشعبية العربية والقوى الرسمية؟ وهل ترون إمكانية لولادة كتلة تاريخية عربية جديدة تجمع بين قوى التحرر والقوى القومية والمجتمع المدني في مواجهة المشروع الأمريكي-الإسرائيلي؟

نحن بحاجة ماسة إلى بناء كتلة تاريخية، وهو المفهوم الذي طرحه المؤتمر القومي العربي كإطار عملي لتوحيد الطاقات المختلفة في الوطن العربي. وتعني الكتلة التاريخية أننا يجب أن نعمل على جمع التيارات الفكرية والسياسية المتنوعة في الساحة العربية، والتي تتبنى موقفاً معارضاً للاستعمار والإمبريالية والمشروع الصهيوني، وتعمل جميعها على حماية مصالح الأمة العربية ومستقبلها.

فالساحة العربية اليوم تضم قوى متعددة ومتنوعة: هناك التيار القومي، والتيار اليساري، والتيار الليبرالي، والتيار الإسلامي ، وكل منها يحمل رؤية مختلفة حول كيفية معالجة الأوضاع في المنطقة. غير أن المرحلة الماضية شهدت جهوداً ممنهجة من قبل الاستعمار والقوى الصهيونية لتفتيت هذه القوى، وإشعال النزاعات فيما بينها، وذلك لضمان استمرار الهيمنة على المنطقة وعرقلة أي جهود نحو الوحدة والتكامل. فقد سعت تلك القوى إلى إشعال الصدامات بين الفكر القومي والفكر الإسلامي، أو بين الفكر اليساري والفكر الإسلامي، بهدف إضعاف كل تيار على حدة ومنع أي تنسيق جماعي بين القوى الوطنية والقومية.

من الاستخلاصات الأساسية التي أفرزتها التجربة التاريخية للقرن الماضي أن كل تيار من هذه التيارات قدم إسهامات وأفكاراً مهمة. فالفكر القومي

شدد على أهمية الوحدة العربية وركز على هذا المفصل الحيوي في مستقبل الأمة. أما الفكر الإسلامي، فقد حمل ويحمل الموروث الحضاري للأمة العربية، وقدم التيار الجهادي الإسلامي نماذج مشرفة من الصمود والمقاومة ضد الاحتلال. والتيار اليساري قدم رؤية دقيقة للواقع الاجتماعي وأهمية بناء مجتمعات ترفض التبعية وتحقق العدالة الاجتماعية والمساواة.

اليوم، المطلوب هو العمل على توحيد هذه الطاقات المختلفة ضمن إطار الكتلة التاريخية، بالتركيز على القواسم المشتركة، بعيداً عن النزاعات والاختلافات الثانوية التي أضعفت العمل المشترك في الماضي. هذه الكتلة التاريخية يجب أن تضم التيارات الفكرية والسياسية المختلفة، بالإضافة إلى النقابات والاتحادات، لتشكل قوة مجتمعية جامعة تستنهض طاقات الأمة العربية بمختلف توجهاتها، وتضعها في مواجهة المشروع الصهيوني الإمبريالي الذي يستهدف الأمة بأكملها.

إن تشكيل هذه الكتلة التاريخية ليس خياراً ثانوياً، بل هو ضرورة استراتيجية لإعادة بناء وحدة الطاقات العربية، والحفاظ على الهوية الوطنية والقومية، وتحقيق مشروع نهضوي عربي قادر على مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية، بما يضمن حماية مصالح الأمة وأمنها القومي على المدى الطويل.

■ أنتم قيادي بارز في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، واليوم تتولون موقع الأمين العام للمؤتمر القومي العربي. كيف يتقاطع المشروع الفكري والسياسي للجبهة الشعبية مع الرؤية القومية العربية التي يحملها المؤتمر؟ وهل ترون نقاط تلاقٍ يمكن البناء عليها؟

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي تنظيم فلسطيني، مؤمن بعمق بالقومية العربية والبعد العربي للقضية الفلسطينية، وتنظيم يساري ملتزم بتحقيق العدالة الاجتماعية والاشتراكية ووقف استغلال الإنسان بالإنسان، وله بعده الأممي. على هذا الأساس، ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أنها تنسجم إلى حد كبير مع الأفكار التي يطرحها المؤتمر القومي العربي.

نحن في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نؤمن إيماناً عميقاً بأن قضية فلسطين قضية عربية، وأن تحريرها يتطلب طاقات الأمة العربية بأسرها، وليس الشعب الفلسطيني وحده. ورغم الأوضاع المعقدة التي نواجهها اليوم في الحالة العربية، فإننا على قناعة راسخة بأن الشعب العربي أيضاً مؤمن بأن قضية فلسطين هي قضيته، ولذلك رفض التطبيع. كما أن الأجيال الجديدة تؤمن إيماناً عميقاً بعدم شرعية وجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، ولا شرعية لوجود هذا الكيان على الأرض العربية.

أما فيما يتعلق بنقاط الالتقاء بين رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأفكار المؤتمر القومي العربي، فإن المشروع النهضوي العربي يمثل مشروعنا الأساسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. منذ تأسيس الجبهة، أكدنا على الوحدة العربية، والديمقراطية، والاشتراكية والعدالة الاجتماعية، والاستقلال الوطني والقومي ورفض التبعية، بالإضافة إلى التجدد الحضاري، إذ ينبغي أن يكون لدينا مشروع إنساني مرتبط بحضارات العالم، ويتفاعل مع كل القوى العالمية المؤمنة بالحرية والعدالة، ومواجهة الإمبريالية التي تمثل عدواً للشعوب وللإنسانية.

وبناءً على ذلك، فإن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ترى أن انسجامها مع المؤتمر القومي العربي ، وأن المشروع النهضوي العربي هو الإطار الذي يجمع بين رؤى الجبهة ومبادئ المؤتمر، ويشكل المشروع الذي يسعى إلى تحقيق أهداف الأمة العربية وحماية قضيتها المركزية، فلسطين، في ظل كل التحديات الراهنة.

على هامش المؤتمر القومي العربي الذي انعقد مؤخرا في بيروت الهدف تلتقي بعدد من الشخصيات الفاعلة والناشطين السياسيين

◄ محمد أبو شريفة ـ مدير تحرير مجلة الهدف

«كل ما هو ضروري للنصر وجد»

المناضل الأسير
جورج عبد الله:

جورج عبد الله طليقاً من السجون الفرنسية، إنه المناضل الأسير الذي عانق الحرية، المناضل في وجوه متعددة، ومتجددة منذ شبابه إلى كهولته، ثمة سيرورة تاريخية شكلته كعلامة فارقة، تكثفَ رحلته النضالية، وتجهر بوعيه القومي والوطني والأممي وصلابته، كما رؤيته العميقة للتحولات والمشهد السياسي الفلسطيني والعربي والعالمي والأدل إيمانه بدور مجلة الهدف الريادي، والتنويري، ووعيه بقوانين الصراع بمستوياته كافة مع الأمبريالية والصهيونية وثقته الراسخة بالنصر، وحسم الصراع لصالح الشعوب وفي المقدمة منها الشعب الفلسطيني.

■ ذكرياتك الأولى مع مجلة الهدف؟

العلاقة قديمة جداً. كنت شابًا آنذاك وفي العشرينيات من عمري (تريد أن تعيدني لشبابي. أنا عمري الآن 74 سنة)، ، يمكننا القول إن الأطراف التي كانت تشرف على «الهدف» كانت لها علاقة، ليس فقط مع مجلة «الهدف»، بل مع أجهزة الجبهة.

■ هل التقيتُ غسان كنفاني سابقًا؟

طبعًا، كان لغسان دور كبير. أنا شخصيًا لا أعرفه مباشرة، لكننا ربينا على إنجازاته.

■ ما هو تقييمك للمؤتمر القومي العربي بالدورة الرابعة والثلاثين؟

المؤتمر هو إطار يمكن أن يلتقي فيه الناس وتُطرَح بعض الأفكار، ونرى حالة المثقفين من هذا النمط أين هم؟!. لا نحمله أكثر من طاقته، مجرد وجوده هو في حد ذاته مكسب، المهام المطلوبة من خارج المؤتمر كبيرة. فالمطلوب إذن فهم الأقطار العربية بشكل ثوري. ومطلوب من «الهدف» وغير «الهدف» أن يبحثوا ويحفروا ويجيبوا على أسئلة كبيرة: مثل أين الجماهير العربية؟ ولماذا؟ وما معنى أن الجماهير الأوروبية تتحرك؟ ولماذا؟

لماذا التضامن مع فلسطين اليوم؟ ماذا يعني؟ هل هو محبة فلسطين أم هناك عوامل أخرى؟ هل الكوفية التي يحملها المتظاهر الأوروبي تعبر فقط عن تضامنه مع الشعب الفلسطيني وآلامه؟ أم تعبر عن رفضه للنظام العالمي الذي يجعل من حرب إبادة موضوعًا للنقاش الثانوي؟

نريد أن نرى: هل حالة الجماهير العريضة هذه التي نزلت إلى الشوارع، هل من الممكن أن تكون الكوفية الفلسطينية هي عنوان لمواجهة صيرورة الفاشية في هذه الأنظمة؟ هل هناك علاقة بين أن يكون حزب «الجبهة الوطنية» لمارين لوبان في فرنسا أول حزب، وبين تحرك الجماهير تحت راية الكوفية الفلسطينية؟

أقصد أن مارين لوبان هي أول حزب في المشهد البرلماني، وهو حزب فاشي وهو مع «إسرائيل» بكل أبعادها، مع «إسرائيل» أكثر من (بن غفير) و(سموتريتش) أنفسهم.

هذا اليمين المتطرف يسمى يمينًا متطرفًا، ولكنه في الحقيقة يمين فاشي، وهو الذي كان يُعتبر معاديًا للسامية. ما معنى أن يتغير مضمونه؟ وما معنى أن تقف الجماهير مع فلسطين في وجه هذه الصيرورة الفاشية؟

هذا يقودنا إلى سؤال: كيف تقيم أداء النخب العربية؟ هل هي بالفعل حققت مستوى الوعي المطلوب؟

من هي النخب العربية؟!. قد نختلف على مقولة «النخب»، النخب العربية هم الناس الذين يواجهون بالبندقية، أم هم الناس الذين لديهم إمكانية التكلم على المحطات الإذاعية بدون أن يكون لهم علاقة بممارسة الكفاح، ويعطون نصائح ويقولون افعلوا ذلك ولا تفعلوا ذلك؟

هل كتلة المثقفين العرب تلعب دورها أم لا؟ تقديري الشخصي: لا تلعب دورها. هذه هي المسألة المركزية.

دور الجبهة الشعبية و«الهدف» من خلال وجودها في الجبهة الشعبية، دور أساسي في محاربة كل الأفكار التي أدت إلى هزيمة حركة الجماهير، فالجماهير العربية لا تتحرك الآن ليس فقط، لأن هناك قمعًا، فمقولة القمع غير صالحة للاستخدام. لم يسقط في مصر عشرون ألف قتيل، ولم تكن هناك مظاهرة ليموتوا فيها أساسًا، لم ينزلوا إلى الشوارع خوفًا من الموت. هذا الخوف لماذا؟ ماذا يعني أن يُخوَّف الشعب في فرنسا ويدخلون السجن في فرنسا ويستمرون؟ لماذا لا تحصل في مصر ثورة؟ هناك مئات آلاف الأسرى في السجون المصرية، ولكن هناك ظروفًا اجتماعية اقتصادية تدفع للثورة... أين نحن منها؟

■ ماذا تقول في الذكرى الثانية لـ معركة «طوفان الأقصى» ؟

«طوفان الأقصى» يشكل حالة حاسمة ما بين ما قبل وما بعد «طوفان الأقصى»، وضعَ «إسرائيل» في موقعها في آخر فصل من فصول وجودها، بعكس كل الدعايات. دور «الهدف» أن تفضح هذه الدعايات المغرضة والدعايات التطبيلية. «إسرائيل» اليوم هي أضعف من أي فترة سابقة. كانت لديها في سنة 1970 مؤسسات اقتصادية فردية، وفي التسعينيات بدأت تشكل حالة اقتصادية متقدمة من خلال «السيليكون فالي» وغيرهم، مع مليون من المعسكر الاشتراكي وعدد كبير من المليارات.

«طوفان الأقصى» أدى إلى ضرب كل هذا. «إسرائيل» حاليًا تتحدث وكأنه لم يحصل «طوفان الأقصى»، تتكلم وكأن «السيليكون فالي» ما زال موجودًا. «السيليكون فالي» طار، والمؤسسات المالية الأوروبية طارت بفعل «طوفان الأقصى» ولن تعود لا اليوم ولا غدًا، لأسباب موضوعية، وهي وضع الرأسمال العالمي وهو في حالة صدام مع ذاته، لأن هناك أزمات مستعصية. فالرأسمال الأمريكي لديه 32 تريليون عجز ولا توجد أزمة أكبر من هذه. لذلك فالرأسمال الأمريكي بقيادة ترامب يدوس على كل المعاهدات الدولية، ويحاول قدر المستطاع أن ينهب بأسرع ما يمكن عن طريق البلطجة؛ لأنه يرى أن الأمور قد وصلت إلى الزاوية.

علينا أن نفهم ما الذي يحصل في أمريكا، ومتى ستنفجر الثورة؟ التناقضات بين الإمبرياليات بلغت حدًا، أننا أصبحنا على أبواب حرب عالمية ثالثة. والذي يمنع الحرب العالمية الثالثة، هي الثورة في فرنسا، في إيطاليا، وغيرها، دور «الهدف» أن تقول لنا كيف سيحصل هذا، وما هي العلاقة بين جماهيرنا وجماهير أوروبا، كيف يمكننا التنسيق بين بعضنا البعض.

■ هل كنت تتوقع أن تنال الحرية؟

طبعًا. ولكن السؤال الأساسي الذي كان يشغل بالي، مثل أي مناضل، (أنا كنت مناضلًا في الأسر) وبالتالي كانت مهمتي أن أرى أين يمكنني التعبير عن النضال. لم أكن أسيرًا مناضلًا، ولو كنت ذلك لكنت خرجت منذ زمن طويل. أنا لست أسيرًا مناضلًا، بل أنا مناضلٌ أسير. إذا كان الأمريكي يملي في الثمانينيات بقصف شعبنا وكان مجرم حرب، اليوم هناك حرب الإبادة، وهو أكثر من مجرم حرب، هو وكل المؤسسات التي تحيط به، وكل التشكيلات الاجتماعية التي يعبر عنها. وشعرت أن كل ما هو ضروري للنصر وُجِد. وجدت الناس، وجدت أبطال غزة، أبطال الضفة الذين وقفوا في وجه العدو. وجدت الرجعية العربية التي وقفت كليًا في صف العدو. واليوم أبناء غزة يقولون: «نحن ندوس على هذه البرجوازية العربية».

سلوى جابر

عضوة في الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع الكيان الصهيوني

أكدت في معرض إجابتها عن الأسئلة الخاصة برسالتها من خلال مشاركتها في أسطول الصمود كما التحديات التي واجهة الناشطين وتعامل الاحتلال كذلك الدلالة التي ينطوي عليها التضامن مع الشعب الفلسطيني ومشاركة البحرين في أسطول الصمود العالمي والاستعداد لتكرار التجربة حيث نوهت إلى أن أسطول الصمود حدث عظيم لأول مرة في كل تاريخنا نحصل على هذا التضامن والإضاءة على القضية الفلسطينية التي هي قضية كل العالم الحر. وأضافت

أبحرنا مع الأسطول العالمي للصمود في بداية شهر سبتمبر الماضي ، بناءً على ما قام به الكيان الصهيوني من مجازر وتجويع ظالم، ومن حرب وحشية على غزة والضفة الغربية وكل فلسطين أيضًا، حيث إن الأجهزة الرسمية لم تتحرك ولم تقم بدورها في هذا المجال. ولذلك تحركنا مع الأسطول العالمي، وجاء هذا التحرك استكمالًا للحركة الأولى التي كانت في مصر، وهي الزحف البري لمدة ثلاثة أيام سيرًا على الأقدام إلى غزة، ولكننا لم نُوفَّق في تلك الحركة. وبناءً على ذلك تم الاستعداد لتسيير أسطول بحريٍّ يُبحر إلى شواطئ غزة.

ضمَّ هذا الأسطول مشاركين من كل أنحاء العالم، وكان من المفترض أن يتكوَّن من نحو مئة قارب تُبحر في البحر الأبيض المتوسط،

ولكن ما حدث هو أنه قبل الإبحار تم تخويف المشاركين عبر تصريحات بن غفير، الذي قال إنهم «هيأوا سجنًا كبيرًا لهؤلاء الإرهابيين القادمين لزعزعة أمننا»، وكأنه يتحدث عن شيء يخصه، يتحدث عن وطنه، لا عن بلد اغتصبوه من أهلها.

ثم جاءنا الصحفيون في محاولة لتخويفنا وإحباط عزيمتنا عن الإبحار، وقبل الإبحار أيضًا تم استهداف قاربين في الموانئ التونسية بغرض الترهيب وتعطيل حركة الأسطول. كما حاول بعض الصحفيين ثنينا عن الإبحار قائلين إن الأوضاع خطيرة وإن شهر سبتمبر يشهد عادةً عواصف بحرية، لكننا أصررنا على المضي قدمًا في هذه الخطوة والإبحار نحو شواطئ غزة من أجل فك الحصار، ومن أجل وقف التجويع الظالم، ومن أجل إدخال المساعدات المتراكمة على المعابر.

قلنا لهم: يجب فتح المعابر وتوصيل هذه المساعدات الإنسانية. وفعلاً تم الإبحار من موانئ تونس. وهنا نقطة مهمة: عندما تم ضرب القوارب في الموانئ التونسية، جاء مئات الأشخاص من تونس ومن خارجها دعمًا للأسطول، لدرجة أنهم افترشوا أرض الميناء وبقوا في العراء ليؤكدوا أن لا شيء يرهبهم، وأنهم لن يتراجعوا أمام هذه الممارسات العدوانية التي يقوم بها الكيان الصهيوني الغاضب ضد أهلنا وضد الأحرار والمناضلين في أسطول الصمود العالمي.

لونا أبو سويرح
مديرة مركز دراسات الوحدة العربية

ينعقد اليوم المؤتمر القومي العربي في دورته الرابعة والثلاثين. المؤتمرُ القوميُّ العربيُّ هو مؤتمر جامع لهيئات شعبية وأحزاب سياسية وممثلين عن مؤسَّسات عربية وقومية في الوطن العربي، ويجبُ أن يلعبَ دورًا أكثرَ فاعلية —من وجهة نظري— في تكوين الوعي الجماهيريّ والشعبيّ العربيّ وأنْ يكونَ رافعةً شعبيةً عربية.

للأسف، خلال حرب الإبادة التي شكلت زلزالًا للمنطقة العربية والوطن العربيّ، والتي هزتنا وكشفتنا وعرتنا جميعًا كأمة عربية، لم يكن أداءُ المؤتمر القوميّ العربيّ أو أدواته ووسائله على مستوى الحدث؛ إذ يفتقدُ إلى قاعدة شعبية جماهيرية قوية وكبيرة تستطيع فعلاً أن تُعلّي الصوتَ وتناصرَ غزةَ وأهلَها. نأملُ أنْ نكثّفَ جهودَنا لربطِ المؤتمر القوميّ المركزيّ وانعقادِه السنويّ مع قواعدٍ شعبية، حتى يستطيعَ فعلاً أنْ يكونَ رافعةً للجماهير العربية.

حسن المرزوقي
أمين عام حزب التجمع الوحدوي في البحرين

يشاركُ في المؤتمر أكثرُ من مئتين وخمسين شخصيةً من الوطن العربيّ في دورته الرابعة والثلاثين. هؤلاء هم نخبةُ الأمة العربية جاءوا من أقطارهم ليقولوا للعالم أجمعَ إنهم مع المقاومة الفلسطينية ومع المقاومة اللبنانية ومع المقاومة في العالم أجمع ضدَّ الاحتلال الصهيوني. نحن هنا في بيروتَ ونرى أمس واليوم طائراتِ العدوِّ الصهيونيّ تحومُ في السماء تحاولُ أن توصلَ رسالةً مفادُها أنها ما زالتْ مستمرةً في عدوانها على لبنانَ وعلى فلسطينَ وغزةَ وبعضَ الدولِ العربية.

أتينا من أقطارنا لنقولَ لهذا الكيانِ إننا مع القضية الفلسطينية ومع تحرير فلسطينَ من النهرِ إلى البحر. بوصلتُنا فلسطينُ — شعبًا ومقاومةً — ونحن ضدُّ التطبيعِ بكافةِ أشكاله.

رضي الموسوي
كاتب وباحث سياسي من البحرين

يأتي انعقادُ المؤتمرِ القوميّ العربيّ تأكيدًا على أن هذه الأمةَ حيَّةٌ وستقدَمُ المزيدَ من الجهودِ والمزيدَ من التضحياتِ كي تسيرَ في طريقِ التطورِ وتواكبَ النضالَ الوطنيَّ الفلسطينيَّ، خاصّةً في قطاعِ غزة بعد مرورِ عامين على طوفانِ الأقصى؛ هذا الطوفانُ الذي غيّرَ المعادلاتِ وغيرَ الكثيرَ على المستويين العربيّ والدولي. نعتقدُ أنه بعد سنتين من طوفانِ الأقصى، لم يعدَ العالمُ كما كانَ قبلَ الطوفان.

هذه الجموعُ البشريةُ في الدولِ الغربيةِ تساندُ فلسطينَ وقادرةٌ على الخروجِ والقولِ «لا» لحربِ الإبادةِ الجماعيةِ التي يمارسُها هذا الكيانُ وداعموهُ في غزةَ والأراضي الفلسطينيةِ المحتلّة.

تأتي أهميةُ انعقادِ المؤتمرِ القوميّ العربيّ ليكونَ عصفًا ذهنيًا للوصولِ إلى إرهاصاتٍ وتقديمِ مقترحاتٍ وبرامجَ عملٍ للجماهيرِ والنخبِ العربية، من أجلِ الدفعِ في معركةِ الوعيِ والنضال.

د. عصام السعدي
باحث سياسي من الأردن

فيما يتعلق بالمؤتمر، في الحقيقة أود أن أشير إلى مسألة قد لا يتطرق إليها الكثيرون.

من المهم الحديث عن المقاومة الشعبية، كما من المهم أيضًا التكتلات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي يُفترض أن تكون رافدًا من روافد المقاومة، وأن تعبّر بشكل واضح وصريح عن دعمها للمقاومة في غزة وفلسطين، وفي أماكن أخرى من الوطن العربي.

نحن في مرحلة خطرة، وقد دفعت المقاومة أثمانًا باهظة من أجل فلسطين ومن أجل جنوب لبنان. وللأسف، فإن النخب العربية لم تتمكن من تحريك الشارع في مواجهة السلطات الرسمية العربية دفاعًا عن غزة، ودفاعًا عن فلسطين، ودفاعًا عن المقاومة.

وأرى في الحقيقة أن التشكيلات النقابية والفكرية والأحزاب السياسية والمؤتمرات، وفي مقدمتها المؤتمر القومي العربي، قد فشلت في مجاراة حالة النهوض الكفاحي، سواء في فلسطين أو في جنوب لبنان أو في اليمن العظيم. وبالتالي، أعتقد أن فلسطين والطوفان قد كشفتا انتهازية هذه النخب وعجزها عن مواكبة الفعل المقاوم من أجل الصمود والتحرير.

ولنسأل بجرأة: لماذا لا نقول الحقائق كما هي، بعيدًا عن الطبطبة والنفاق السياسي؟

ماذا فعل المؤتمر القومي العربي للمقاومة في فلسطين سوى إصدار بيانات لا لون لها ولا طعم ولا رائحة؟

فلسطين ليست بحاجة، والمقاومة ليست بحاجة، إلى بيان دعم فقط.

أعتقد أن الطوفان، مثلما عرّى الشعوب العربية وعجز نخبها السياسية عن قيادة الشارع الوطني دعمًا للمقاومة في فلسطين ولبنان، قد كشف أيضًا عن عجز هذه النخب التي تختبئ خلف بعض الأطر الحزبية والنقابية وغيرها.

أما المؤتمرات، كـ المؤتمر الإسلامي العام والمؤتمر القومي وحركات مقاومة التطبيع، فما زالت تعمل تحت سقف السلطات السياسية المحلية في الدول العربية، وهذه السلطات في معظمها تأتمر بتوجيهات أنظمة رجعية عربية مرتهنة للصهيو-أميركية في المنطقة. لقد آن الأوان لأن تنكشف هذه النخب.

جغرافيا المتغيرات:
دمشق تعيد ترتيب أولوياتها في لحظة دولية فارقة

د.عزيز موسى ـ عزيز موسى كاتب وباحث في الشؤون الدولية والأمنية - سورية

شكّلت زيارة الرئيس السوري أحمد الشرع إلى واشنطن تحولاً عميقاً في مسار السياسة الخارجية السورية، التي اعتادت لعقود إبقاء علاقاتها محددة ضمن دائرة التركيز على الشرق دون انفتاح فاعل على الغرب أو التعاطي معه على أساس المصلحة والمنافع المتبادلة، و بالنزوع إلى التحالفات المغلقة أكثر من الانفتاح المرن، ولعلّ المفارقة الأبرز أن دمشق، تُعيد اليوم ترتيب أولوياتها في لحظة دولية مضطربة، وفي توقيت يعكس استعداداً لإعادة صياغة موقعها في الخريطة الإقليمية والدولية.

هذه الزيارة التي يمكن أن تعبّر عن نقطة تحوّل في مقاربة سوريا لمصالحها على أكثر من صعيد، في الوقت ذاته تفتح الباب أما اختبار لمدى قدرة دمشق على موازنة هذه المصالح بالتنويع في علاقاتها وشراكاتها وفق مبدأ المصالح المتبادلة ونسج علاقات مبنية على الاحترام المتبادل.

معادلة واشنطن - دمشق

سبق الزيارة مشروع قرار أمريكي تم تقديمه إلى مجلس الأمن لرفع عقوبات الأمم المتحدة عن كل من الرئيس أحمد الشرع و وزير الداخلية السوري أنس خطاب، والتي تم التصويت عليها ب 14 صوتاً مع امتناع الصين عن التصويت، في خطوة مثّلت انفتاحاً أميركياً نحو سوريا مدفوعاً بحسابات سياسية وأمنية دقيقة ترتبط بما سبقها من خطوات قامت بها واشنطن في إصدار الرئيس ترامب أوامر تنفيذية تتعلق بإلغاء الصادرة عن البيت الأبيض .

الهدف الأساسي من هذه الزيارة إعادة بناء العلاقات مع الولايات المتحدة والعمل على رفع عقوبات (قانون قيصر) الذي يتطلب موافقة الكونغرس الأمريكي، إذ جاء اللقاء بين الرئيس الشرع والرئيس ترامب إضافة لعدد من المسؤولين الأميركيين وأعضاء الكونغرس ليذلل العقبات في هذا المسار الطويل وما يتطلبه من إجراءات، إلا أن ما يحكم التقدم في هذا الملف هو طبيعة الشروط الأميركية المطلوبة من الإدارة السورية والتي تركز على التوصل إلى تطبيع العلاقات بين سوريا و»إسرائيل»، والانخراط في عملية مكافحة الإرهاب ومعالجة ملف المقاتلين الأجانب، وإعادة هيكلة آليات الحكم عبر عملية تشاركية تضمن حضوراً فعلياً لجميع المكونات، وتقدّم نموذجاً مقبولاً دولياً.

هذه الشروط التي تُمثل خارطة الطريق أمام بناء العلاقات بين سوريا والولايات المتحدة، التي بدأت فيها الإدارة السورية بشكل فعلي بدءاً من عقد لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين بوساطة أميركية وصولاً إلى الإعلان عن الانضمام للتحالف الدولي لمكافحة «داعش» تحت إطار « التعاون السياسي».

توازنات معقّدة بين القوى

تُدرك الإدارة السورية ثقل هذه الملفات والشروط المطلوبة ضمن بيئة تتسم بالتعقيدات والتشابكات، إلّا أن الأهم هو قدرة دمشق على تحقيق التوازن في علاقاتها مع القوى الكبرى والأطراف الفاعلة بما يحقق مصالحها وأهدافها، فالعلاقات التي كانت تربط كلاً من دمشق وموسكو تراجعت بعد سقوط النظام السوري السابق على الرغم من زيارة الرئيس الشرع لموسكو ولقائه بالرئيس بوتين، إلاّ أن معادلات الأمن والسياسة ظلت ضمن حدودها المؤطرة في العلاقات التي تحكم الطرفين.

فمن جهة لا بد من إدراك ضرورة التنوع في العلاقات التي تربط سوريا مع الدول والقوى الأخرى، لكن دون أن تحمل هذه العلاقات طابعاً نديّاً قد يقوم على الاختلاف العميق في المصالح أو يتسم بالتبعية، ومن جهة أخرى تدرك موسكو ضرورة إبقاء العلاقات مع سوريا نظراً لأهميتها الجيوسياسية في المنظور الاستراتيجي الروسي في ظل وجود قاعدتين عسكريتين روسيتين في كل من طرطوس واللاذقية، والسعي لأن تقدم موسكو نفسها كضامن أمني في مناطق الجنوب السوري بفعل علاقاتها مع إسرائيل في ظل التوغلات الإسرائيلية المستمرة وغياب قدرة الإدارة السورية على ردعها والسعي الإسرائيلي إلى ما هو أبعد من توقيع مجرد اتفاق أمني مع دمشق، في محاولة تتجه من خلالها موسكو لإعادة نفوذها في سوريا في ظل تصاعد الدور الأمريكي ومحوريته.

من جهة أخرى ترى الإدارة السورية إمكانية إعادة ترتيب علاقاتها مع الصين لا سيما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي والعمل على استثمار القدرات الصينية في عملية الإعمار والبناء، إلا ان الصين ترى في سوريا فرصة وتهديداً في آن معاً، فرصة على صعيد البيئة الاستثمارية الخصبة التي تحقق مصالح متعددة باعتبارها جزءاً أساسياً من مبادرة «الحزام والطريق» ونقطة ارتكاز في مشروع الصين الجيوسياسي، ومن ناحية أخرى وجود تهديد أمني مستقبلي في سوريا يتمثل بعناصر الحزب الإسلامي التركستاني وبالتحديد « المقاتلين الإيغور».

هذا ما يفسر امتناع الصين عن التصويت لصالح القرار الأمريكي في مجلس الأمن فيما يخص رفع العقوبات الأممية عن الرئيس الشرع والوزير أنس خطاب، وهو ما يمكن اعتباره إشارة إيجابية يمكن البناء عليها من قبل دمشق بتقديم ضمانات أمنية حقيقية للصين وهو أحد أهم الملفات التي تم بحثها في زيارة وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني لبكين في 17 تشرين الثاني، وهو مايعدّ تحدياً مركباً بين التعامل مع الفصائل الأجنبية من جهة، والقدرة على الالتزام بضمانات أمنية بألّا تكون سوريا مصدراً لتهديد أي دولة في العالم.

تطرأ أيضاً العلاقة مع الدول الأوروبية التي تأخذ في سياستها نحو دمشق إطارا للتعامل الحذر القائم على الالتزام بالوعود، فالإدارة السورية ترتبط مع دول أوروبا بعدة ملفات أساسية أهمها الدعم الدولي، وقضية اللاجئين السوريين وهو ما يدفع دمشق لضرورة لاهتمام بهذه العلاقات من منطلق المصلحة الوطنية العليا وضرورة صياغتها وفق أسس واضحة وعملية.

هوامش الحركة وحدود الاصطفاف

تتباين المصالح بين القوى الفاعلة والمؤثرة في الملف السوري، مما يفرض بدوره هامشاً محدوداً من الحركة السياسية التي يمكن للإدارة السورية التعامل معها، والتنبّه نحو عدم الانزلاق إلى موقع الطرف المُستَخدَم في تنافس القوى، إلا أنه يمكن لسوريا إدارة تباينات المصالح الدولية من خلال تبني مقاربة عقلانية قائمة على التواصل البنّاء، تعطي الأولوية للاستثمار المستدام كرافعة لتعزيز موقعها الجيوسياسي، ويتطلب ذلك صياغة معادلة توازن دقيقة بين اعتبارات السياسة والاقتصاد، بما يسمح بالحفاظ على مسافة واحدة من مختلف الفاعلين الدوليين.

على المستوى الأمني والعسكري، يمكن لدمشق استمرار التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة في الملفات الحساسة المرتبطة بمكافحة الإرهاب والتنسيق الأمني والاستفادة من النفوذ الأمريكي، خاصة أن واشنطن تدفع باتجاه توقيع اتفاق أمني قد يمهّد لتطبيع بين سوريا و «إسرائيل» إلا أن هذا ما يزال مرهوناً برفض الأخيرة لهذا التقارب واستثمار عامل «فائض القوة» لهندسة الإقليم وفق رؤيتها، ، إلى جانب تحسين البيئة الاقتصادية الداخلية بما يسمح بتخفيف الضغوط المرتبطة بالعقوبات والاستفادة من استثمارات الشركات الأمريكية في مجالات الطاقة والصناعة، كما يشكل فتح قنوات اتصال نشطة مع المؤسسات الدولية والغربية بدعم أميركي خطوة مهمة نحو إعادة إدماج الاقتصاد السوري في النظام المالي العالمي، في المقابل يتيح تعميق الشراكة مع الصين تطوير علاقات اقتصادية وبنى تحتية أكثر استدامة، عبر الانخراط في مشاريع التكنولوجيا والنقل والطاقة المتجددة بما يعزز القدرة الإنتاجية للبلاد.

إن قدرة سوريا على تحقيق التوازن في العلاقات مع القوى الكبرى دون الاندفاع نحو اصطفاف كامل، يمثّل تطبيقاً لسياسة «الباب المفتوح» القائمة على التنويع والشراكة المرنة، وهي سياسة تسمح لسوريا بحماية مصالحها الاستراتيجية دون الانجرار إلى تحالفات جامدة قد تفضي إلى توترات إضافية، هذه المقاربة تمنح الدولة قدرة أعلى على المناورة، وتوفر نموذجًا واقعيًا لإدارة العلاقات الدولية في بيئة إقليمية ودولية شديدة التعقيد.

أين مشروع اليسار العربي؟

د. عبد الحسين شعبان ـ مفكّر وأكاديمي عربي

تمهيد

حمل اليسار العربي منذ مطلع القرن العشرين، وبالتحديد بعد ربع القرن الأول منه، مشروعًا تاريخيًا أقرب إلى التكامل، فهو من جهة ظهر بالضد من الاستعمار والتبعيّة والتخلّف، ومن جهة أخرى حمل راية التحرّر والاستقلال والعدالة الاجتماعية.

وانصهر فيه ما هو وطني بما هو اجتماعي، حيث اندفعت النخب من الطبقة الوسطى لترفع مشروع اليسار وأحلامه الكبيرة إلى درجة امتزاج الواقع بالمخيال الشعبي أحيانًا، في إطار سردية ثقافية وآمال عظيمة ووعود ضخمة.

لكن هذا المشروع الكبير تعرّض إلى التراجع والانكسار لاحقًا، وخصوصًا بعد مرحلة الاستقلال، ليس بفعل ما لحقه من تنكيل وبطش وتحريم وتجريم، بل بفعل عوامل داخلية أيضًا، وليس بفعل العامل الخارجي وحده. ويعود جزء منها إلى الاتكالية الفكريّة والتعويل على ما يصدر من المركز الأممي، وأحيانًا أخرى إلى الجمود العقائدي والنصوصية المدرسية وعدم مواكبة التطوّر، وليس بعيدًا عن ذلك بعض المواقف ذات الطفولة اليسارية، لا سيّما الموقف من الدين والقضيّة القومية، فيما يتعلّق بفلسطين والوحدة العربية، وهو ما حاول خصومه وأعداؤه تضخيمه وإلصاق تهم شتّى به بهدف النيل منه.

أستطيع القول إن مشروع اليسار العربي توقّف عند الشعارات الكبرى التي كانت تصلح لمرحلة معيّنة، ولم يتمكّن من قراءة الواقع الجديد الذي ظهر بعد مرحلة الاستقلال وما أعقبها، الأمر الذي جعله يتأرجح بين خيارين كل منهما كان مرًّا؛

الأول - الانخراط في مشاريع سلطوية لم تمنحه الحد الأدنى من حريّة العمل والتنظيم حتى لو كان لتأييدها.

والثاني - الابتعاد عنها لدرجة الانغلاق والتقوقع في انعزالية وانطواء، دون التمكّن من تقديم بديل عمّا هو قائم، وتسبّب ذلك في اتّساع الهوّة بينه وبين الجمهور وبينه وبين الكتل البشرية التي يزعم تمثيلها.

وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي تعمّقت هذه العزلة، حتى أن الأنظمة لم تعد تُعير اهتمامًا له، كما أنه خرج من معادلة الناس وهمومهم ومعاناتهم وتطلّعاتهم.

اليسار والربيع العربي

مع انتفاضات ما سمّي بالربيع العربي العام 2011، انفتح الفضاء العام أمام مطالب الحريّة والعدالة والكرامة، لكنّ اليسار لم يكن في صلبها لا في اللغة ولا في الأدوات ولا في التعبير ولا في المسار، وبالطبع فإنه لم يستطع أن يقرأ على نحو سليم مآلات الصراع، وازداد تأرجحًا بين التشكيك بحركة التغيير، بل واتهامها أحيانًا أنها من صنع الخارج، على الرغم من الملاحظات السلبية العديدة التي عليها، وبين النظر إلى السلطات القائمة بمنظار قديم باعتبارها معادية للإمبريالية، أو أن الإطاحة بها سيؤدّي إلى صعود قوى لا يُؤتمن إليها.

وبالطبع فإن الانتفاضات الجديدة لم تخضع للنمط الكلاسيكي للانتفاضات السابقة، فلم يكن لها قيادات مسبقة وأيديولوجيات محدّدة وسرديات معروفة، مع أنها خلقت فراغًا لم يتمكّن اليسار من إملائه كليًا أو جزئيًا، ناهيك عن التحرّك الفعلي، وذلك لأن أزمته عميقة وبنيوية في الآن، أي أنها لم تكن عرضيّة، بل كانت أزمة في الفكر والممارسة والتنظيم والقيادة والإدارة تعتّقت مع مرور الأيام.

وقد ظهرت بعض التململات اليسارية، لكنها كانت مختلفة عن اليسار التقليدي المعروف، فهذا اليسار الجديد هو يسار بلا تنظيم حزبي، وبلا أيديولوجيات مغلقة. يسار في إطار المجتمع المدني، وإن كان الأخير هلاميًا ومخترقًا في الكثير من الأحيان، لكن ثمة مبادرات اجتماعية ومطالب شعبية عامة وحركات نسويّة اشتغلت في هامش حركة التغيير بوسائل تكنولوجية ورقمية حديثة بعيدة عن تجارب الماضي، مستفيدةً من كون العالم يمرّ في الطور الرابع من الثورة الصناعية واقتصادات المعرفة والذكاء الاصطناعي.

اليسار الجديد ظل هو الآخر هامشيًا، فهو يسار معولم وفرداني، يتحدث بلغة البيئة أو المناخ أو الجندر، وإن كان يعبّر عن بعض التطلّعات العامة، لكنه كان بعيدًا عن الناس والفئات الكادحة، وبالتالي يصعب أن يتحوّل إلى قوة فاعلة ومؤثّرة، أي قوّة اقتراح يُحسب لها حساب. ومثل هذا اليسار سرعان ما تمّ تدجين الكثير من فاعليته واحتوائه، وبالتالي سيكون من الصعب أن يقدّم بديلًا مناسبًا.

مشروع تنوير وحداثة

انطلق اليسار العربي في مرحلته الأولى من مواجهة محمومة مع الاستعمار، وكان بمثابة مشروع تنوير وحداثة وتحرّر. صحيح أنه لم يتحوّل إلى تيار عريض باستثناء اليسار العراقي واليسار السوداني، لكنه لم يصبح حركة اجتماعية واسعة وجامعة، بل ظلّ يمثّل طموحات نخب مثقفة من الطبقة الوسطى صاغت خطابًا معتدلًا في إطار الدولة بمراعاة الفئات الفقيرة، وتلك إحدى ميزات اليسار التي افتقدها لاحقًا.

وقد تجسد مثل هذا التوجّه في التأثير على أطراف أخرى، ويمكن هنا احتساب بعض التجارب العروبية عليه أو بحكم تأثيراته عليها مثل اليسار الناصري واليسار البعثي السوري والعراقي واليسار الجزائري واليمني والسوداني والفلسطيني والليبي الذي صاغ شعارات راديكالية مثل التحرّر من الاستعمار وإجلاء القواعد العسكرية وإقامة العلاقات مع المعسكر الاشتراكي والتوجه نحو التعليم المجاني والإصلاح الزراعي والتأميم، وكل هذه المشاريع حملتها أجهزة الدولة ما بعد مرحلة الاستقلال، وهي وإن أحدثت نموًا اقتصاديًا، لكنها لم تستطع أن تحقّق التنمية الإنسانية المستدامة والشاملة، لذلك ظلّت فوقية وسرعان ما تبخّرت.

اليسار والدولة

ظل مشروع اليسار مرتبطًا بالدولة، ولم يستطع أن يتجاوز أجهزتها البيروقراطية والأمنية. وهو ما غرق به اليسار الماركسي في تجارب الأصل في الدول الاشتراكية السابقة، وإن كان من ضحاياه في تجارب الفرع (حركة التحرّر الوطني)، علمًا بأن الدولة العربية كانت في الغالب دولة القمع والريع، وظلت المسألة التناوبية والتداولية في السلطة غائبة، والديمقراطية السياسية مؤجلة أو مرتهنة، بزعم أن العدو الإسرائيلي يدقّ على الأبواب، وبالتالي تمّت مقايضة التنمية بالعسكرة، ومقايضة الإصلاح بالتفرّد بالسلطة، وهكذا ضاعت فرصًا تنموية مهمة، مثلما قضم العدو الأرض بالتدرّج وعلى مراحل، وصولًا إلى مأساة غزّة.

منذ أواسط سبعينيات القرن الماضي انهارت الدولة التنموية مع أزمة النفط العام 1973، وتراجع الريع التنموي، وحين حلّت الثمانينيات لم يتبقّ من الوعود بالعدالة الاجتماعية سوى اللّافتات المهلهلة، ودخلنا في حروب ونزاعات إقليمية وأهلية، وتوسّعت طموحات البعض بفرض الهيمنة، فسوريا استحوذت على لبنان، والعراق غزا الكويت بعد حرب ضروس مع إيران دامت 8 سنوات، ونسي هذا اليسار القومي تحرير فلسطين وانشغل بحبك الدسائس والمؤامرات ضدّ بعضه البعض وإزاء الدول العربية الأخرى، وهذه الدول الأخرى لم تقصّر هي كذلك في السعي للإطاحة به وتبهيت شعاراته، وما زاد في انهيار اليسار تراجع الطبقة الوسطى وتهميشها لصالح بيروقراطية الدولة، إضافة إلى تفكّك الكتلة الاشتراكية بعد انهيار جدار برلين في 9 تشرين الثاني / نوفمبر 1989. وأصبحت لغة اليسار، في معالجة الإشكاليات القديمة – الجديدة، أقرب إلى لغة أرستقراطية سياسية لا يصغي إليها أحد، لأن إداراتها تمارس السياسة كوظيفة وليس كفعل تغيير.

وتحوّل فريق من الماركسيين والشيوعيين إلى مجرد محلّلين سياسيين لإصدار تنظيرات لواقع متغيّر، لكنهم ظلوا متشبّثين بسردية مغلقة عن صراع الطبقات وإلغاء الاستغلال، في حين كان هناك فريق آخر يبشّر بالليبرالية الجديدة واقتصاد السوق، ولا يتورّع أحيانًا عن تبرير بعض ما تقوم به الدوائر الإمبريالية من احتلال وغزو بزعم تشييد صروح الديمقراطية، في الوقت الذي كانت الحركات الإسلامية تتمدّد مستغلةً انهيار اليسار القومي، ولا سيّما بعد هزيمة العام 1967، التي قوضت شرعيته، وفشل اليسار الماركسي، فضلًا عن نجاح الثورة الإيرانية العام 1979، وانتشار الجمعيات الخيرية التي شكّلت دعائم اجتماعية فعّاله لتغلغل التيار الإسلامي.

اللغة الخشبية

ظل اليسار حبيس لغته الخشبية القديمة، في حين كان الواقع يتغير سريعًا، واستغل الإسلاميون التديّن الشعبي ليحولوه إلى تديّن أيديولوجي، والتديّن الفردي إلى تديّن اجتماعي، مستفيدين من وسائل الاتصال الحديثة والأموال التي يمتلكونها والقنوات التي يستخدمونها بما فيها الجوامع والمساجد وأوقات الصلوات الخمسة ومجاملات الدولة لهم، وكذلك استغلوا الأعياد والمناسبات الدينية للترويج ضدّ الحكومات من جهة وضد اليسار العربي بمدرسته المختلفتين من جهة أخرى، الماركسية والقومية، اللتان شهدتا صراعًا إقصائيًا لا حدود له.

كما بقيت لغة اليسار عالقة بالماضي وليس بالمستقبل، ولغة من هذا القبيل لا تستطيع استعادة الجمهور القديم، وهكذا تقلّص اليسار إلى حلقات حزبوية مغلقة تسمع صدى ما تقول وما تردّد وما تعتقد به، وتصدر بيانات باردة ليست فيها حرارة تلك الأيام الثورية الطافحة بالأمل، وإن حاول بعضها ابتداع لغة جديدة، لكنها بدت دخيلة وغريبة على تاريخ اليسار، تلك التي حاولت أن تقتفي أثر الليبرالية الجديدة المعولمة.

أسئلة ساخنة

هل انقضى زمن اليسار وتبدّد وعده وطارت أحلامه وأصبح مجرّد ذكريات

يستمع إليها شابات وشبان اليوم عن عهود مضت، على الرغم من أن البعض لا يريد لها أن تمضي؟ ولعلّ هؤلاء يتساءلون اليوم، أين هو اليسار العربي الذي امتاز بالعمل الدائم والنشاط الحيوي والمبادرات المتجدّدة؟ والسؤال يبدأ من تونس ويكبُر في مصر ويعلو الصوت في العراق ويتردّد الصدى في سوريا ولبنان والجزائر والمغرب واليمن والسودان وفلسطين وغيرها.

وثمة سؤال آخر، هل هذا اليسار هو وريث لليسار القديم؟ ففي حين تنسحب المواجهات الاجتماعية الكبرى، يتم التحوّل إلى معارك صغرى، لأن الأولى أكثر تكلفةً، أما الثانية فهي أقرب إلى نشاط منظمات المجتمع المدني.

في تونس صعدت حركة النهضة، واحتلّت المواقع الأولى، ولم يكن زحزحتها ممكنًا لولا حماقاتها الكبرى، وفي مصر فازت حركة الإخوان المسلمين في الانتخابات، والذي قطع خط استيلائها على مقاليد الأمور كاملةً، وأخونة الدولة هو الجيش، وفي العراق كان الانقسام الطائفي الذي هيأ له المحتل الأمريكي هو الواقع الجديد، ابتداءً من مجلس الحكم الانتقالي والدستور الملغوم والمعاهدة الأمريكية - العراقية غير المتكافئة.

وما يزال العراق منقسمًا نصفه إلى إيران التي تتغلغل عبر أجهزة الدولة بواسطة أذرعها المسلّحة وغير المسلّحة، والآخر إلى الولايات المتحدة التي لديها خمس قواعد عسكرية، وما تموضعها الجديد في قواعد في كردستان سوى الاستعداد لمرحلة جديدة، فالعراق انتقل من الاحتلال العسكري إلى الاحتلال التعاقدي.

لم يستطع اليسار اللبناني التقليدي أن يكون جامعًا لانتفاضة العام 2019، وحتى اليسار الجديد لم ينتج تجربة جديدة أفضل من تجارب اليسار التقليدي، والأمر ينسحب على السودان واليمن وسوريا وغيرها.

الهويّة والذات المشظّاة

وفي الغالب أصبح اليسار يسارًا فيسبوكيًا يحتفل بنفسه في ساحات مغلقة يستعيد فيها بعض أمجاد الماضي ويُنزل معارضيه أو منافسيه إلى الحضيض تعويضًا عن الفعل الحقيقي، ناهيك عن الانقسامات التي يعاني منها. لقد فقد اليسار الرمزية السياسية والوسط الاجتماعي الذي كان يمكن أن يؤثر فيه فكرًا وخطابًا وميدانًا.

أصبح اليسار التقليدي اليوم يبحث عن هويّة لذات مشظّاة، لا تأثير لها في معادلة السلطة ومعادلة الناس، أما اليسار الجديد فهو يسار ثقافوي ينطق بالتغيير ويتحدث بلغة من يدعمه بما فيها بعض جهات التمويل الأجنبية لمنظمات المجتمع المدني، وبعضه يتوقف في اليوم الثاني عند وقف التمويل الخارجي.

مُفترق طُرق

لعلّ انتهاء مفاتيح التحليل القديمة لفهم طبيعة الدولة والسلطة، وكذلك انتهاء عهد السرديات القديمة وضع اليسار أمام مُفترق طُرق، فلم يعد الصراع يُختزل بين برجوازية/ بروليتارية، يمين/ يسار، تقدّم / رجعيّة، خصوصًا وقد تحوّلت الأنظمة الجديدة لتُصبح مزيجًا من الليبرالية والتديّن في اتحاد هجين، فهل يكتفي اليسار بتصدير خطاب تكتيكي ليكون محل الاستراتيجية، أو يُصدر بيانًا ليكون بديلًا عن الفعل الجماهيري، أو يوزّع منشورًا رقميًا بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي ليعوّض من فقر البنية التنظيمية؟

إنه مفترق طرق حقيقي، فاليسار لا يستطيع العودة إلى العزّ النضالي، وليس بإمكانه احتلال موقع جديد ومتقدّم اليوم وفي المستقبل دون توفّر مستلزمات أساسية ما تزال غائبة، لذلك ظلّ تائهًا ومتخبطًا في تحالفات لا تنتقص من هيبته فحسب، بل تثير علامات استفهام حول هويّته، خصوصًا بضعف تأثيره وتشبثّه بماضٍ مجيد مضى لا يمكن استعادته، وحاضر بائس مهيمن، لا سيّما في ظلّ غياب هويّة موحّدة تُعبّر عن الواقع المعيش.

تلك إشكالية تحتاج إلى مراجعة تجارب اليسار وتقديم النقد الذاتي الذي هو نقطة الانطلاق لإعادة البناء لقراءة واقعية للواقع، وليس إسقاط الرغبات عليه، وهذه الأخيرة لا ينبغي أن تتحوّل إلى ممارسة داخلية مغلقة لا تنتج رؤية إستراتيجية واضحة، بل يجب أن تكون فعلًا عامًا يشارك فيه من تعنيه قضيّة اليسار، فالأزمة ليست بضعف التنظيم أو تراجع الفعالية، بل بغياب سردية جامعة تربط ما هو خاص بما هو عام، وما هو محلي بما هو كوني، ذلك هو المأزق الآخر.

إشكاليات جديدة

وثمة إشكالية أكبر من جميع تلك الإشكاليات وهي:

كيف سيتم التعامل مع محاولات تفتيت الدول وتقسيم المجتمعات العربية في إطار خطط جديدة لا تستهدف اليسار، وإنما تستهدف كيان الأمة العربية وأمم المشرق؟

والإجابة هنا لا بدّ أن تكون بعيدةً عن الانغلاق النخبوي والحتميات التاريخية، فمأزق اليسار في هذه الحالة لا ينفصل عن السياق الجيوسياسي المتصدّع الذي يطوقه، فالدولة، وليس اليسار وحده، تواجه أزمات حادة وتحدّيات كبرى ونزاعات طائفية وانقسامات هويّاتية وتدخلات خارجية، بل هيمنة فعلية من جانب القوى المتسيّدة في العالم.

كلّ ذلك يجعل مشروع اليسار اليوم هو جزء من مشروع التحرّر الوطني الجديد بمواجهة صفقة العصر ومعاهدة سايكس- بيكو الثانية، فهل سيتمكن اليسار من مواجهة هذا الواقع الجديد بالتعاون مع القوى الوطنية الأخرى؟

إنها لحظة اختبار تاريخي بالتحوّل من شعبوية إلى مشروع جامع ليس لليسار وحسب، بل لجميع من تهمّه مصائر مجتمعه وأمّته، خصوصًا حين يستمع إلى نبض الناس العاديين وهمومهم ومعاناتهم، ويكفّ عن الزعم أنه يمثّلهم أو يتحدّث باسمهم.

قرار مجلس الأمن ٢٨٠٣ هو تشريع دولي لصفقة القرن

حاتم إستنبولي ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

اتخذ مجلس الأمن الدولي قرارا بشأن الأوضاع في غزة تحت رقم ٢٨٠٣ والذي ينص على تشكيل مجلس رئاسي بقيادة الرئيس ترامب ليشرف على تنفيذ بنود خطته التي قدمها والتي تنص من حيث الشكل على وقف لإطلاق النار الذي يجب ان يقود الى نزع سلاح المقاومة الفلسطينية وفي ذات الوقت يشرف المجلس على إصلاح السلطة الفلسطينية وتأمين تدريب قوات امنية فلسطينية تحت إشراف مصري لتحل محل القوات الدولية التي سوف تتحمل المسؤولية الأمنية في الفترة الانتقالية التي حددت حتى ٣١ ديسمبر ٢٠٢٧ واذا ما نجح المجلس في تنفيذ مهامه سوف يقوم بفتح أفق الحوار من أجل رؤية لدولة فلسطينية .

هذا هو ملخص بجوهر القرار رقم ٢٨٠٣ لمجلس الأمن الدولي.

إذا ما دققنا فيه فإنه في الجوهر يحمل نصوصا كانت قد وردت في خطة ترامب من أجل السلام والازدهار والتي عرفت باسم صفقة القرن هذه النصوص التي شُرعِنَت في قرار مجلس الأمن الدولي بعد أن تم التمهيد لها في مؤتمر شرم الشيخ للسلام الذي ترافق مع حملة إعلامية خبيثة تحمل المقاومة والسابع من أكتوبر أسباب الابادة الصهيونية التي تمارس في غزة والعدوان على لبنان ولكن في الجوهر العدوان الصهيوني كان سيتم والإبادة كانت ستحصل لأنها هي بند واضح في خطة السلام والازدهار والتي تشترط تنفيذها هو تصفية تامة للمقاومة في كل من غزة ولبنان والعراق واليمن وتقويض داعميهم. لهذا سيحمل هذا المقال ما كتب عن خطة السلام والازدهار (صفقة القرن) قبل خمس سنوات.

فماذا حملت خطة ترامب من أجل السلام والازدهار(صفقة القرن)؟

شكلًا، ترامب أعلن عن الخطة، لكن في الجوهر نتنياهو هو من أعلن عن جوهرها الذي يحمل تصفيةً للقضية الفلسطينية وإعلان انتصارٍ نهائي للحركة الصهيونية وحلفائها المسيحيين الجدد.

الخطة أُعلِن عنها كمشروعٍ أمنيّ لإسرائيل اليهودية، وعقاري للفلسطينيين الذين يرغبون في الإقامة في إطار الدولة اليهودية مع عدم التمتع بميزاتها، وسيتم ربط التجمعات السكانية بجسورٍ وأنفاق وطرق التفافية، وبنية تحتية تكلف 50 مليارًا تنفقها دول الخليج، أي أن 50 مليارًا هي من أجل تحقيق الإطار الأمني للدولة اليهودية بسواعد فلسطينية، التي وصفها كل من ترامب وكوشنير بالفقر، هذا الفقر الذي يجب أن يفهموا أنّ سببه الاحتلال وحلفاؤه، الذين ألغوا هوية الشعب الفلسطيني وحاصروه في الاتفاق مع أعوانهم خارج إطار المنظومة القانونية المدنية، وجرّدوه من كل الإمكانيات والوسائل المعيشية هم يتحدثون عن كرامة الفلسطينيين، الذين سلّبوها منهم منذ وعد بلفور.

المشروع العقاري الذي تكلم عنه ترامب لا يضير تسميته دولة فلسطينية إذا كان ذلك يؤمّن المصلحة الأمنية الإسرائيلية، دولة بلا أيّ مضمونٍ سيادي أو وطني.

الأخطر أنّ هذه الخطة ستأخذ أربع سنوات للتنفيذ.

لكن لماذا أربع سنوات، ومن طلب هذه المدّة؟

الخطة العقارية بالنسبة كوشنير-إرث والده الذي كان تاجر عقارٍ في ولايتي نيوجيرسي ونيويورك- هي الخيار الوحيد للفلسطينيين والفرصة الأخيرة لهم «وإذا لم يقبلوها فستكون هنالك خيارات أخرى»، هذا ما صرّح به كوشنير في مقابلته على

قناة الجزيرة، ليلة 28 يناير 2020، على ما يبدو أنّ الفترة الانتقالية أربع سنوات ضرورية لبعض الأنظمة العربية من أجل تهيئةٍ داخليّة لمجتمعاتها لتقبّل فكرة الدولة اليهودية التي ستسمح للجميع بزيارة الأماكن المقدسة، ولن يكون هنالك اعتراضٌ من قبل الدولة اليهودية للإشراف الإسلامي على الحرم، لكن من خلال السيادة الإسرائيلية وما تحدده، وبما يسمح لليهود بزيارة جبل الهيكل، وهذا ما أشار به ترامب خصيصًا إلى الملك عبد الله الثاني في معرض حديثه عن القدس وفي إشارةٍ إلى عدم المساس بشرعية الولاية رافقتها غمزةَ عينٍ تحمل وجهيْ الترهيب والترغيب.

أربع سنواتٍ ستكون فترةً لتقويض كل معوقات الخطة: فلسطينيًا وعربيًا ودوليًا

دوليًا: من خلال الرباعية التي سيتم تنشيطها وسيقوم كوشنير بطرح خطته، التي لاقت موافقة من أحد طرفي الصراع (إسرائيل) لتكون مدخلًا لدراستها وطرح الرؤية الفلسطينية من على قاعدة الخطة، وسيلقى هذا الاقتراح ترحيبًا من طوني بلير قائد أوركسترا الرباعية، وروسيا التي أعلنت أنّها ستُقرر موقفها بعد الاطّلاع عليها، وسيكون مرتبطًا بالموقف الفلسطيني.

عربيًا: دول الخليج بكل عواصمها لا خيار لها سوى دعم الخطة، خاصةً أن ترامب أشار إلى الدور الثلاثي البحريني والإماراتي والعُماني، بالمشاركة في صياغتها وما تعنيه هذه المشاركة من امتدادات لها.

من الواضح أنّ بيان الخارجية المصرية يؤكد موقف الرئيس السيسي الموافِق مبدئيًا على الخطة، منذ ثلاث سنوات.

الموقف الأردني: وهو الموقف الأصعب، لأنه وُضِع في موقع لا يمكنه فيه الاستمرار في السياسة المزدوجة، إذ عليه أن يحدد خياراته، ومدّة الأربع سنوات هذه يُقصَد منها إعطاء النظام الأردني الفترة لإيجاد الصيغة المناسبة التي سيقدمها لجماهيره.

وهذا الموقف مرتبطٌ بمدى جدّية الموقف الرسمي الفلسطيني في مواجهة خطة ترامب، كل المؤشرات تقول إن النظام في الأردن مرتبطٌ مصيريًا بمنظومة المساعدات الأمريكية الغربية، هذا الارتباط لن يؤهله إلى أخذ موقف رافضٍ للخطة، إلّا إذا واجه موقفًا شعبيًا جديًّا من الخطة، وهو في الجوهر له مصلحةٌ في هكذا موقف.

الموقف الفلسطيني: من الواضح ومن خلال كلمة عباس، ورغم كل ما طرحه من رفضٍ، أبقى موقف السلطة في إطار عقلية التفاوض العبَثي التي لن تُنتج أيّة رؤية للمواجهة.

الأخطر أن تتكرر تجربة المجلس الوطني الفلسطيني 1988 في الجزائر، الذي جمع الفصائل على أساس إعادة الوحدة وإعلان الدولة، ومن ثم أخذها أبو عمار وأبو مازن إلى أوسلو، وأوصلانا إلى ما نحن فيه.

الأربعة سنوات مطلوبةٌ للفلسطينيين كذلك، من أجل تقويض المقاومة بكل فصائلها وجمع السلاح الفلسطيني على قاعدة تصريح الجبير قبل سنوات، حول تكفل السعودية بهذا الشأن.

عباس، وفي ظلّ حديثه بالأمس، لم يطرح برنامجًا للمواجهة أو رؤية نقيضة للخطة سوى رفضها وتمسكه بالتفاوض من خلال الرباعية.

لذلك مطلوبٌ من فصائل المقاومة أن لا تُلدَغ مرةً أخرى

ومن المهم البناءُ على موقف السلطة المعلَن بشأن الخطة، لكن في ذات الوقت عليها أن تؤكد تمسكها بخيار المقاومة المسلّحة وأنّ لا مساومة عليه، فالعنوان القادم في تنفيذ الخطة هو جمع سلاح المقاومة تحت شعارات تضليلية، على شاكلة «من يملك قرار الحرب أو السِّلم» هذا الشعار الذي لا ينطبق على حركة التحرر الوطني الفلسطيني، كونها في حالة حربٍ دائمة مع المستعمر الإحلالي في فلسطين.

فصائل العمل الوطني الفلسطيني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بشكلٍ خاص، عليها أن تعمل في إطار توحيدِ الموقف على وحدة الشعار «مجابهة خطة التصفية الصهيونية»، وفي ذات الوقت عليها أن تُفكّك الفخاخ السياسية التي ينصبها بعض الانتهازيين الذين تربطهم مصالح مصيرية مع الاحتلال، هؤلاء الذين لم يخرجوا من عقلية التفاوض بأيّ ثمن!.

الجبهة الشعبية مع الجهاد والقسام عليهم أن يطرحوا خطتهم المتكاملة للمواجهة، خاصة أن الموقف المصري سيشكل عاملًا ضاغطًا على غزة وجماهيرها.

الأربع سنوات القادمة ستشكل أخطر مرحلة للتصفية، بعناوين عدّة: الأرض واللاجئين ومصيرهم، وستكون غزة وكذلك الشتات عنوانيْن للصمود أو عنوانين للهزيمة، فهما يحملان الثقل الرئيسي في المجابهة داخليًا وخارجيًا.

إعادةُ جمع الصف الداخلي الفلسطيني على قاعدة أنّ لا خيارات سوى المواجهة، التي فرضتها خطة التصفية الصهيونية بحلتها الترامبية، والمواجهة تتطلب السرعة في إعادة بناء الموقف السياسي والتنظيمي والعسكري والمالي للمقاومة، والخروج من إطار النمطية والعودة إلى الوسائل الثورية التي تتطلّبها مرحلة التحرر الوطني، ومدخلها الخروج من دائرة الاعتماد على النظم الرسمية العربية في حل الخلافات الداخلية الفلسطينية، فهي من بعد مواقفها؛ لم تعد مؤهلة لهذا الدور.

العودة إلى الجماهير العربية التي أكدت دائمًا وقوفها مع قضيتها الفلسطينية. «الخيارات الديمقراطية» لهذه الجماهير التي تحمل مجابهة الفساد والتبعية، هي في الجوهر دعمٌ لخيارات الشعب الفلسطيني.

عنوان المواجهة القادم سيكون التمسك بالمقاومة وسلاحها ودعم موقف المقاومة العربية بكل أشكالها المقاوِمة للاحتلال. وإخراج المحتل الامريكي وقواعده من المنطقة، والصهيوني من فلسطين، هذا الشعار الجامع لقوى التحرر الوطني الديمقراطي.

الإبادة والتطهير العرقي في فلسطين: الفاشية لم تندحر بعد

وسام رفيدي ـ كاتب سياسي من فلسطين

هذه المداخلة قُدمت في المنتدى العالمي لأكاديميي الجنوب الذي نظّمه مركز العلوم الاجتماعية في جامعة شانغهاي في الصين يومي 13+11/14 الفائت لمناسبة الذكرى الثمانين على هزيمة الفاشية في الحرب العالمية الثانية.

من حق الشعوب الحرة وقوى التقدم والحرية والاشتراكية ان تفخر بانتصارها على الفاشية قبل 80 عاماً، ومن حقها أن تستذكر الملايين ضحايا الفاشية. ومع ذلك لا ينبغي أن يتسلل الوهم لأي منا بأن الفاشية «قصة انتهت».

الفاشية نتاج بنيوي، للرأسمالية والإمبريالية وقوى الاستعمار منذ تشكلت تلك النظم. وقائع التاريخ عنيدة تؤكد ما أذهب إليه، ولذلك فهي نتاج طبيعي وجوهري . فالرجل الأبيض مندوب الرأسمالية الوليدة، أباد واستعبد عشرات ملايين الشعوب في الأمريكيتين وأفريقيا وشرق آسيا، والرأسماليات الألمانية واليابانية والإيطالية، لوّثت وجه التاريخ ببشاعة دمويتها وإباداتها ضد الشعوب الأصلانية، أما اليوم فالإمبرياليات الأوروبية والأمريكية، دعمت وما زالت حتى اللحظة، نظام الإبادة والتهجير، الكيان الصهيوني، بل وتدعمه بالسلاح والموقف السياسي والعلاقات على مختلف المستويات. واليوم تغذ الممارسة الفاشية للكيان الصهيوني هي المثل الأبرز للفاشية. ويُمكن الإشارة إلى مئات ملايين الدولارات التي تم صرفها من الشمال العالمي لدعم فاشية الصهيونية والجسر الجوي الأمريكي والأوروبي الذي ضخ عشرات الأطنان من الأسلحة للكيان الصهيوني، ويمكن الإشارة إلى العديد من الفيتوهات التي استخدمها الغرب الإمبريالي لمنع وقف الإبادة، في تأكيد إضافي على بؤس اتخاذ القرارات في المحافل الدولية. هذه ممارسة ممتدة منذ العام 1948 وتتمثل بتهجير الشعب الفلسطيني وتنظيم المجازر ضده، وبناء كيان استيطاني إحلالي عنصري، وصولاً للإبادة التي مارسها ويمارسها اليوم في قطاع غزة، ومحاولاته المعلنة للتطهير العرقي للفلسطينيين في الضفة وغزة.

لم يخفِ الكيان الصهيوني هدفه المعلن عبر العديد من تصريحات السياسيين وكتابات الصحفيين وموقف (رأيه العام) عبر الاستطلاعات، بمحو قطاع غزة وتهجير شعبنا. إن الفاشية في الكيان الصهيوني هي مظهر شعبي لا موقف حكومي فحسب، وهذا ما يبدو «طبيعياً» لمجتمع استيطاني أصلاً.

الفاشية لا زالت موجودة وقوية رغم التغييرات الحاصلة على النظام الدولي لفرض نظام دولي تعددي بديلاً لنظام الهيمنة الإمبريالية الأمريكية. من الصحيح أن هذا النظام قد تغيّر بعد الانتصار على الفاشية والنازية، وصعود معسكر الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي والصين وأوروبا الشرقية، وكذا مع انتصارات حركة التحرر والتقدم والاشتراكية في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات والثمانينيات، وأشهرها في فيتنام وكوبا والجزائر، ولكن من الصحيح أيضاً رؤية التراجع الذي حصل بانهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي، حتى اعتقد الإمبرياليون وكتّابهم أن الرأسمالية هي «نهاية التاريخ» كما ذهب فوكوياما. لقد بدؤوا يتصرفون وفق عقيدة أن لا وجود في التاريخ سوى للرأسمالية والإمبريالية.

صعود الصين وروسيا ونجاحهما عبر علاقاتهما ودورهما وقوتهما السياسية والعسكرية والبشرية والاقتصادية، أرسى دعائم أولية لنظام جديد، بالتفاف دول صاعدة عديدة مثل الهند وإيران والبرازيل وجنوب أفريقيا. نظام جديد بدأ يتشكل، ومظهره الأبرز نظام البريكس ومنظمة شانغهاي. صحيح أن السعي الحثيث لبناء نظام دولي جديد منصف وعادل للشعوب بديلاً لهيمنة النظام الإمبريالي الواحد، ما زال في بداياته، ولكنه مبشر ويسير بشكل حثيث، وهذا ما يؤكد عليه المسؤولون الروس والصينيون باستمرار. نستذكر هنا مقولة لينين قائد ثورة أكتوبر في تشخيصه لوضع روسيا قبيل الثورة: النظام القديم لم ينتهِ والنظام الجديد لم يولد بعد. كأننا بهذه المقولة نشخّص حال النظام الجديد، مع تحوير يقتضيه الواقع: ولد النظام الجديد وبانتظار انتصاره على القديم.

إن إرساء دعائم النظام الجديد الموعود لا يمكن أن يتم دون إجراءات جذرية، فهذا النظام لن يتحقق دون الانتصار في الصراع مع النظام الدولي القديم الذي يصارع لإبقاء هيمنته. فالرأسمالية لن تتنازل عن فردوسها دون قتال، ما زالت هذه المقولة الماركسية اللينينية صحيحة وتدعمها الوقائع اليومية، السياسية والاقتصادية والثقافية.

وعندما نطالب بإجراءات جذرية فنعني أنها يجب أن تتجاوز إجراءات الرد على عنجهية نتنياهو وفريقه، الموقف السياسي الداعم في المؤسسات الدولية، فالكيان الصهيوني اليوم، وينبغي ملاحظة ذلك، هو الممثل الأبرز للفاشية العالمية.

إن حرب الإبادة التي يواجهها شعبنا اليوم تبدو المظهر الأبرز للفاشية الأوروبية والأمريكية والصهيونية، دون إغفال الاستفزازات العسكرية لفنزويلا، وللعديد من الدول المتمردة على الهيمنة الإمبريالية.

نصف قرن على القرار الأممي: الصهيونية مساوية للعنصرية !..

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

إن التاريخ يعيد نفسه بصورة دموية بشعة في فلسطين: إبادة وتهجير لمئات الآلاف من الفلسطينيين، يعيد التذكير بالإبادة في ممارسات الرجل الأبيض وألمانيا وإيطاليا واليابان، لذلك يغدو الموقف الصريح والجريء ضد تلك الإبادة مطلوباً، موقفاً يتجاوز حدود الدعم السياسي لحقوق شعبنا في المحافل الدولية، ليصل لحدود فرض العقوبات، وحتى قطع العلاقات مع النظام الفاشي في الكيان الصهيوني. هذا ما يتطلع له شعبنا بالتأكيد من القائمين على مشروع بناء نظام جديد، لتزداد عزلة هذا النظام وصولاً لهزيمته التي ستكون بالتأكيد هزيمة للإمبرياليات والرأسمالية العالمية.

إن نضال شعبنا اليوم ضد الإبادة يقدم مثالاً صارخاً على الصراع القائم بين الجنوب والشمال، رغم تحفظي النظري، إلى حد ما، على تلك المقولة «الجنوب والشمال» التي اعتمدها إدوارد سعيد في الإستشراق، ففي الشمال أيضاً، وهذا ما أكده شعبنا في نضاله ضد الإبادة، هناك قوى شعبية حية وبالملايين، تهتف وتناضل ضد الكيان الصهيوني وضد حرب الإبادة، في فعاليات شعبية الشوارع وفي الإضرابات التي تنظمها اتحادات الطلبة والعمال. ومع ذلك ما زال بالإمكان استخدام تلك المقولة في فهم حقيقة الصراع بين شعوب ودول الجنوب في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، الصراع من أجل وضع حد للبلطجة والعنجهية الإمبريالية ضد شعوب ودول هذه القارات، وما مؤتمركم هذا سوى صدى لذلك الصراع وتأكيد عليه.

وفي فلسطين التي تناضل ضد «الإمبريالية الصغرى» حسب مقولة القائد الراحل د. جورج حبش، يتناغم هذا النضال مع نضال فنزويلا وكوبا وجنوب أفريقيا، مع نضال إيران واليمن، نضال الصين وروسيا، من أجل وضع حد نهائي للهيمنة الإمبريالية ونظامها العالمي القديم، لذلك يغدو التضامن الأممي هو المدخل الأبرز لتوحيد نضال شعوب الجنوب في مواجهة الدول الإمبريالية في الشمال، وهو نضال يجب أن لا يقتصر على حقول الاقتصاد والثقافة فقط، بل وعلى حقل السياسة، بمزيد من إجراءات التصدي لعزل وهزيمة هذا النظام وتابعه الأبرز اليوم، الكيان الصهيوني.

بتاريخ 1975/11/10، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 3379 المتضمن اعتبار «الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصري». وفي أثناء التحضير لاستصدار ذلك القرار تقدم الوفد الكويتي، وهو الوفد العربي الذي قاد المجموعة العربية والدول الصديقة في تلك المعركة، بعدد هائل من الوثائق والمستندات لإثبات أن الصهيونية تؤسس لقيام نظام أبارتهايد.. وقدم مندوب الكويت آنئذ المرحوم د .فايز الصايغ أربعة بيانات أمام الجمعية العامة يوثق فيها أطروحته عن الصهيونية مستعيناً بمراجع صهيونية عديدة، ومن اللافت أن لا أحد في الجمعية تحدى ما قدمه د. الصايغ، وفي النهاية صدر القرار الأممي بإدانة الصهيونية ووصمها بالعنصرية، لكن الجمعية العامة ألغت هذا القرار بتاريخ 1991/12/16 إثر اندلاع حرب الخليج الثانية، وانهيار الاتحاد السوفياتي، وكانت هذه المرة الثانية التي تلغي فيها الجمعية العامة قراراً لها!

بعد مضي ثلاثة عقود تقريباً على ذلك الحدث، أقر الكنيست الإسرائيلي بتاريخ 2018/7/19 قانوناً باسم «قانون أساس: إسرائيل الدولة القومية للشعب اليهودي»، وذلك بأغلبية « 62 صوتاً ضد 55 وامتناع 2».

• الأسباب الموجبة لإصدار قانون القومية :

من المعلوم أن مشروع القانون ظل على أجندة الكنيست لفترة امتدت نحو سبعة أعوام، وأدخلت عليه تعديلات عديدة وحذف منه بعض النصوص، وفجأة تسارعت الأحداث وأقر القانون ليؤشر إلى وجود مستجدات سياسية أدت إلى إصداره، لقد قيل الكثير في الدوافع والأسباب، إلا أن الدافع المباشر لإقرار هذا القانون يتمثل في ثلاثة أسباب :

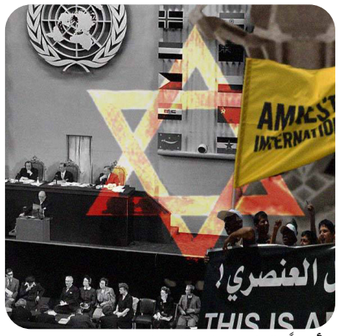

- أولاً: تفكك النظام الرسمي العربي .. وتراجع الحالة الفلسطينية .

- ثانياً: أدركت حكومة المستوطنين حين ذاك أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في ولايته الأولى، سيمنحها فرصة نادرة لاستغلال الجهل الواسع لدى الإدارة الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، و لملء هذا الفراغ بأطروحات صهيونية لا تجد من يتحداها أو ينتقدها، حتى فريق العمل المحيط بالرئيس الأمريكي ليس لديه خبرة أو ممارسة أو معرفة بالصراع في الشرق الأوسط، وهو ما يشكل فراغاً سارع مستشارو مراكز القرار الصهيوني إلى ملئه، لأن الأطروحات التي يتحدث عنها مسؤولو البيت الأبيض في أساسها أطروحات إسرائيلية صرفة .. وقد بدأت ولاية ترامب الأولى بإعلان مدينة القدس عاصمة لإسرائيل.. وتم نقل السفارة الأمريكية إليها بمناسبة يوم نكبة فلسطين، وذلك إمعاناً في ملء الجرح بالملح، وجاءت الخطوة الثانية بتقليص المساعدة لوكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى « الأونروا « كمقدمة لتصفيتها.. ثم علمنا أن مشروع قانون قدّم إلى الكونغرس في تموز 2018 لإعادة تعريف اللاجئ الفلسطيني انطلاقاً من تطبيق التعريف الوارد في قانون الجنسية والهجرة الأمريكي عليه.. الأمر الذي يعني أن عدد اللاجئين الفلسطينيين قد لا يتجاوز « 600.00 لاجئ « بينما تشير سجلات الأونروا إلى أن عدد اللاجئين اليوم يتجاوز ستة ملايين لاجئ على قيودها وثلاثة ملايين خارج القيود.

قبل الوصول إلى السبب الثالث فإن من الملائم إثارة التساؤل عن سبب إصدار قانون هو في أساسه تقنين لما ورد في ما يسمى « إعلان استقلال الكيان « وبعض اجتهادات المحاكم الإسرائيلية، لا سيما « محكمة العدل العليا « وبعض التشريعات الأخرى؟!.

- ثالثاً: من الثابت في القضاء الإسرائيلي أن « إعلان استقلال الدولة « لا يشكل وثيقة قانونية، ولا يمكن الاستناد إليه في إثارة قضية « المساواة الكاملة في الحقوق الاجتماعية والسياسية «، وبالتالي ربما أصبحت الحاجة ماسة إلى وضع أهم ما ورد في « إعلان الاستقلال « في نصوص قانونية تأكيداً على « سمو الشأن القومي اليهودي «، أما الشق الآخر، فهو عدم رضا الحكومة الإسرائيلية عن أداء محكمة العدل العليا التي عندما تتعرض لمسائل تتعلق بالاحتلال والاستيطان تلجأ في محاولة للظهور بمظهر الموضوعية لمناقشة سوابق قضائية دولية ومعاهدات دولية، وتستعين بشروحات فقهاء القانون الدولي، ولا سيما تلك المتعلقة بالقانون الدولي، ومع أن محكمة العدل العليا أثبتت على مدار 78 عاما من معالجة قضايا الاحتلال الصهيوني، أنها – بحسب أستاذ القانون في الجامعة العبرية د . ديفيد كوتشمير – « أداة فاعلة لشرعنة أعمال الحكومة في « الأراضي المحتلة «، وأن الأغلبية العظمى من قراراتها كانت داعمة ومبررة ومؤيدة لممارسات سلطات الاحتلال، إلا أن الحكومة أرادت تقييد سلطة صلاحيات محكمة العدل العليا بتشريع محدد يكون هو مرجعيتها الوحيدة، ومنحته صفة « قانون أساس « أي أنه ذو صيغة دستورية، وبالتالي يكون أكثر تعقيداً للمحكمة، وعلى المحكمة الآن أن تنظر إلى عملية الاستيطان بوصفها « قيمة وطنية « ولا يمكن أن تكون « جريمة حرب « وبالتالي فإنها لن تضطر لمناقشة المادة 6/49 من اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 بل عليها أن تنظر الآن إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة على أنها « الوطن القومي للشعب اليهودي « وليست أراضي محتلة، وبالتالي لا علاقة لها باتفاقيات لاهاي و جنيف والقانون الدولي الإنساني، لقد جاء القانون لتحصين «إسرائيل» من آثام الاحتلال كلها !.

وسنشهد قريباً أول امتحان لمحكمة العدل العليا الإسرائيلية، إذ أن أمامها « ثلاثة التماسات « للطعن في القانون موضوع البحث، فقد قدم التماساً من حركة ميرتس وهي حركة يسارية إسرائيلية، و مركز عدالة وهو مركز يعنى بالدفاع عن حقوق « الأقلية العربية في إسرائيل « إضافة لحركة السلام الآن، والأطراف الثلاثة يقودون حالياً تظاهرات يشترك فيها بعض اليهود، وتجد هذه الالتماسات تأييداً من العديد من الشخصيات اليهودية من قضاة وأساتذة جامعات وأكاديميين وطلاب وعمال .. والالتماسات الثلاثة تقوم على مبدأ الطعن في القانون الأساس بوصفه قانون عنصري .. والطريف هو تعليق وزيرة العدل الإسرائيلية التي حذرت محكمة العدل العليا من إلغاء هذا القانون لأن ذلك سيشكل « زلزالاً في إسرائيل»!.

• ما العمل:

يثير قانون القومية العنصري عدة مسائل قانونية جديرة بالبحث والمناقشة، إلا أن المجال لا يتسع لبحثها جميعاً، وإن اتسع لطرح التساؤلات على سبيل المثال: ما هو مصير القرار الأممي رقم « 181 « الذي أوصى بتقسيم فلسطين إلى «دولة عربية وأخرى إسرائيلية «، ووضع مدينة القدس تحت إدارة دولية ؟! هل لا يزال ذلك القرار مصدر الشرعية الدولية لإقامة دولة عربية فلسطينية.. أم أن قانون القومية يجبُّ ما قبله ؟! ما هو مصير مشروع « م.ت.ف» بإقامة دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران 1967؟! وقد جاء هذا القانون العنصري ليعلن « الضم الكامل « لكل فلسطين التاريخية ؟!، هل تبادر مصر والأردن إلى إعادة فتح ملفات اتفاقيات كامب ديفيد ووادي عربة بعد إعلان قانون القومية العنصري حدود « أرض إسرائيل الكبرى « ؟! ألا يرى الأردن ومصر أن « قانون القومية « يعلن مشاريع توسعية على حساب سيادتهم؟! ما هو تأثير هذا « القانون على أهمية عدم تجديد ملحقي استغلال منطقتي « الغمر والباقورة « المرفقتين بمعاهدة وادي عربة؟ هل يمكن أن يؤدي هذا القانون لإعادة نظر المطبعين العرب في سياسة التقارب والتنسيق مع « دولة الشعب اليهودي الحصرية «؟! هل تراجع قيادة « م.ت.ف « سياستها وأحلامها بإقامة «سلام دائم « مع مثل هذا الكيان الذي يعلن عنصريته وفاشيته في الوقت الذي توارت جميع أشكال الأبارتهايد في العالم أو تكاد ؟! وفوق هذا كله، ما تأثير «قانون القومية « على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وأرضهم التي يزعم هذا القانون أنها أرض « الشعب اليهودي»؟!.

إنها سلسلة من التساؤلات تطول وتحتاج إلى نقاش مطوّل لا يتسع المجال له .. ولكن قد يكون من الملائم اقتراح خطوتين على قيادة « م .ت. ف» لوضعهما في اعتبارها .. وقبل ذلك يجب التذكير بالقرار الأممي الذي صدر قبل نحو خمسة عقود والذي أعلن «أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية».

إن قيادة « م . ت . ف» مدعوة اليوم إلى اتخاذ العديد من الإجراءات لوقف مفاعيل هذا القانون العنصري والسام، وذلك بالمبادرة فوراً إلى:

1/القيام بحملة دبلوماسية عالمية تحض الدول على إعلان عدم الاعتراف بهذا القانون وإدانته وعدم احترام آثاره!.

2/ اتخاذ مبادرة أكثر سهولة من مهمة الوفد الكويتي في عام 1975، مبادرة تطرح مشروع قرار أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، تطالب فيه المجتمع الدولي بإعلان « إسرائيل دولة تمييز عنصري وأبارتهايد « ولا يحتاج المندوب الفلسطيني إلا إلى إبراز ورقة واحدة تدعم مطلبه، وهي « قانون القومية الصهيوني « ليس غير، لأن القانون يشرح نفسه بنفسه، ولا يحتاج إلى تأويل أو تفسير!.

ستكون المبادرة الفلسطينية مدعومة بما ورد في الاتفاقيات الدولية الخاصة بإنهاء التمييز العنصري والالتزام الدولي بمحاربة جميع أشكاله .. فعلى الرغم من أن تلك المبادئ القانونية تطالب الدول بأن « تنتهج من دون تأخير، سياسة القضاء على التمييز العنصري بكافة أشكاله « وتنص على التزام « كل دولة طرف « بأن تتخذ تدابير فاعلة « لإعادة النظر في كل الممارسات الإسرائيلية « و أن تتعهد بـ « منع وحظر واستئصال « جميع الإجراءات العنصرية، واعتبار « كل نشر للأفكار القائمة على التفوق العنصري أو الكراهية أو الإبادة الجماعية أموراً يجب مواجهتها والقضاء عليها «. إن قانون القومية الصهيوني أشد أذىً وأخطر أثراً مما رأينا زمن الأبارتهايد!

الثالوث النازي
قانون معاداة الفلسطينية
من يعلق الجرس!

مروة محمد ـ كاتبة فلسطينية - سورية

السابع من أكتوبر رفع الغطاء وكشف عورة الكيان الصهيوني أمام شعوب العالم وجعلها تعيد حساباتها وتراجع سياسة التطبيل التي مارستها الحركة الصهيونية العنصرية البغيضة التي كانت تستخدم فزاعة الهولوكوست وأن الكيان في حالة خطر دائم وأنه يعيش في محيط معادٍ يتصيّده حتى تتيح له الفرصة وينقضّ عليه ويفتك به.

كشفت الحقيقة لشرفاء وأحرار العالم وبان لهم الخيط الأبيض من الأسود بفعل ما ارتكبته قوات الاحتلال من جرائم بحق الشعب الفلسطيني في غزة وفي الضفة، وعبر عنه الثالوث الفاشل العنصري النازي في حكومة اليمين المتطرف الذي يختبئ خلف قانون يقلق راحة الأوروبيين ويذكرهم بما فعله آباؤهم وأجدادهم وما ارتكبوه بحق الصهاينة وما فعله ويفعله هذا الكيان بقيادة الثالوث النازي أن هؤلاء ليسوا ضحايا إنما هم مجرمون من الطراز الرفيع وعنصريون ويدّعون كذبًا وافتراء بأنهم يدافعون عن أنفسهم وكل ما يفعلونه مواجهة الإرهاب في المنطقة.

الكنيست الصهيوني يومًا بعد يوم يصوّت على قوانين تضرب جذورها عميقًا في العنصرية وتدعو للتطهير العرقي والإبادة الجماعية، وتتفق فيه المعارضة مع الحكومة اليمينية الفاشية التي تختبئ في عباءة قانون معاداة السامية ويستذكر الهولوكوست ويبتز الدول الأوروبية ويقدم نفسها على أنه الموقع المتقدم لخدمة الرأسمال العالمي.

رغم أن كل ما ارتكبته هذه العصابة الفاشية الصهيونية في أرض العزة والكرامة، أرض غزة الأبية، والتي ستبقى شاهدًا حيًا على التدمير والتجويع والقتل وتهديم البيوت والحصار وتدمير المستشفيات وقتل الأطباء والإعلاميين وتدمير الشجر والحجر، فاق ما يدعيه الصهاينة مجرمي وقطاعي الطريق في أركان المعمورة وهم يتباكون بلا خجل أو وجل على ما حل بأجدادهم في أوروبا ويبنون سرديتهم على أساس ديني عنصري بغيض يفيض بالحقد والكراهية ضد الشعب العربي الفلسطيني صاحب الأرض التاريخي.

وجدير بالإشارة ما يتعرض له الأسرى الفلسطينيون في زنازين الفاشية الصهيونية من ممارسة أبشع أنواع التنكيل والتعذيب والحرمان من النوم ومنع الطعام والشراب والدواء عنهم، حيث طوّر الفاشيون والنازيون الجدد أساليبهم بممارسة الاغتصاب لمشاعل الحرية ومصادقة الكنيست بالقراءة الأولى على تنفيذ حكم الإعدام بحق الأسرى وانتهاك حرمة الأماكن المقدسة وتوسيع الاستيطان والمصادقة على عدم القبول أو الموافقة على دولة فلسطينية على الأراضي الفلسطينية مهما كان شكلها ودوافعها وإمكانياتها، والإصرار على ضم الضفة الغربية للكيان العابر في الزمان العابر.

والمؤسف أن ردود الفعل على هذه الممارسات التي تتصف بالهمجية والبربرية والمعاداة لكل ما له علاقة بالإنسانية وحقوق البشر. فالعناوين العربية البراقة والجذابة والمشلولة في ذات الوقت، من جامعة الدول العربية إلى القوى السياسية والمنظمات الاجتماعية والحزبية، لم يخطر ببالها أن الأوان قد آن أن يكون هناك قانون جدي على المستوى الشعبي والجماهيري واستثمار تحول الرأي العام العالمي لصالح فلسطين والقضية الفلسطينية «قانون معاداة فلسطين والفلسطينية» ببذل قصارى الجهود حتى تتبناه المنظمات والأحزاب والقوى على الصعيد الدولي الذي يجرّم ويغرّم ويلاحق كل من تسوّل له نفسه إنكار الحق الفلسطيني أو معاداة النضال الوطني الفلسطيني أو إيذاء الفلسطيني كونه فلسطينيا مناضلا له الحق بالعودة إلى وطنه حرًا كريمًا يعيش فيه هذه المعمورة على قدم المساواة مع بقية البشر

تاكر كارلسون/ إعلامي داعم لترامب

350 مليون أمريكي ينامون جوعى ونحن نرسل 26 مليار دولار لدولة لا نعرف اسم عاصمتها.

هذا التصريح وحده حصد 48 مليون مشاهدة خلال 9 ساعات. وأظهر استطلاع CNN أن 62% من الأمريكيين يوافقونه، تأكيدًا لحجم الانقسام بين السياسة الخارجية والأولوية الداخلية.

فلم يعد هنالك متسع من الوقت للبكاء والعويل وذرف الدموع الكاذبة على ما يلحق بالفلسطيني من النظام العربي أولًا وانتهاءً بالنظام الرأسمالي مرورًا بكل دول العالم التي تدقق وتمحّص بهوية الفلسطيني وتتردد وتتمنع في تسهيل عمله وسفره وإقامته بحجج واهية كبيت العنكبوت، وبعضها يستجدي ويتمنن ويناشد، والبعض يكتفي بالتصريحات وإصدار البيانات.

الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية والإنسانية بحاجة لفعل وموقف واضح وصريح مناصر ومؤيد ومنحاز لها، فالفلسطيني لن يكن بعد اليوم شماعة لمن يدّعون العروبة الإسلام وأصحاب شعارات الدفاع عن حقوق البشر.

يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني:
صبر الجبال ووعود الطاولات

حمزة البشتاوي – كاتب وإعلامي فلسطيني - لبنان

يشكل اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني فرصة ومناسبة، لتذكير العالم بحقيقة المأساة الفلسطينية والظلم الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني، نتيجة صدور قرار التقسيم في العام 1947 والذي حولهم إلى مجموعة لاجئين موزعين في شتى بقاع الأرض، وعبر المقاومة والصمود، يؤكد الفلسطينيون حاجتهم إلى تعزيز التضامن الدولي مع كفاحهم الوطني ومقاومتهم باعتبارها حقا مكفولا بالشرائع الدولية من أجل الخلاص من الاحتلال وما يسببه لهم من دمار وقتل وآلام.

والتضامن اليوم ليس موقفاً عاطفياً عابراً، بل التزام أخلاقي إنساني تجاه شعب يصبر كالجبال، وكل ما يريده هو العيش بأمن وحرية وكرامة واستقلال، فوق أرضه التي ما زالت رغم حرب الإبادة والعدوان تشبه الورد الذي ينبت في قلب الجراح والعذاب.

ومع استمرار كيان الاحتلال بانتهاك كل القوانين والمواثيق والأعراف الدولية، عبر زرع الموت والمستوطنات وتشديد الحصار يحتاج الفلسطينيون من كل أحرار العالم إلى المزيد من الوقوف مع دفاعهم البطولي عن قضيتهم العادلة وحقوقهم المشروعة، وفي مقدمتها العودة إلى الديار التي هجروا منها قسراً في العام 1948.

وفي العام 1977 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا رقم 32/40 لعام 1977 وتم تخصيص يوم 11/29 من كل عام يوماً عالمياً للتضامن مع الشعب الفلسطيني ربطاً بتاريخ صدور قرار 181 الذي دعا إلى تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين على أرضها، ومنذ صدور هذا القرار وما قبله لم تضطلع الأمم المتحدة بمسؤولياتها، خاصة على صعيد وقف المجازر التي يرتكبها الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني، مع عدم قدرتها على ترجمة مضامين وأهداف اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وعجزها عن إصدار إعلان واضح حول حرية فلسطين وحق تقرير المصير لشعبها وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وتمكين اللاجئين من العودة والعيش بكرامة وحرية على أرضهم التي لا أرض لهم سواها.

يقدر الفلسطينيون في الداخل والشتات الشعوب والحكومات التي تؤيد حقوقهم الوطنية، مع التمني بأن ينتقل هذا التأييد من لغة البيانات إلى تقديم الدعم العملي خاصة لأهالي قطاع غزة الذين يعانون من أهوال حرب الإبادة وتدمير منازلهم ومستشفياتهم ومدارسهم، إضافة لحرمانهم من الاحتياجات الأساسية، مثل المياه والطعام والأدوية في مأساة أصبحت تلامس كل ضمير في هذا العالم، وهذا يستدعي وجود تضامن حقيقي يقاس بأثره لا بشعاراته.

واكتفاء البعض بلغة البيانات الإنشائية دون تضامن جدي وحقيقي، مسألة لا تخدم سوى تعميق حالة الخذلان وتفاقم الأزمة الإنسانية التي يسعى الاحتلال إلى تكريسها عبر عمليات هندسة ديمغرافية وجغرافية ضد الأرض والإنسان في فلسطين.

ويفترض الفلسطينيون أن يكون التضامن معهم عبر إعادة تذكير العالم بعدالة قضيتهم، وليس تضامناً شكلياً وغير مؤثر وسط تراجع التفاعل العربي مع قضيتهم بما ينسجم مع صمت معظم الحكومات التي أصبح تضامنها أقل وأضعف مما تقوم به دول بعيدة ونخب سياسية وثقافية وجامعية وحراكات شبابية تجوب شوارع العالم حاملة اسم وعلم فلسطين من منطلقات حقوقية وإنسانية وأخلاقية، جعلتها تتبنى رواية الشعب الفلسطيني صاحب الحق والأرض بمواجهة الرواية الصهيونية التي تستند إلى الأكاذيب والتضليل والخلل الواضح في موازين القوى، الذي يعطل إقامة الدولة الفلسطينية ويجعل المفاوضات مساراً شكلياً لا نهاية له.

وقد أكدت الحركات الشبابية بأن القضية الفلسطينية لا تزال حية في الوجدان العالمي، وتؤرق العالم كله الذي بات ينظر إلى بطولة الصبر والصمود والكفاح الفلسطيني، باعتبارهم مفتاح الحل وتقرير المصير وإقامة الدولة التي هي حق أصيل قدم من أجله الشعب الفلسطيني الكثير من التضحيات.

وأمام الدعم والتضامن الذي يتلقاه الفلسطينيون من الشعوب الحرة في العالم، تظهر معظم الأنظمة الرسمية العربية المزيد من العجز تجاه قضيتهم وتجاه ما تعرضوا له خلال حرب الإبادة التي وقعت بعد أن قرع الفلسطينيون جدران الخزان ووجهوا ضربة موجعة لكيان الاحتلال ومنظومته الأمنية والعسكرية عبر طرق الجدران وسياج

الحصار وصمدوا بشكل أسطوري أذهل العالم الذي بات يعترف ويصرح بأن الكيان يشكل نموذجا للوحشية والإجرام والفاشية والعنصرية.

ويعتبر التضامن العالمي مناسبة لتذكير من لم تكفه السنوات الطويلة السابقة من المراهنة على وعود طاولات المفاوضات وما ألحقه هذا الخيار من خسائر ومخاطر، وإمعان كيان الاحتلال في العدوان وانتهاك كافة المواثيق والقوانين الدولية، وهو يريد من اتفاقيات التطبيع والمفاوضات، استكمال سياسة التطهير العرقي، ليس فقط في الضفة الغربية وقطاع غزة، وإنما أيضاً بحق فلسطينيي الداخل الذين يعيشون تحت وطأة نظام عنصري ما زال يقوم بتسريع عمليات التهويد في منطقتي النقب والجليل، والعمل على ضم أجزاء واسعة من الضفة الغربية مما يجعل حتى ما يسمى بحل الدولتين أمر غير قابل للتطبيق، ولذلك يجب على المستوى السياسي والثقافي العودة للتمسك بالجذور والثوابت والأصول، وكما قال القائد الحكيم جورج حبش: كلنا يريد الدولة الفلسطينية المستقلة اليوم قبل الغد، إلا أن قيام هذه الدولة لا يتم عبر الإعلان والبيان وعبر نشيد وعلم، وإنما يتطلب تغييراً جذرياً في موازين القوى المحلية والدولية يفرض قيام هذه الدولة، وهذا لن يأتي إلا من خلال القوة وليس المفاوضات.

وانطلاقا من هذا الموقف يجب أن يشكل يوم التضامن مناسبة من أجل تعزيز عناصر القوة الفلسطينية وتصويب الأوضاع الداخلية الفلسطينية، وإطلاق طاقة المقاومة بكافة أشكالها بإرادة واحدة موحدة، لأن القضية الفلسطينية كانت وستبقى قائمة وحية ما دام هناك شعب فلسطيني يناضل ويضحي من أجل الحرية والعودة و الاستقلال، مع التأكيد بأن موازين القوى قد تتبدل والتحالفات قد تتغير، لكن إرادة الشعب تبقى العامل الأكثر ثباتاً وعمقاً في الحاضر والتاريخ.

وعد بلفور جديد على الطريقة الترامبية

نعيم إبراهيم ـ صحفي وكاتب فلسطيني ـ سورية

تساءل صحفي من غزة: ماذا يُخبِّئ القرار 2803 لقطاع غزة؟
الإجابة ليست بحاجة إلى كبير عناء للوصول إليها مع ما يجري على الأرض من حرب إبادة تستهدف أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، كما هو الحال في الضفة الغربية. وحرب الإبادة هذه مستمرة منذ العام 1948 ضد الشعب الفلسطيني.

ما يجري راهناً يمثل قناعاً جديداً لسيطرة العدو الصهيوني على كامل فلسطين التاريخية، ويؤكد أن قرار مجلس الأمن الدولي (2803) بشأن غزة هو وعد بلفور جديد على الطريقة الترامبية، رغم أنه يقدم نفسه كاستجابة دولية متوازنة لما بعد حرب الإبادة على القطاع، وكأنه حصيلة إجماع عالمي على «إنهاء نزاع» أنهك الجميع. غير أن بنيته الداخلية تكشف عن محاولة منظمة لتحويل عجز الاحتلال عن تحقيق أهداف الحرب عسكرياً إلى إنجاز سياسي-أمني عبر مسار دولي مغلف بخطاب «السلام والازدهار» و«إعادة الإعمار».

فالقرار ينطلق من تشخيص «الحالة» في قطاع غزة بوصفها تهديداً لـ«السلم في المنطقة وأمن الدول المجاورة»، في محاولة لإعادة إنتاج الدعاية الصهيونية - الغربية التي تختزل جوهر الصراع من واقع احتلال استيطاني طويل الأمد لأرض وشعب، إلى «حالة تهديد» صادرة عن قطاع صغير ينبغي ضبطه أمنياً. ومن هذا التشخيص ينتقل القرار إلى ما يسميه «الخطة الشاملة لإنهاء النزاع في غزة»، حيث إن اختيار كلمة «النزاع» بدلاً من الاحتلال أو الاستعمار يعيد تسويق الدعاية ذاتها التي تصور المشكلة كـ «صراع» بين طرفين متماثلين، لا كبنية استعمارية مفروضة بالقوة على الشعب الفلسطيني. ولذلك فإن الاستقرار الذي يقترحه القرار ليس استقراراً عادلاً، بل هدوءاً مفروضاً بقوة السلاح والمال.

المعطيات الحالية على الصعد كافة تفتح باب التساؤلات حول الدور المحتمل لبعض الرسميات في حماية رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو دبلوماسياً، أو في إدارة ملف «اليوم التالي لغزة» من خلف الستار، لمتابعة مراحل حرب الإبادة.

في هذا المسار تأتي اللقاءات المتكررة بين عديد من القادة والمسؤولين في المنطقة والعالم مع رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير حول خطة «اليوم التالي لغزة»، بما يشمل بحث إنشاء «مجلس السلام الدولي» بدعم من الرئيس دونالد ترامب، وكلهم حقيقة مشاركون فعلياً في إدارة الحرب من وراء الكواليس، تزامناً مع تصاعد الاتهامات الدولية للكيان الصهيوني بارتكاب جرائم حرب، ومع تحركات داخل المحكمة الجنائية الدولية تمهيداً لإصدار مذكرات اعتقال بحق نتنياهو ومسؤولين صهاينة كبار.

عشرون بنداً هي تعداد خطة ترامب حول مستقبل غزة، تستكمل دورة التاريخ الموسوم بالاستعمار والاحتلال والانتداب، كقدر يطوق الشعب الفلسطيني سنوات عمره وحياته. وفي لعبة الأطماع الدولية تتشارك القوى العالمية تحت مسمّيات مختلفة، لها ذات الطابع الذي كان سائداً في زمن بريطانيا الانتدابية. فبين المندوب السامي الذي صار اسمه رئيس مجلس السلام، والبوليس الدولي الذي صار اسمُه قوة التدخل الدولي، وبين الخط الأزرق الذي صار أصفر وأحمر وأخضر، وفي مشاريع القسمة الدائمة بين غزة والضفة والقدس، ضمن كل التفاهمات والمشاريع الدولية المقصودة. وعلى هذا النحو المقيت يرسم مستقبل فلسطين والحقوق المشروعة لشعبها ومسألتها الوطنية عبر بوابة غزة هذه المرة، وبعدها الضفة الغربية.

عامان من الإجرام والإرهاب والإبادة لم يشر لها وعد ترامب، ولم يتهم صراحة قادة كيان الاحتلال الصهيوني، ولم يدعُ إلى محاسبتهم أمام القضاء الدولي. بل على العكس من ذلك، تهدف الخطة الأمريكية إلى رسم حدود واضحة لمناطق السيطرة، بحيث تكون مناطق حركة حماس باللون الأحمر، ومناطق جيش الاحتلال الصهيوني باللون الأخضر، على أن تتقلص مناطق سيطرة حماس تدريجياً، مما يفتح الباب لاحقاً لنشر قوة دولية بتفويض من مجلس الأمن، إلى جانب شرطة فلسطينية محلية. وخلال المرحلة الانتقالية، تشرف «هيئة السلام» المقترحة ضمن خطة الرئيس الأميركي دونالد ترامب على الإدارة المدنية وإعادة الإعمار، ما يؤكد أن ما يجري هو محاولة فرض وصاية دولية تهدف إلى فصل غزة عن الشعب الفلسطيني، ومنع الفلسطينيين من مقاومة الاحتلال وإدارة مصيرهم، عبر مساعدة نتنياهو في مواصلة حرب الإبادة، وبحث ترامب عن الاستثمار، كما يقول محللون.

هنا لا بد من الإشارة إلى أن نتنياهو قرر تشكيل مجلس أمني مصغر جديد، ضم في عضويته وزراء الأمن إيتمار بن غفير، والمالية بتسلئيل سموتريتش، والخارجية جدعون ساعر، وهم من أشد مناهضي وقف الحرب، ويتحدثون صراحة عن الاستيطان و«إسرائيل الكبرى». وبعد هذا التشكيل، قال ساعر: «إن إسرائيل منحت خطة الرئيس الأميركي دونالد ترامب للسلام في غزة فرصة حقيقية عبر الدبلوماسية، وإن فشل مواصلة تنفيذ الاتفاق سيسمح لإسرائيل بالتحرك عسكرياً مع شرعية دولية أوسع بكثير». علماً أن الحرب لم تتوقف في غزة، كما لم يتوقف القتل والضم في الضفة، حيث لا تزال الولايات المتحدة مهتمة ببحث استثماراتها المستقبلية في غزة أكثر من اهتمامها بوقف القتل والتدمير، لدرجة أن القاعدة الجديدة التي أنشأتها لمراقبة اتفاق وقف إطلاق النار أصبحت في خدمة العدوان الصهيوني.

إن القرار الأممي، الذي يحمل رقم 2803، ورحب بخطة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المكونة من 20 بنداً والصادرة في 29 سبتمبر/ أيلول 2025، يمثل شكلاً من أشكال الشراكة الدولية العميقة في حرب الإبادة التي يشنّها الاحتلال على أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ولم يدعُ إلى إنهاء الاحتلال، ونظام الأبارتهايد والتمييز العنصري، وتلبية حق العودة وتقرير المصير للشعب الفلسطيني، ويُعمّق الفصل بين الضفة والقطاع، ويستهدف وكالة الأونروا ودورها التاريخي ومسؤوليتها تجاه اللاجئين الفلسطينيين، الذي يُمثّل آخر أشكال التعبير المتبقية عن الالتزام الدولي تجاه قضيتهم، وفق ما أكدت فصائل فلسطينية.

ختاماً، أحيل أبناء الشعب الفلسطيني وكل الفصائل والقوى الفلسطينية والمجتمع الدولي إلى ما قاله وزير الطاقة الصهيوني وعضو المجلس الوزاري الأمني المصغر «الكابينت» من حزب «الليكود» إيلي كوهين: إنه لا حاجة إلى إقامة دولة للفلسطينيين، حيث إن لديهم الأردن الذي يشكلون فيه أغلبية السكان.

وأضاف: «هناك بالفعل دولة ذات أغلبية فلسطينية، وهذه الدولة هي الأردن، لن نُعرّض دولة إسرائيل للخطر».

إن قراءة متفحصة لما بين سطور هذا التصريح ومثيلاته تؤكد الأهداف المرحلية والاستراتيجية لخطة ترامب (وعد بلفور الترامبي). وحتى لا يكون الشعب الفلسطيني أمام نكبة جديدة، فإن التشبث بالأرض ليس ضرباً من الخيال، بل هو خيار قابل للتحقيق عندما يتوفر الحد الأدنى من المقاومة بكل أشكالها والبقاء والأمان. فغزة لا تريد أن تُهجّر، غزة تريد أن تحيا وتقاوم، وشعب فلسطين له الحق في تقرير مصيره وتجسيد دولته المستقلة على كامل التراب الوطني الفلسطيني بعد تحريره، باعتباره حقاً غير قابل للتصرف، ولا يخضع لأي شروط أو تحفظ، وغير قابل للمساومة أو التفاوض، تكريساً لمعادلة «ما أُخِذَ بالقوة لا يسترد بغيرها».

التصعيد العدواني الأمريكي على فنزويلا قراءة سياقية للواقع والأهداف

د. محمد عبد القادر ـ كاتب وناقد فلسطيني ـ الأردن

من المؤكد أنه يتعذر فهم الحروب بعامة فهما دقيقاً إلا باسترجاع سياقاتها وتأملها وتحليلها وإعادة تركيب تصور معقول أو رؤية عميقة لما يجري، وما الصراع والتوتر ،. بل العدوانية الإمبريالية الأمريكية المتصاعدة ضد فنزويلا، إلا حالة من هذه الحالات التي لا بد لفهمها من فهم سياقاتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك . ستقرأ هذا الصراع بين الرأسمالية المعولمة والمتوحشة، وبين نظام اشتراكي - ديمقراطي ضمن منظور سياقي متكامل يسعى لأن يضع النقاط على الحروف ويضيء أبعاد هذا الصراع .

فنزويلا: نبذة سريعة

خضعت البلاد لاستعمار إسباني امتد نحو ثلاثة قرون من القرن السادس عشر إلى مطالع القرن التاسع عشر، ثم ورثه الاستثمار الأمريكي لبضعة عقود (١٨١١ - ١٨٣٠) تقريباً.

وتناوبت عليها ديكتاتوريات متلاحقة ونهبت مقدرات الوطن وحقوق الشعب. ويمكن القول إن أول حكم وطني قاد البلاد لمصلحة الشعب والإقليم والإنسانية بعامة كان نظام شافيز.

فما الملامح الأساسية لفكر ودور وقيادة شافيز؟

وضع شافيز نظاماً اشتراكياً - ديمقراطياً منذ تولى القيادة منتخباً من الشعب في عام ١٩٩٨، وناضل في سبيل بناء صيغة تكامل سياسي واقتصادي بين دول أمريكا اللاتينية. كان معادياً للإمبريالية والعولمة وتحدى سياسات الولايات المتحدة، ما وسع من دور ونشاط القوى اليسارية في القارة. اعتبره الشعب ناطقاً باسم الفقراء حين أعلن برنامجه الرئاسي متمثلاً في مكافحة الأمراض والأمية وسوء التغذية والفقر والأمراض الاجتماعية، جاء شافيز إلى الحكم عندما كان ٥٠٪ من الشعب يرزحون تحت خط الفقر، في وقت كانت فنزويلا من أغنى بلاد العالم في ثرواتها الطبيعية وبخاصة النفط. وتضمنت إنجازاته القضاء على بيوت الصفيح ببناء مئات الآلاف من المنازل التي وزعت مجاناً على المحتاجين.

وقبل أن نمضي بعيداً، دعونا نتأمل ما قاله الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو معلقاً على تهديدات رئيس أمريكي لا يعرف من أين يبدأ، وإلى أين يسير، وإلى أين ينتهي، قال مادورو مخاطباً شعبه: إنهم يعملون على تغيير النظام من خلال التهديد بالتدخل العسكري، وتواجه فنزويلا أكبر تهديد تتعرض له قارتنا منذ مئة سنة، وإذا ما هوجمت فنزويلا سنتحول فوراً إلى الكفاح المسلح دفاعاً عن أرضنا، وستصبح البلاد (جمهورية تحت السلاح .)

تشير هذه الفقرة من خطاب مادورو أن الدولة ترى في التهديد الأمريكي خطراً حقيقياً قابلاً لأن يداهم البلاد براً وبحراً وجواً، وهذه هي الطريقة السليمة في التعامل مع القوى الاستعمارية المتوحشة وما يقتضيه ذلك من إعداد واستعداد رغم فارق القوة الحاد بين الطرفين. فلنتأمل حقائق الصراع وسياقاته ؛

وماذا عن الموارد الطبيعية للبلاد؟

تحتفظ فنزويلا بأعلى احتياطي نفطي في العالم، بما يفوق الاحتياطيات الفردية لدول عربية وشرق أوسطية، كما تتمتع بكميات وافرة من الغاز والذهب والماس والفحم والبوكسايت، وهو ما تم تأميمه في زمن تشافيز، وإذا كانت الموارد مهمة، فإن الأهم يتمثل في إدارة هذه الموارد، ومن هنا جاء التأميم، وإقامة نظام سياسي واقتصادي مستقل بعيداً عن الشركات الأمريكية والعالمية ما خلف استياء وغضباً وحقداً أمريكياً وغربياً ضد النظام السياسي الذي يقوده شافيز لصالح الشعب والبلاد.. وهنا تكمن جذور الموقف الأمريكي المعادي لفنزويلا وحكوماتها الوطنية وشعبها الداعم للقيادة، سواء أكان ذلك في زمن شافيز أم خلفه مادورو حيث تشدد إدارة ترامب اتهاماتها لنظام الحكم الحالي في فنزويلا بقيادة مادورو .

الإمبريالية الأمريكية : سجل دموي مكشوف

حين خطب مادورو بالشعب منبهاً ومحذراً ومحفزاً للاستعداد، كان يدرك حقيقة الرأسمالية المعولمة في توحشها وعجرفتها وعنفها ولم يتجاهل حقائق التاريخ الإمبريالي الذي اختصره موقع (davidson.org/warlist) في قائمة قصيرة تشير إلى عدوانية واشنطن منذ الحرب العالمية الثانية إذ نجم عن حروبها وتدخلاتها العسكرية ومؤامراتها موت ما يقرب من (٢٠) مليون إنسان في قارات وأماكن مختلفة، وأسقطت ما لا يقل عن (٣٦) حكومة، وتدخلت انتخابياً في (٨٦) انتخاباً في أقل تقدير، وحاولت اغتيال أكثر من (٥٠) قائداً أجنبياً، كما ألقت قنابلها على ما يربو على (30) دولة.

بيد إن مادورو وشبان وشابات شافيز يدركون أن أمريكا ليست قدراً ماحقاً لا يهزم، ويتذكرون فيتنام وكوريا وأفغانستان والعراق وعدوانها الفاشل على إيران، وشراكتها الإجرامية للكيان الصهيوني

في حرب على غزة والضفة ولبنان، واليمن العظيم الذي سجل أروع أمثلة التصدي والدعم لقوى المقاومة العربية، بل إنه أذل كلاً من العبيط واللقيط علناً وبالفعل لا بالقول .

ترامب .. ليس خارج الإطار

للإمبريالية سمات واضحة رصدها الناس والباحثون من ممارساتها ولم يسقطوها على قادتها عنوة، وأول هذه السمات الكذب والافتراء والتزوير والتزييف، وكسر القانون الإنساني لصالح قانون الغاب، واختلاق أسباب واهية تافهة وأحياناً مضخمة لإشعال حرب هنا أو هناك، أو شن عدوان على دولة مناوئة أو قوة ثورية.

والإمبريالية تدفعها دائماً مصالحها ثم مصالح حلفائها وقد لا تبالي بمصالح هؤلاء إن رأت تناقضاً (لاحظ ترامب مع أوروبا وكندا والمكسيك).

ولا تخجل الامبريالية من التدخل في شؤون الدول الأخرى والتحريض على قتل زعماء مناوئين . وهنا لا بد أن نتذكر أن ترامب خصص مكافأة قدرها (20) مليون دولار لمن يعتقل مادورو ثم عاد ورفع المكافأة إلى (٥٠) مليون دولار، ولا يهم الإمبريالية الأمريكية أن تقدم اتهامات لدول أو زعماء مناوئين من دون أدلة وهنا نأتي إلى عقلية البلطجة الأمريكية التي يمثلها ترامب والتي يهدد بشن حرب على فنزويلا وإسقاط النظام الشرعي بحجة وجود عصابات لتهريب المخدرات، بل إنه وبوقاحة إمبريالية تليق بالرئيس الأمريكي تماماً، اتهم مادورو بأنه مشارك في تهريب المخدرات. فقال الخبراء القانونيون: حتى لو كان ما تقوله صحيحاً فلا صلاحيات لديك لشن حرباً تحت هذه الذريعة.

وقال له أعضاء في الكونجرس : حتى لو صدقت ادعاءاتك فإن هذه التهمة لا تقتضي حرباً لأن وسائل كثيرة غيرها متوافرة .

الحروب وبطش القوة والافتراء واحتقار القانون المدني والدولي والإنساني هي الأدوات التي يدير بوساطتها الإمبرياليون دولهم ودول العالم أيضاً وعن طريقها يحققون الأهداف : مرحلية كانت أم إستراتيجية.

التصعيد الإمبريالي على فنزويلا: الأبعاد والأهداف

يحدث هذا التصعيد الأمريكي على فنزويلا في زمن نيكولاس ما دورد خليفة تشافيز والأمين على رسالته ومبادئه وأهدافه وسلوكه فيرفض الاستجابة والاستسلام والإذعان للإمبريالية - الفاشية رغم الحصار والعقوبات السياسية والاقتصادية، الساذجون وحدهم من يقتنعون بأن غاية محاربة تجارة وتهريب المخدرات، بل أقول إن هذا السبب أهون من أن يرد في خاطر زعيم فاسد يفتقر إلى المبادىء والقيم. ولكن أهداف وأبعاد هذا التصعيد تكمن في المجالات الدولية والاقتصادية والسياسية والاستعمارية، ليس على صعيد فنزويلا وحدها بل على مستوى القارة بأكملها، ونجملها في ما يأتي:

- الرسالة الأولى لدول أمريكا اللاتينية أن أمريكا مائدة لقارة وإنها وإن انشغلت فترة من الزمن في قضايا أوروبا وآسيا والشرق الأوسط، فإنها الأن قد أرست معالم إستراتيجيتها لأمريكا الجنوبية، ولن تكتفي بالأرجنتين والسلفادور حليفين أساسيين لها، بل تريد المنظومة كاملة.

- في السياسة الدولية، الهدف الأول لأمريكا ترامب هو محاصرة الصين واحتواء تمددها واتساع تحالفاتها، وفنزويلا حليف قوي للصين (ولروسيا وتركيا وإيران) التي تحظى بتأييد متزايد في أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي، ما يضر بالمصالح الأمريكية في القارة التي تقف فنزويلا (جغرافياً) على رأسها. في هذه القارة تتوسع الصين اقتصادياً وسياسياً ودبلوماسياً جراء مبادراتها وغياب الأمريكي وسحب برامجه الداعمة السابقة.

- عرقلة التجارة الخارجية لفنزويلا ومن يدعمها.

- ضرب القطاعات الاقتصادية المختلفة وبالذات قطاع الطاقة.

- تغيير السياسات الاقتصادية والسياسية، إذا أمكن في ظل صوغ مؤامرات وتحريض على الحصار من الدول المجاورة، ضد فنزويلا ودول أخرى داعمة لها في الإقليم، وإسقاط النظم المناوئة.

- وقف فلسفة التنمية الذاتية المستقلة لدول القارة وفي طليعتها فنزويلا، وفتح الأبواب للشركات والخدمات والاستثمارات الأمريكية.

خلاصة:

الولايات المتحدة تعيد النظر بإستراتيجيتها تجاه أمريكا اللاتينية مستهدفة الدول المنتجة للطاقة والمعادن والمؤثرة جغرافياً وسياسياً، وهذا يقتضي من دول القارة الحريصة على استقلالها تعزيز الوحدة وإنعاش الأطر المجمدة، وتحدي القوى الإمبريالية وحلفائها، وتعزيز علاقاتها بالصين وروسيا بشكل خاص، ومد جسور الدعم والتأييد للقضايا الإقليمية والدولية، وفي مقدمتها قضية فلسطين والتصدي للصهيونية والإمبريالية في أربع أرجاء الأرض.

بعد عامين من العدوان الإسرائيلي على غزة ماذا عن فشل إسرائيل وعزلتها؟!

إبراهيم أبو ليل ـ كاتب سياسي فلسطيني - سورية

تؤكد أدبيات معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي في جامعة تل أبيب، أن الصورة على الساحة السياسية تبدو معاكسة تماماً لما تم تحقيقه من «إنجازات عسكرية» إسرائيلية في مختلف الجبهات. فبعد عملية «طوفان الأقصى» في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، حظيت الحكومة الإسرائيلية بدعم غير مسبوق من الولايات المتحدة والدول الأوروبية، وبإدانة حازمة للعملية من حلفاء الكيان الصهيوني، تأييداً لحرب الإبادة في قطاع غزة. ولكن بعد عامين من العدوان عديم الجدوى، والفشل في تحقيق الأهداف التي أعلنها نتنياهو بالقوة العسكرية، أصبح موقع «إسرائيل» في أدنى مستوياته على الإطلاق، وهي تعيش عزلة دولية تتعمق يوماً بعد يوم، إضافة إلى إدانة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وعدد من أعضاء حكومته من قبل محكمة الجنايات الدولية بوصفهم مجرمي حرب.

منذ بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، في الثامن من أكتوبر 2023، كان واضحاً أن إسرائيل متورطة في جرائم حرب منهجية وجرائم ضد الإنسانية وأعمال إبادة جماعية، ارتكبها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين في القطاع، حيث راح ضحيتها ما يزيد عن ثمانين ألف شهيد ومفقود، وأكثر من مئة وسبعين ألف جريح بحسب تقرير وزارة الصحة في غزة، بعد عامين متواصلين من العدوان الذي أدى إلى دمار تسعين في المئة من المباني والمنشآت التي تمت تسويتها بالأرض، ما جعل قطاع غزة منطقة غير صالحة للعيش، إذ أظهرت نتائج العدوان تجاهلاً تاماً لأي معايير إنسانية. كما أن التصريحات التي أطلقها قادة الاحتلال تمت ترجمتها إلى واقع ملموس، بشكل مطابق لما نصت عليه اتفاقية الأمم المتحدة للإبادة الجماعية للعام 1948. وقد أثارت جرائم الاحتلال ردود فعل وانتقادات شديدة، شعبية ورسمية، في معظم عواصم العالم، حيث شهد الكيان الصهيوني تحولاً لافتاً في مكانته الدولية، وتفاقمت عزلته السياسية التي أخذت تنعكس على المستوى الاقتصادي، وبدأت دول ومؤسسات دولية باتخاذ خطوات عملية تتجاوز حدود الانتقادات الدبلوماسية، لتطال أكثر القطاعات حساسية وتأثيراً في الكيان الصهيوني؛ وهو قطاع الصناعات العسكرية.

وفي تقرير إسرائيلي نشره الموقع الإلكتروني للقناة الثانية عشرة يوم 2024/5/14، أعده الدكتور عاموس يادلين رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية السابق ورئيس ومؤسس معهد MIND ISRAEL للأبحاث الاستشارية في شؤون الأمن القومي، والدكتور أودي أفينتال الخبير في الشؤون الاستراتيجية والتخطيط السياسي، و أشار التقرير إلى أنه «لم يعد بإمكان إسرائيل تجاهل تحولات أساسية متحدية في المستقبل المنظور. وهذه الاتجاهات تنذر بعهد جديد وخطير لم تعهده إسرائيل من قبل، ولم نستوعبه أيضا، ويستوجب إعادة تنظيم وتغييرات أساسية في مفهوم الأمن القومي والقيادة الإسرائيلية وسلم الأولويات القومي». وأضاف أن «التهديدات على إسرائيل ترتفع بشكل خطير، بينما تفوقها العسكري النوعي وقدرات مواردها التقليدية في مواجهة التحديات المتفاقمة تتراجع وتضعف، ويستهدف مناعتها وصلابتها ومكانتها الإقليمية والعالمية وقدرتها على الردع». وأشار التقرير إلى أن الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني يتسع ويتعمق ويتصاعد، فيما الاستراتيجية الإسرائيلية، بقدر ما هي موجودة، تتذبذب بين توجهين: توجه الحسم والضم من جهة أولى، مقابل الفصل الأمني – المدني الذي يشدد على الحفاظ على طابع «إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية»، من جهة ثانية. ولفت إلى أن «تصاعد الصراع ينعكس سلباً على أمن إسرائيل في جميع الحلبات الأخرى، ويجعل من الصعب عليها إنشاء عمق استراتيجي في الشرق الأوسط والحلبة العالمية، ويستهدف مكانتها في العالم بشكل يضر بصورة قوتها واقتصادها وعلومها، وبقدرة تسلحها وحرية عمل الجيش الإسرائيلي». وحذر التقرير من أن إسرائيل تتجه نحو عزلة دولية وإقليمية وتتعرض لعقوبات ومقاطعة وحظر بيعها أسلحة وتهديدات قانونية متفاقمة. وتظهر بوادر هذا التطور بخفض التدريج الائتماني، وتضرر علاقاتها التجارية، وتراجع الاستثمارات وتوقف رحلات شركات الطيران. «وفي هذه الظروف، فإن قيمة إسرائيل، باستثناء مجال التكنولوجيا الأمنية، تتضرر وتضع أمامها مصاعب في دفع تحولات اندماج في الحلبة الإقليمية وتحقيق الفرص في الحلبة الدولية».

وركز التقرير أيضاً على تزايد الأصوات التي تتعالى في الولايات المتحدة وتنظر إلى «إسرائيل» على أنها عبء استراتيجي أكثر من كونها مورد استراتيجي. والقاسم المشترك الأخلاقي بين الدولتين يتقوض تدريجيا على خلفية تحولات داخلية في البلدين كليهما. وفي غضون ذلك، ظهور اتجاهات النفور من «إسرائيل» على نطاق واسع في أوساط الشباب الأميركي، ولا سيما اليهود، يدل على مشكلة استراتيجية في المستقبل، مثلما تجسد ذلك في المظاهرات الاحتجاجية في الجامعات الأميركية المرموقة مثل جامعة هارفارد. وتتضافر هذه الأحداث مع التحديات التي تشتد أكثر في ظل الانقسام الداخلي في الجبهة الداخلية الإسرائيلية، على خلفية أزمة إضعاف القضاء والمؤسسات والفجوات في المساواة والأعباء التي يتحملها الأشخاص، والفجوات الاقتصادية – الاجتماعية وغيرها. فالدمج بين جميع التحديات الداخلية والخارجية يُنشئ واقعاً جديداً وتحدياً لاستقرار الكيان الصهيوني ووضعه الاستراتيجي في الشرق الأوسط والعالم.

بالمقابل حصلت القضية الفلسطينية على اعتراف دولي لم يسبق أن حظيت به من ذي قبل، وعلى إنجازات سياسية يلاحظها العالم أجمع. فالتغييرات التي جرت خلال العامين الماضيَين لا تسير في الاتجاه الذي يطمح إليه نتنياهو، وبدلاً من تحالف إقليمي بقيادة الكيان الصهيوني، شُكّلت جبهة عربية دولية ترى في السياسة الإسرائيلية العدوانية تهديداً لاستقرار المنطقة، وبدلاً من التطبيع المنشود مع السعودية، جاءت الاعترافات الدولية المتتالية بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم على أرضهم، بمبادرة من السعودية وفرنسا، وخيّمت بعض الظلال على الاتفاقيات السلمية مع مصر والأردن والإمارات العربية المتحدة، فيما تحول الكيان الصهيوني إلى «دولة منبوذة»، وبات قادته وضباطه ورموزه أشخاصاً غير مرغوب بهم في غالبية دول العالم. فالحكومة الإسرائيلية فشلت في إيجاد أي وسيلة عسكرية لتحقيق ما كان يصفه نتنياهو وأبواقه بأنه «نصر مطلق»، وكان هذا المفهوم عبارة عن رغبة سياسية أكثر مما هي واقعية. ذلك أن عملية عسكرية قُدمت كإنجاز لمُجرّد أنها دفعت بسكان قطاع غزة جنوباً، أو دمرت عدداً كبيراً من الأبراج السكنية والمنشآت المدنية والمرافق الحيوية، ليست سوى إعلان إفلاسٍ عسكري.

وكلما كان الجيش الإسرائيلي يوغل في ارتكاب الجرائم بحق الأبرياء من الأطفال والنساء، ويمنع دخول الغذاء والدواء للقطاع، مخالفاً بذلك القوانين الدولية والإنسانية، دون أن يحقق أي من أهدافه العسكرية، كان يخسر على الصعيد الإعلامي والدبلوماسي، ذلك أن نتنياهو أعلن بشكل واضح أمام العالم أجمع بأنه مالم يحقق أهدافه بالقوة فسوف يحققها بمزيد من القوة، ومع ذلك أخفق في تحقيق شعاراته، ولم يقدم لجمهوره أي إنجاز سوى أنه تفاخر بجرائم الإبادة، ما أدى إلى هزيمته سياسياً، وانعكس ذلك على الكيان الصهيوني داخلياً وخارجياً. وتؤكد ورقة تتضمن تقدير موقف قدمها معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي في 2025/10/8، أن المسؤولية المباشرة عن الهزيمة السياسية تقع على عاتق الحكومة الإسرائيلية، حيث جاء في ملخص للورقة أعدته الباحثة بنينا شرفيط باروخ تقول «إن المعركة الأهم في هذه اللحظة ليست المعركة العسكرية بل السياسية، ونحن نخسر في هذه المعركة الأخيرة، حتى أن رئيس الحكومة نتنياهو أقرّ بذلك في خطاب إسبارطة الذي ألقاه مؤخراً. وفي هذه المعركة بالذات، تساهم الحكومة الإسرائيلية فعلياً في مساعدة الخصم، أمّا ثمن الهزيمة السياسية فسوف ندفعه جميعاً».

وأخيراً، على الرغم من أن وقف الإبادة في قطاع غزة يفتح باباً للغزيين لكي يواصلوا حلمهم بالحرية والبقاء في أرضهم، إلا أن وقف إطلاق النار الذي اتخذه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، جاء لينقذ إسرائيل من عزلتها الدولية بسبب فشل السياسة الإسرائيلية، حيث إن ترامب أدرك تماماً أن إسرائيل تجاوزت ذروة قوتها في الحرب، وأن نتنياهو غير قادر على اتخاذ قرار بشأن إنهائها، فاتخذ القرار بدلاً منه.

الكيان الصهيوني بعد طوفان الأقصى

حسين موسى ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

تداعيات معركة طوفان الأقصى على مفاصل الكيان الصهيوني المختلفة لازالت في بداياتها خاصة أن المعركة أو التسوية لم تصل بعد إلى نهايتها.

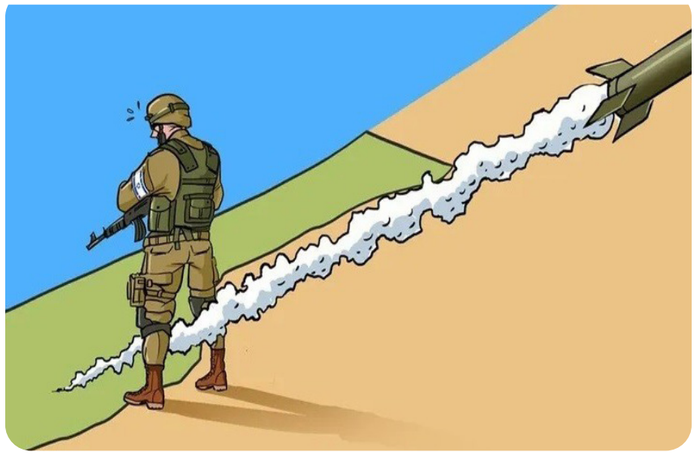

صحيح أن الكيان حقق إنجازات عسكرية إن كان في غزة عبر عملية التدمير الشامل التي لا زالت مستمرة رغم وقف إطلاق النار أو على صعيد الجبهة اللبنانية ، لكن هذا الإنجاز العسكري إذا صح التعبير يبقى بلا قيمة إذا لم يترجم بانتصار سياسي وهذا لم يحصل وكل المؤشرات تشير إلى أن الكيان لن يحقق أي منجز سياسي بفرض رؤيته بالقوة العسكرية فاضطر إلى الموافقة على خطة الرئيس ترامب التي لازالت تناقش بين الأطراف الضامنة مع الرئيس الأمريكي ومع الجانب الفلسطيني ومع الكيان الصهيوني، لكن بغض النظر عن نتائج هذه المفاوضات نستطيع القول إن نظرية الأمن الصهيوني قد انهارت، وأثبتت مقاربة المعركة بين المقاومة والكيان فشل الكيان في تحقيق أهدافه في حربه على غزه، وتعكس تصريحات قادة الاحتلال على وقع الصدمة، وعلى وقع أزمة الثقة التي هزت الجيش وأجهزة الاستخبارات والقيادة السياسية والأحزاب ، وبات النموذج الأمني والإستراتيجي السابق في مهب الريح، وهو ما يعني أن الكيان أصبح بصدد البحث عن بناء نظرية أمن جديدة، ترمم جاذبية الكيان وسمعته المنهارة كملاذ آمن لليهود من أنحاء العالم.

اثناء وبعد معركة طوفان الأقصى ظهرت تباينات داخلية وصراع بين الأحزاب اليمينية الأصوليه الحريديم والأحزاب العلمانية وصولاً إلى أزمة في المؤسسة العسكرية والقضائية وانتهاء بأزمة الائتلاف الحكومي القائم يمكن تلخيصها ، بالآتي:

أولاً: انقسام المجتمع الإسرائيلي بشكل عام إلى قسمين عموديين، اليمين واليمين الديني المتطرف ويساري وفق تصنيفهم، مع ميل كبير لصالح التوجهات اليمينية (حتى في أوساط اليسار)، سيما في المسائل الخاصة بالسياسة الخارجية، والمسألة الفلسطينية.

ثانيًا: بروز تناقضات في المجتمع الإسرائيلي في القضايا الداخلية والمجتمعية والدينية والإثنية. فثمة معسكر العلمانيين، الذي يضم قطاعات يسارية ويمينية وقومية، وثمة قطاع المتدينين، الذي يضم قطاعات من اليمين والقوميين أيضا، ناهيك عن وجود كتله صلبة للمعسكر الديني تتألف من حزبي شاس لليهود الشرقيين ويهوديت هاتوراه لليهود الغربيين وحزب الصهيونية الصاعدة لابن غفير ، وطبيعي أن تلك التناقضات تتمركز حول علاقة الدين بالدولة ومكانة الأحزاب الدينية، ومسألة الخدمة العامة، والموازنات، والأنشطة العامة في أيام السبت.

قانون التجنيد يعمق ويعظم الخلافات في حكومة نتنياهو مما اضطره لتأجيله على ضوء تصاعد الخلافات بين الائتلاف الحاكم والمعارضة ، فقد شدد زعيم المعارضة يائير لابيد على ضرورة تجنيد الشباب الحريديم ، وقال في منشور عبر منصة «إكس»: «إن مشروع قانون التجنيد هو وجه لأفظع حكومة في تاريخ إسرائيل» وتابع قائلا: «هذا عار ومن يستمر في الجلوس في هذه الحكومة فهو مشارك في هذا العار».

فيما هدد الحاخام الأكبر لليهود السفارديم، يتسحاق يوسف، بأن اليهود الأرثوذكس المتشددين سيغادرون إسرائيل بشكل جماعي إذا أنهت الحكومة الإعفاء من التجنيد الإلزامي.

ونقلت صحيفة تايمز أوف إسرائيل عن يوسف قوله خلال محاضرة أسبوعية: «إذا أجبرتهم (الحكومة) على الذهاب إلى الجيش، فسنغادر جميعًا إلى الخارج».و يوسف هو نجل الزعيم الروحي لحزب شاس الراحل عوفاديا يوسف، ويتمتع بنفوذ كبير في الحزب الذي يشكل جزءا من ائتلاف رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو.

ويشكل اليهود المتشددون 13% من سكان إسرائيل، وهي نسبة من المتوقع أن تزيد إلى 19% بحلول 2035 بسبب ارتفاع معدلات المواليد بينهم، ويقول خبراء اقتصاديون إن الإعفاء من التجنيد يبقي بعضهم في المعاهد اللاهوتية بلا داعٍ وخارج القوة العاملة.

إسرائيل مازالت تعاني من الانقسامات الإثنية، هذا عدا عن الانقسام التقليدي المعروف بين جمهور اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين (الأشكناز)، فقد بات ثمة معسكر لليهود الروس، أيضا، من القادمين الجدد (في عقد التسعينيات) وعددهم حوالي مليونين أو يزيد ، وهؤلاء لهم حزب كبير ونشط هو «إسرائيل بيتنا»، بزعامة أفيغدور ليبرمان، اليميني القومي العلماني، كما ثمة العرب، أي الفلسطينيين، وهؤلاء يمثلون خمس سكان الكيان الصهيوني (20 بالمئة)، ولهم كتلة نيابية في الكنيست (للأحزاب العربية) تتألف من 10 نواب، وهم باتوا يشغلون حيزا مهما في السياسة الإسرائيلية، إن بوجودهم داخلها، أو باعتبارهم جزءا من الشعب الفلسطيني.

ثمة استنتاجات كثيرة من وراء ذلك، ربما أهمها، أن إسرائيل بعد سبعة عقود ونيف على قيامها باتت تعيش تناقضاتها الخاصة، وتناقضاتها مع المحيط القريب الشعب الفلسطيني، والمحيط العربي والمتحكمه بكل مفاصلها منذ إقامتها، بمعنى أن هذا الكيان ، الذي طالما تعمدت طبقته السياسية إعلاء شأن الصراع الوجودي مع المحيط أصبح واقعاً حقيقياً وليس فزاعة تستخدم لتوحيد المجتمع وجلب التأييد العالمي الذي لم يعد يقتنع بهذه المعزوفة خاصة بعد المجازر التي ارتكبها الكيان ضد الشعب الفلسطيني وسقوطه الأخلاقي في العالم.

ثالثا: سقوط نظرية الأمن المطلق وعدم قدرة الكيان على إنهاء المقاومة الفلسطينية تهجير الشعب الفلسطيني رغم استخدامه فائض القوة لديه، وتحقيق نصر واضح يضع الكيان برمته بمختلف مؤسساته أمام سؤال ماذا بعد ، سؤال ماذا بعد الذي سيطرح في الأوساط الصهيونية عندما يتم التحقيق بعملية السابع من أكتوبر ومعركة طوفان الأقصى ، سيرافقة بلا أدنى شك آراء وانقسامات في كيفية الحفاظ على الوجود المستقر لهذا الكيان.

قتل مُنظّم:
داخل غرف الظل الإسرائيلية وإمبراطورية مصاصي الدماء

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

في قلب واحدة من أكثر اللحظات سواداً في تاريخ غزة، ظهرت تسريبات غامضة تكشف عن شبكة عسكرية إسرائيلية تُعرف داخل الأوساط الأمنية باسم «إمبراطورية مصّاصي الدماء».

الاسم ليس مجازاً، بل توصيفاً داخلياً يُطلقه بعض الضباط على مجموعة ظلّ تضم خبراء نفسيين وتقنيين وضباطاً ميدانيين، تتولّى إدارة عمليات القتل خارج الأطر الرسمية، وفق معايير لا تمتّ لأي قانون عسكري أو أخلاقي بصلة.

هذه المجموعة لا تخضع مباشرة لقيادة الأركان، بل ترتبط بمستشارين أمنيين ومراكز تحليل بيانات وتكنولوجيا تتبّع، وتعمل على اختيار «الأهداف البشرية ذات التأثير النفسي» — أي أن القتل هنا ليس فقط بهدف التصفية، بل لإحداث صدمة مجتمعية مدروسة.

الشرارة التي كشفت هذه المنظومة كانت جريمة قتل الطفلة هند رجب، التي تحوّلت من ضحية إلى رمز عالمي.

في 29 يناير 2024، كانت هند داخل سيارة العائلة تحاول الهروب من القصف في حي تل الهوا جنوب غرب غزة، برفقة عمّها وعمّتها وأبناء عمومتها، في لحظة خاطفة، أطلقت دبابة إسرائيلية صاروخاً دقيقاً على السيارة، فحوّلتها إلى كتلة لهب.

صوت هند ظل يتردد عبر اللاسلكي في نداء مسجّل لفرق الإسعاف: «أنا عايشة... تعالوا خذوني». بعد اثنا عشر يوما عُثر على السيارة محترقة، وعلى جسد الطفلة ملتصقاً بمقعدها الأخير.

كانت تلك اللحظة التي تحوّلت فيها المأساة إلى ملف تحقيق دولي، ليس فقط لأنها مأساة إنسانية، بل لأنها كشفت عن نمط مكرر من عمليات القتل المنهجي ضد المدنيين.

لكن هند لم تكن الوحيدة في غزة، كل قصة تحمل وجهاً جديداً للفاجعة، وكل

ضحية تروي فصلاً من كتاب الإبادة الذي لا ينتهي.

تهاني توفيق محسن الدريملي، شابة في السادسة والثلاثين من عمرها، كانت في طريقها إلى مستشفى الشفاء لتلد طفلها، كانت ترافقها زوجة خالها، وعائلة أخرى من آل عجور للولادة أيضا ، جميعهم في سيارة يقودها زوجها عصام حسين الدريملي، لم تكن الرحلة سوى محاولة للوصول إلى الحياة، إلى لحظة ولادة وسط الموت.

لكن الاحتلال الإسرائيلي قرر أن تلك اللحظة لا تستحق أن تحدث، في الطريق إلى المستشفى استهدفت دبابة إسرائيلية السيارة بقذيفة مباشرة، ثم تقدّمت نحوها ودهستها بدمٍ بارد، حتى غاصت في الأرض، واختفت ملامح الأجساد ، لم يبقَ شيء يدل على من كان هناك، سوى بقايا لوحة السيارة التي عثر عليها شقيق زوج تهاني بعد الهدنة القصيرة الأولى في نوفمبر 2023.

طوال أسابيع، ظنّ ذووهم أنهم عالقون، غير قادرين على الرجوع، ربما يختبئون، ربما أحياء، لكن الحقيقة كانت أفظع: لقد قُتلوا، وطمست آثارهم، حتى الأجنة الذين كانوا على وشك أن يولدوا، طُمسوا قبل أن يُمنحوا اسماً أو هوية.

التحقيقات الاستقصائية التي تلت الحادثة، ومنها ما كشفه برنامج «ما خفي أعظم»، أظهرت أن عملية قتل هند لم تكن عشوائية، بل خضعت لنظام داخلي يُعرف باسم «التصفية الفورية»، حيث يصدر فريق تحكّم سريّ قراراً لحظياً بالقتل بناءً على تحليل نفسي وتقني.

هذا الفريق بحسب التسريبات، يضم ضباطاً مثل قائد الكتيبة 52 دانيال إيلا التابعة للواء 401 المدرّع وقائده بيني أهارون، الذي يُعتقد أنه أصدر الأمر بإطلاق النار، إلى جانب الجندي إيتاي شوكيركوف، حامل الجنسية الأرجنتينية، الذي ورد اسمه ضمن قائمة المتورطين.

هؤلاء لا يرون في الموت سوى أداة سيطرة ونفوذ، ويُقال عنهم داخل المؤسسة الأمنية إنهم «يتغذّون على الدماء».

ما يزيد من خطورة هذه المنظومة هو أنها لا تخضع لأي رقابة رسمية، بل تعمل ضمن شبكة موازية للقيادة العسكرية، وتُدار من غرف مغلقة في تل أبيب، فكل ضربة تُنفّذ وفق معايير توازن بين «الجدوى الميدانية» و«الأثر النفسي»، ما يجعل القتل لغة تواصل بين القاتل والمجتمع الفلسطيني.

التكنولوجيا هنا ليست أداة رصد فقط، بل وسيلة لتصميم الموت بدقة نفسية محسوبة.

يُقال إن هذه المجموعة تراقب أثر الضربات في شبكات التواصل، وتقيس درجة الرعب في الشارع الفلسطيني، وتبني عليه قراراتها التالية، إنها حرب إدارة الوعي حيث يُستخدم الدم كوسيلة اتصال، وصورة الجثمان كأداة ضغط نفسي.

المؤسسة الأمنية الإسرائيلية لم تصدر أي بيان للتحقيق أو التوضيح، الإعلام العبري اكتفى برواية باهتة عن «خطأ عملياتي»، رغم أن التحقيقات أظهرت وجود الدبابات على بعد 13 إلى 23 مترًا فقط من السيارة، ما ينفي أي احتمال للخطأ. هذا الصمت الرسمي ليس حياداً، بل لغة إبادة، تقول إن الضحية ليست إنساناً بل «خطأ جغرافي» أُزيل من مكانه.

بل إن بعض المحللين في تل أبيب أشاروا إلى أن التداخل بين وحدات النخبة الأمنية والتكنولوجيا الخاصة أدى إلى «انفلات عملياتي» خارج سيطرة الأركان، مما يُضعف من القدرات الرقابية ويثير مخاوف من تحول الجيش إلى «منظومة بلا دولة».

ردود الفعل الدولية لم تتأخر، مؤسسة هند رجب قدمت شكوى أمام المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي، مدعومة بوثائق وتحقيقات مستقلة تزعم تحديد قائد اللواء الإسرائيلي الذي نفّذ الضربة.

المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية وصف الحادثة بأنها «مأساة لا يمكن السكوت عنها»، وطالب إسرائيل بمعلومات إضافية.

أما على المستوى الثقافي، فقد تحوّلت قضية هند إلى فيلم وثائقي، وارتفعت صورتها في بروكسل كرمز للبراءة المغدورة، ضمن احتجاجات دولية واسعة.

في بروكسل، باريس، لندن، وحتى نيويورك، خرجت مظاهرات تحمل صور هند، وتطالب بوقف الجرائم ضد الأطفال في غزة، وتدعو إلى محاسبة المسؤولين عن هذه الجريمة.

في الداخل الإسرائيلي، بدأت بعض الأصوات تتحدث عن أزمة أخلاقية داخل المؤسسة العسكرية، وعن فقدان السيطرة على وحدات النخبة التي باتت تتصرف وفق منطق «القتل النفسي»، لا العسكري. بعض الضباط السابقين وصفوا ما يجري بأنه «انفلات عملياتي»، بينما حذّر آخرون من أن استمرار هذه المنظومة سيحوّل الجيش إلى كيان منفصل عن الدولة، يعمل وفق منطق خاص لا يخضع لأي مساءلة.

في النهاية، لم تكن هند سوى واحدة من آلاف الأطفال الذين سقطوا منذ احتدام القتال. لكن صوتها المسجّل كان استثناءً: صرخة بقيت حية بعد موتها. وكل من سمعها أدرك أن ما يجري في غزة لم يعد حرباً فحسب، بل عملية محو للوجود الإنساني نفسه. «إمبراطورية مصّاصي الدماء» ليست مجرد مصطلح صادم، بل انعكاس دقيق لعقلية تحكمها فكرة أن القتل صار وظيفة، والجريمة تحوّلت إلى نظام. أما المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، فقد صارت شريكاً كاملاً في الجريمة، تمارس القتل باسترخاء ولامبالاة، وربما — كما تقول الشواهد — برضا خفي يتّفق مع بقاء هذه الإمبراطورية على قيد العمل.

ووسط هذا المشهد المروّع، يبقى صوت هند رجب شاهداً على أن الطفولة في غزة ليست مجرد مرحلة عمرية، بل معركة وجود. صوتها المسجّل، الذي ظل يتردد في الأثير بعد موتها، صار وثيقة إنسانية لا يمكن محوها، وصرخة ضد العدم، وضد منظومة ترى في الدم وسيلة للهيمنة، وفي الجريمة أداة للاتصال. هند لم تُقتل فقط، بل تم اختيارها بعناية، لتكون رسالة رعب، وصورة رمزية يراد لها أن تُمحى، كي تُرسّخ فكرة أن لا أحد في غزة بمنأى عن الموت. وكذلك تهاني، التي كانت تحمل حياة في رحمها، فحوّلتها الدبابة إلى قبر جماعي بلا أسماء.

الفاسد.. محاكمات نتنياهو والتداعيات

أكرم عطا الله كاتب صحفي فلسطيني - بريطانيا

لم تشهد إسرائيل على امتداد تاريخها رئيس وزراء فاسداً إلى هذا الحد وللغرابة لقد تجاوز بنيامين نتنياهو كرئيس حكومة الرقم القياسي الذي كان يتمتع به مؤسس إسرائيل دافيد بن غوريون ليصبح اكثر رؤساء إسرائيل في الحكم وأكثرهم فساداً وتلك مفارقة لم تكن تستوي مع دولة يلعب القانون والقضاء فيها دوراً مركزياً وضع كثيراً من المسؤولين في السجن.

كان آخر المسؤولين الذين تم إيداعهم رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت والذي خلفه بنيامين نتنياهو لرئاسة الحكومة حينها بدا أن نتنياهو يعود بسيرة شخصية نظيفة خالية من أية شبهة قبل أن تنفجر الملفات في وجهه تباعاً عام 2016 عندما بدأت الشرطة أول تحقيق معه بتهمة الفساد والعلاقات المشبوهة والمصالح الخاصة وخلط السياسة بشبكة من المنافع بين الصحافة ورجال الأعمال ورئاسة الحكومة .

تتم محاكمة نتنياهو بأربع قضايا والتي تتخذ كل منها رقماً محدداً وهي كاالتالي: القضية رقم 1000 والتي بموجبها تلقى نتنياهو هدايا بمئات آلاف الدولارات من صديقه الثري أرنون ملتشين وفي المقابل ساعد نتنياهو ميلتشين بالحصول على تسهيلات ضريبية لتوصي الشرطة بمحاكمة نتنياهو بخرق الأمانة ، أما القضية الثانية المسماة بالقضية رقم 2000 التي وجهت لنتنياهو خلالها تهمة خيانة الأمانة وخرق الثقة مؤادها أن نتنياهو أجرى مفاوضات مع مالك صحيفة يديعوت أحرونوت نوني موزيس كي تكون الصحيفة ودية في تغطياتها عنه مقابل أن يسعى نتنياهو لسن قانون يحد من انتشار صحيفة إسرائيل هيوم المنافسة التي توزع مجاناً رغم أن صحيفة إسرائيل هيوم معروفة بتغطياتها لصالح نتنياهو وهي التي أسسها صديقه الملياردير اليهودي الأميركي شيلدون أدلسون .

أما القضية رقم 3000 وهي التي اعتبرت الأكثر خطورة على الدولة هي قضية الفساد التي تتعلق بشراء غواصات وسفن حربية من ألمانيا اتهم فيها نتنياهو وآخرون بالاستفادة من صفقاتها التجارية لتحال إلى المحاكم وشملت اتهامات بالرشوة وغسيل الأموال وخرق قوانين الخدمة العامة ، أما القضية رقم 4000 التي يواجه فيها نتنياهو أيضاً تهمة تلقي الرشوة وخيانة الأمانة وهي تتعلق بالتسهيلات الضريبية التي سعى لها نتنياهو لصالح الثري شاؤول ألوفيتش الذي كان صاحب السيطرة بالأسهم على شركة الاتصالات الأرضية بيزك مقابل أن يحصل نتنياهو على تغطية ودية في موقع واللا الإخباري الذي كان يملكه ألوفيتش .

خلال حرب الإبادة على غزة استمرت محاكمات نتنياهو وعادت المسألة تتصدر عناوين الصحف ووسائل الإعلام سواء لجهة المحاكمة ومحاولات نتنياهو بالتملص واصطناع الأحداث أو تزامن لقاءات هامة ليتهرب من جلساتها أو على شكل مسرحيات كأن يدخل له سكرتيره العسكري قصاصة يمررها للقضاة لفض الجلسة أو لجهة التدخل السافر للرئيس الأميركي .

صحيح أن تشكيل المؤسسة في إسرائيل يقلص من دور الفرد لكن هذا بدأ يتضاءل في السنوات الأخيرة لجهة إعادة هندستها بعد الإنزياح نحو التدين واليمين وما يحمله من قيم وثقافة نقيضة لأية قيم ديمقراطية حيث يحيط بنيامين نتنياهو نفسه بكتلة أحزاب دينية منذ سنوات وتلك لا تحتمل القيم العلمانية أو الليبرالية التي تأسست عليها الدولة ليصبح الفرد أكثر قدرة على التأثير في المؤسسة لذا لا يمكن استبعاد ملفات القضاء والفساد وخيانة الأمانة عن مسارات سياسية أو عسكرية وخصوصاً في العامين الأخيرين للإبادة .

لنتنياهو مصلحة كبيرة في إدامة الحرب لأسباب انتخابية هذا ما أشار له كثير من المحللين ، ولنتنياهو أيضاً بسبب ملفات الفساد مصلحة بتعميق هذه الإبادة والبحث عما كان يطلق عليه في بدايات الحرب " بالنصر « ففي الحرب تصبح ملاحقة القضاء لمن يقود هذه الحرب شكلاً من أشكال إجهاضها أو إشغال الدولة في قضايا جانبية صغيرة على حساب الأمن القومي وهكذا يتم تحقير القضاء وهو ما غمز باتجاهه دونالد ترامب في حديثه عن القضاء الإسرائيلي الذي يحاكم صديقه .

هل ستتم محاكمة نتنياهو وإيداعه السجن؟ هذا السؤال الذي تحدد إجابته مسار إسرائيل القادم والمنطقة إلى حد ما فرئيس حزب الليكود الذي يحكم منذ عام 2009 يعتبر من أكثر الشخصيات تأثيراً في الداخل الإسرائيلي حيث تمكن خلال سنوات حكمه من إعادة هندسة المجتمع الإسرائيلي بإتجاه يهودية خالصة وتمكن من إضعاف اليسار الذي أسس الدولة .

هناك سيناريوهان أمام محاكمة الرجل الأكثر فساداً قياساً برؤساء وزراء إسرائيل إما أن تخضع إسرائيل بقضائها ورئيسها للضغوطات الأميركية بإصدار عفو عن نتنياهو وهذا ممكن في ظل سابقة عفو والده الذي كان رئيساً لإسرائيل أثناء قضية الباص 300 وإصداره عفو دون أن يضطر المجرمون لتقديم اعتذار كحل تريده كل الأطراف فنتنياهو يريد الخروج دون الاعتراف بالذنب لأن في ذلك ما يجرح مستقبله السياسي بعد كل رحلة الإنكار والرئيس الأميركي يرمي بكل ثقله والرئيس الإسرائيلي لا يحتمل ضغوطات والقضاء الإسرائيلي يريد أن يتخلص من هذه القضية التي أشغلته لسنوات بعد أن أصبح هدفاً من قبل جزء من الشارع الإسرائيلي اليميني الذي يهاجم المحكمة لارتباطات سياسية بعد أن كان القضاء مقدساً فوق النقد .

أما السيناريو الثاني وهو أن تصمد المحكمة أمام كل تلك الضغوطات وتستمر بمحاكمته حد إدانته ففي كثير من القضايا المتهم بها تمكنت الشرطة من تحويل المشاركين إلى شهود عيان من خلال صفقات مخففة وبالتالي إذا ما تمت محاكمته ستكون إسرائيل والمنطقة قد أسدلت الستار على شخصية هي الأكثر إشكالية على امتداد العقود الماضية منذ أن وصل رئاسة الحكومة منتصف تسعينات القرن الماضي كأصغر رئيس وزراء.

تحولات الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي
الصك – الانتداب – الاحتلال – "مجلس السلام"

د.محمد عياش – كاتب وباحث سياسي - سورية

الصك، لفظة تعني الوثيقة أو الإقرار المالي ونحوه، والصك تشير عادة إلى مثال مطبوع لغرض معيّن يستخدمه صاحب الوديعة أو صاحب الحساب الجاري في المصرف للأمر بصرف المبلغ المحرر به. ولقد شاع استعمال هذه اللفظة سياسياً منذ العشرينيات للدلالة على الوثيقة المتضمنة نص نظام الانتداب على فلسطين فقيل صك الانتداب وهو الذي أقرته عصبة الأمم وصادقت عليه رسمياً في 24 تموز (يوليو) 1922 م.

المارشال « سمطس»:

الانتداب: كما نصّ عليه ميثاق عصبة الأمم، هو تكليف دولة – تدعى الدولة المنتدبة – مساعدة البلدان الضعيفة المتأخرة على النهوض، وتدريبها على الحكم حتى تصبح قادرة على أن تستقل وتحكم نفسها بنفسها.

تعود فكرة الانتداب إلى المارشال «سمطس» الذي مثّل جنوب أفريقيا في لندن. وفي خطاب كان ألقاه في أواخر الحرب العالمية الأولى تعقيباً على إعلان الرئيس الأمريكي وودرو توماس ولسن (-1856 1924) ومبادئه الأربعة عشر التي شجب فيها الاحتلال والاستعمار.

لقد وجدت الدولتان الغربيتان فرنسا وبريطانيا في هذه الفكرة ضالتها المنشودة لتغليف مطامعها بهذا القالب الجديد الذي أتاح لهما احتلال الأقطار العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية بحجة الوصاية على شعوبها، إذ إن الانتداب كان قد بدأ منذ أول عهده بشكل الوصاية أو الحماية الملقاة على الشعوب المتخلفة في مضمار الحضارة.

كان لا بد لهذه الفكرة من أن تتجلى في وثيقة أساسية تاريخية، كالميثاق الذي نشأت عصبة الأمم على أساسه وقد نصّ هذا الميثاق – ميثاق عصبة الأمم – في مبادئه الاثنين والعشرين على أن البلدان التي كانت خاضعة للدول الوسطى وحلفائها، والتي لم تبلغ بعد المستوى الذي يمكنها من ممارسة استقلالها، يجب أن توضع تحت انتداب إحدى الدول الكبرى، على أن تمارس الدولة المعنية هذه الوصاية بوصفها منتدبة من جمعية – عصبة الأمم – وباسمها.

تطبيقاً لهذا المبدأ وزعت الانتدابات المنوي إنشاؤها إلى ثلاثة أنواع (أ ، ب ، ج) فالانتداب (أ) وهو النوع الأسمى تناول الأقطار العربية المنسلخة عن الحكم العثماني، والانتدابان الآخران (ب،ج) تعلقا بمستعمرات ألمانيا السابقة في أفريقيا والشرق الأقصى.

هذا وقد جاء الانتداب بشكل تصريح في لندن عن الدول المتحالفة في 24 تموز (يوليو) 1922 فتضمن هذا التصريح المبادئ الأساسية التي تقوم عليها ممارسة فرنسا للانتداب – على لبنان – أسوة بالتصريح الذي صدر في الوقت ذاته لمصلحة بريطانيا بما يتعلق بانتدابها على فلسطين.

ولقد نصّت مواثيق عصبة الأمم على أن الانتداب ينتهي إما بحصول الإقليم المنتدب عليه على استقلاله، وإما بتنازل الدولة المنتدبة عن مهمة الانتداب، وإما بإقالة الدولة المنتدبة وإعفائها من مهمتها من قبل مجلس العصبة.

اتفق الشُرَّاح غير المتحيزين على أن نظام الانتداب إنما كان ستاراً لرغبة الحلفاء في السيطرة على تلك الأقاليم، وأن رقابة عصبة الأمم على تنفيذ الدول المنتدبة لالتزامها كانت رقابة اسمية.

كان مقر العصبة مدينة جنيف في سويسرا، وكان أول مستر(سكرتير) عام لها هو سير أريك دراموند البريطاني الذي استقال سنة 1933 وخلفه جوزيف أفيتول الفرنسي.

عندما دخلت بريطانيا فلسطين مع جيوش الحلفاء سنة 1917م وأتمّت احتلال فلسطين كاملة سنة 1918 كانت نسبة اليهود في فلسطين إلى السكان العرب 8 في المئة وكانوا يملكون ما نسبته 2.5 في المئة من مساحة أرض فلسطين فلقد كان عدد اليهود في فلسطين 56 ألفاً من مجموع 700.000 نسمة منهم 644.000 نسمة من العرب (547.000مسلم و 70.000 مسيحي) و 56.000 يهودي.

(الوطن القومي اليهودي) عبارة دخلت لغة السياسة البريطانية الاستعمارية منذ صدور تصريح بلفور في 2 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1917 الذي وجّهه وزير الخارجية البريطاني اللورد جيمس آرثر بلفور (-1848 1930) إلى اللورد روتشيلد على صورة رسالة أعربت فيها الحكومة البريطانية عن عطفها على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأكدت استعدادها لبذل قصارى جهودها من أجل تحقيق هذه الغاية، وخلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (1918 – 1948)..

تصريح بلفور:

ترأس اللورد روتشيلد اللجنة الصهيونية في لندن التي ألغيت بعد صدور تصريح بلفور لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وكان ذلك عاملاً هاماً في تشريد سكانها العرب ومصادرة أملاكهم.

وكانت سياسة (الوطن القومي اليهودي) تعني المضي بغاية الجد في ترسيخ الوجود اليهودي الصهيوني في فلسطين الإسلامية العربية لكي يتسنى للاستعمار والاستيطان اليهودي توطيد دعائمه والاستيلاء على المواقع التي تتيح له تهويد فلسطين بكاملها والتخلص من الأكثرية بشتى الوسائل والدسائس مما أدى إلى اغتصاب فلسطين وطرد أهلها منها، وقيام ما يسمى دولة إسرائيل الغادرة.

»إسرائيل» وتواجدها غير الشرعي تطلّب منها الكثير من الحروب لكي تستمر، وهي إلى هذه اللحظة تعمل بمقتضى الوصية التي تركها أول رئيس وزراء صهيوني بن غوريون عندما قال: «يجب على إسرائيل أن تشن حرباً على جيرانها بين الفينة والأخرى للوقوف على نوعية تسليحهم ولإضعافهم وإدخال الرعب في نفوسهم قبل أن يفكروا بمهاجمتها أو بمجرد التفكير بالوحدة لمقارعتها مجتمعين«

يستكمل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المشروع الصهيوني بالكثير من الإجراءات التعسفية التي تعطي الكيان الصهيوني امتيازات ما كان يحلم بها لولا هذا الرئيس المعتوه الذي أقدم على إطلاق ما يسمّى (صفقة القرن) مانحاً إسرائيل 75 في المئة من الأرض وما تبقى كانتونات مغلقة شبيهة بنظام الأبارتهايد في جنوب إفريقيا ومن ثم الاحتلال بالكامل وإنهاء باب التفاوض وحلم الفلسطينيين بدولة وعاصمتها القدس الشريف.

القرار 2803 الذي اعتمد مساء الإثنين 2025/11/17، وتبنى خطة ترامب للسلام في غزة، من أخطر وأعقد وأخبث القرارات التي اعتمدها مجلس الأمن في تاريخه. يذكرنا بالقرار 687 (1991) الذي اعتمد بعد حرب تحرير الكويت وفرض عقوبات على العراق شملت نزع أسلحة الدمار الشامل غير الموجودة أصلاً، وسُمي يومها "أم القرارات".

وجد ما يسمى رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو بالقرار طوق نجاة وهدية ثمينة قدمها الرئيس الأمريكي ترامب، وذلك مع الزخم العالمي وتعاطفه مع القضية الفلسطينية، وفرض العزلة شبه الكاملة على الكيان، وتحريك المحاكم الدولية والمطالبة بالمحاسبة، إذ إن القرار تجاهل حرب الإبادة، وتقرير المصير، وما عجزت إسرائيل عن تحقيقه بالحرب، يمكنها من خلاله وللأسف بإجماع المصوتين عدا روسيا والصين وتحفظهما على الغموض والخبث، تحقيق الأهداف المعلنة مع بداية الحرب في السابع من أكتوبر تشرين الأول 2023 .

الحكومة الصهيونية الفاشية تنفست الصُعداء حيال الإقرار بالقرار الظالم، وبدلاً من الحديث عن آلام الشعب العربي الفلسطيني المكلوم وما ألم به في القطاع من اعتداءات قطعان المستوطنين في الضفة الغربية، واستباحة شبه يومية للمقدسات الإسلامية واقتحامات، تتهكم الحكومة الفاشية على السلطة الفلسطينية وتتهمها بعدم الأهلية وتطالبها بالإصلاح شريطة أن تتسلم مهامها في القطاع، ويزيد من السخرية نتنياهو بقوله: السلطة الفلسطينية حين تصبح كدولة السويد، يمكن الحديث معها والوثوق بها، في دلالة من وجهة النظر الصهيونية باستحالة إصلاح السلطة .

القرار الظالم أزاح الضغط عن الكيان الصهيوني، وربما يعيد أغلبية المتضامنين إلى بيوتهم، ولم يعد أحد يتذكر المحكمة الجنائية الدولية، أو محكمة العدل الدولية أو جرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها في قطاع غزة. بدأت «إسرائيل» تفك من عزلتها من جهة، ومن جهة أخرى توسع عدوانها على لبنان وسوريا واليمن وقريبا ستستأنف الحرب على إيران. أما ما يجري في الضفة الغربية وإطلاق أيادي المستوطنين، فسيتفاقم بعد أن تفرغ الجيش والأمن والطبقة السياسية لتعزيز ضم ما تبقى من الضفة الغربية. وهل إشارة القرار إلى مشروع ترامب للسلام عام 2020، أو ما سمي بصفقة القرن عبثا؟

هذه التحولات في القضية الفلسطينية من الصك إلى «مجلس السلام» بقيادة ترمب، يرافقها أو يسير معها التصميم الفلسطيني على نيل حريته والتخلص نهائياً من ربقة الاحتلال البغيض، إذ إن هناك قاعدة ذهبية داخل الفهم العميق لميكانيكا الكم القرآنية العجيبة، قانون خارق يربض مبيتاً داخل المنظومات أساسه: أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا . الحق الفلسطيني ساطع سطوع الشمس في كبد السماء وإدراك ما يجري من تحولات داخل الولايات المتحدة وإجماع الرأي العام وخصوصاً الشباب ووقوفه إلى جانب الشعب الفلسطيني ضد الممارسات الوحشية الصهيونية، وانتصار زهران ممداني كعمدة لمدينة نيويورك مؤشر كبير لهذه التحولات وانعكاس لضعف الرواية الصهيونية التي سيطرت لعقود في عقول الأمريكيين ودفعهم لدفع الضرائب بشكل أعمى وغير مفهوم.. أما اليوم فالعالم تقريباً إلى جانب القضية الفلسطينية العادلة.

بلا ختم مغادرة بلا وجهة واضحة: هل تُستَخدم شركات وهمية لـ«تطهير» غزة؟

تناقضات تحيط الشركة الموجودة في صُلب القضية تزيد من الغموض حول طائرة وصلت إلى جنوب أفريقيا محملة بأكثر من 150 فلسطينيًا

يوليا تالمازان، وكارولين رادنوفسكي، وسارة مهديلي، وماتيو موسكيلا
NBC NEWS إن بي سي نيوز - 19 نوفمبر/تشرين الثاني 2025

ازدادت الضبابية المحيطة بطائرة وصلت إلى جنوب أفريقيا وعلى متنها أكثر من 150 فلسطينيًا، بعدما ردّت الشركة التي وُضعت في صلب هذه القضية على ما نُشر عنها في وسائل الإعلام.

فالتناقضات المتعلقة بالشركة المسماة «المجد أوروبا» – والتي قال بعض ركّاب الرحلة إنها الجهة التي نظّمت سفرهم – لم تُسهم إلا في زيادة الغموض حول كيفية خروج المسافرين من الشرق الأوسط، والجهة الحقيقية التي وقفت خلف هذه الرحلة.

ترجمة: نور نوارة

وفي بيان مطول مساء الثلاثاء، لم تعترف «المجد» مباشرة بتنظيم الرحلة، التي وصفتها جنوب أفريقيا بأنها «عملية مُدَبَّرة بوضوح»، بعد هبوطها في جوهانسبرغ الأسبوع الماضي، الأمر الذي فاجأ السلطات.

وقالت «المجد» إن «تفاعلها الوحيد مع السلطات الإسرائيلية هو لغرض تنسيق عمليات الخروج من غزة».

وقال وزير خارجية جنوب أفريقيا، رونالد لامولا، للصحفيين يوم الاثنين، إن الرحلة كانت جزءًا من «أجندة واضحة لتطهير الفلسطينيين من غزة والضفة الغربية».

ولم يقل من يقف وراء هذا المسعى المزعوم، لكن تعليقاته تم النظر إليها على نطاق واسع على أنها موجهة إلى إسرائيل، وذلك في وقت تثير فيه الهدنة الهشة في غزة تساؤلات حول مصير مليوني فلسطيني يعيشون في القطاع المدمر.

كانت جنوب أفريقيا – وهي من أبرز المنتقدين لإسرائيل ومن الداعمين للقضية الفلسطينية – قد قدّمت عام 2023 دعوى أمام محكمة العدل الدولية تتهم فيها إسرائيل بارتكاب إبادة جماعية في غزة، وهو ما تنفيه إسرائيل بشدة، وما تزال القضية قيد النظر.

وقال لامولا: «نشعر بالريبة كحكومة جنوب أفريقيا حيال الظروف التي أحاطت بوصول الطائرة والركّاب الذين كانوا على متنها»، موضحًا أن بلاده تحقق في الأمر ولا ترغب في وصول مزيد من الرحلات المماثلة.

وبحسب «كوغات» – الجهة التابعة للجيش الإسرائيلي والمسؤولة عن التنسيق مع الفلسطينيين – فإن الفلسطينيين غادروا غزة بعد تلقي موافقة من «دولة ثالثة» لاستقبالهم، دون الكشف عن هويتها.

وقال متحدث باسم الحكومة الإسرائيلية إن رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو «أوضح» أنه يجب السماح لسكان غزة بمغادرة القطاع والعودة كما يشاؤون.

وجاء في خطة السلام التي طرحها الرئيس ترامب أنه لن يُجبر أحد على مغادرة غزة، وأن من يرغب بالمغادرة سيكون حرًا في ذلك، ويملك كامل الحق في العودة.

لكنّ الخشية من عمليات تطهير عرقي بقيت هاجسًا لدى الفلسطينيين ومناصريهم، لا سيما بعدما أمرت الحكومة الإسرائيلية جيشها في فبراير بإعداد خطة لمغادرة الفلسطينيين «طوعًا» للقطاع، عقب تبنيها مقترحًا من ترامب يدعو إلى إخلاء غزة ووضعها تحت إدارة الولايات المتحدة.

الاستبعاد القسري من غزة

وصلت الطائرة المستأجرة إلى مطار «أور تامبو» الدولي في جوهانسبرغ يوم الخميس، في ما بدا أنه مفاجأة لحكومة جنوب أفريقيا.

وقال رئيس جنوب أفريقيا، سيريل رامافوسا، للصحفيين يوم الجمعة، إن الفلسطينيين قادمون من غزة وتم وضعهم على متن طائرة «بشكل غامض». وأضاف أنهم لم يكونوا يحملون الوثائق اللازمة للدخول، لكن لن يتم إرجاعهم لأنهم قادمون «من بلد تمزقه الصراعات والحرب».

وقال إن جنوب أفريقيا ستستقبلهم «بدافع التعاطف»، لكنه أضاف «يبدو بالفعل أنهم كانوا، كما تعلمون، يُستبعدون قسرًا».

وقالت هيئة إدارة الحدود في جنوب أفريقيا إن الركاب على متن الطائرة لم يحددوا مدة الإقامة أو مكان السكن في جنوب أفريقيا، ولم تكن جوازات سفرهم تحمل ختم خروج.

وتم في البداية رفض دخولهم، لكن تم منذ ذلك الحين معالجة أوراق 130 راكبًا وتسليمهم إلى رعاية منظمة غير حكومية في جنوب أفريقيا تسمى «هبة المنقذين»، والتي تساعد في جهود الإغاثة في مناطق الحرب والكوارث.

أما الـ23 الآخرون فواصلوا رحلتهم إلى وجهات مختلفة. وقالت الهيئة إن الفلسطينيين يملكون حق الإعفاء من التأشيرة لمدة 90 يومًا عند دخول جنوب أفريقيا.

وقد تواصلت شبكة «إن بي سي نيوز» مع حكومة جنوب أفريقيا للحصول على تعليق إضافي. ولم يتضح على الفور كيف تمكن الفلسطينيون على متن الطائرة من مغادرة إسرائيل دون مستندات سليمة.

تساؤلات حول من يقف وراء الرحلة

تحدثت وكالة «رويترز» مع فلسطينيين قالا إنهما دفعا 2000 دولار مقابل كل مقعد لنقل عائلتيهما إلى جنوب أفريقيا على متن الطائرة، كجزء من رحلة نظمتها منظمة تسمى «المجد أوروبا». وقالا إنهما نقلا بالحافلة من غزة، ومرا عبر معبر «كرم شالوم» الذي تسيطر عليه إسرائيل قبل أن يُقلع بهما من مطار إسرائيلي الأسبوع الماضي.

وقد تواصلت «إن بي سي نيوز» في البداية مع «المجد أوروبا» عبر بريد إلكتروني مدرج على موقعها الإلكتروني ولكنها لم تتلق ردًا. ولم يُدرَس موقعها إلا على أنه «حي الشيخ جراح، القدس»، مع خريطة مُضمَّنة يشير مؤشرها إلى مبنى خلف مستشفى وبجوار القنصلية البريطانية.

وكشف تحليل «إن بي سي نيوز» لوجودها على الإنترنت عن عدد من التناقضات:

تقول «المجد» إنها «منظمة إنسانية، تأسست عام 2010 في ألمانيا»، لكن «إن بي سي نيوز» لم تجد أي دليل على وجود موقعها الإلكتروني قبل فبراير/شباط من هذا العام. كما أن حساباتها على «فيسبوك» و«إكس» أنشئت هذا العام. ولم تتمكن «إن بي سي نيوز» أيضًا من العثور على المنظمة في سجل الإدارة الضريبية الألمانية.

وتوصلت «إن بي سي نيوز» إلى أن الصورة المصاحبة لصفحة «من نحن» التي تظهر مبنى عليه لافتة «المجد» وقبة الصخرة في القدس في الخلفية، هي صورة تم إنشاؤها بالذكاء الاصطناعي. ويحتوي الموقع على منشورات مدونة متعددة تحتوي على ملخصات على غرار دراسات الحالة عن عملها المزعوم كجمعية خيرية خلال الحرب في سوريا والزلزال في تركيا. وبينما تم إنشاء الموقع هذا العام، فإن تاريخ منشورات المدونة يعود إلى عام 2023.

وتظهر إحدى دراسات الحالة المدرجة صورة لامرأة تسميها «منى فاروق»، وتقول إنها غادرت سوريا إلى لبنان المجاور في 2013، ثم احتاجت إلى مساعدة «المجد» في 2014 للفرار من القتال مرة أخرى. وقاد البحث العكسي عن الصورة «إن بي سي نيوز» إلى مقال لموقع «ميدل إيست آي» العام الماضي يحوي نفس الصورة، والتي تنسب الوسيلة الإخبارية الصورة إلى مصورها الخاص.

ويسمي المقال المرأة في الصورة باسم «عبير خياط»، ويقول إنها غادرت سوريا في 2012.

ويحتوي الموقع على صفحة شروط وأحكام تنص على أن «الكيان المنظم» لـ«برنامج الهجرة الطوعية» لمغادرة قطاع غزة هو شركة «تالانت غلوبوس».

ووجدت «إن بي سي نيوز» أنها شركة مسجلة في إستونيا في عام 2024 باسم شخص يدعى تومر جانار ليند. وقد تواصلت «إن بي سي نيوز» مع حساب يحمل نفس الاسم على «لينكد إن». ويظهر سجل الأعمال في المملكة المتحدة أن ليند مدير في شركتين منحلتين وشركة واحدة نشطة لها حسابات متأخرة. ولا يبدو أن أيًا منها مرتبط بـ«تالانت غلوبوس».

يسرد موقع «تالانت غلوبوس» أربعة موظفين، ثلاثة منهم تظهر صورهم بصور مخزنة متاحة على الإنترنت. ويقول قسم «من نحن» في الشركة إنها موجودة منذ عقد من الزمان، بينما تشير سجلات الشركة إلى أنها تأسست في 2024. ورقم الهاتف المدرج لا يعمل عند الاتصال.

وأصدرت الشركة بيانًا على «إكس» من أجل «معالجة الاتهامات الكاذبة والمعلومات المضللة التي تُنشر من قبل أطراف ذات مصالح سياسية واضحة»، وقالت إنها تهدف «إلى حرمان شعب غزة من حريتهم في الاختيار».

وقالت إنه لا يوجد لها أي صلة بجهاز «الموساد» الإسرائيلي أو أي أجهزة استخبارات أخرى، وزعمت أنها «تأسست على يد لاجئين فروا من أنظمة ديكتاتورية، بما في ذلك لاجئين من حكم حماس في غزة».

لم يذكر البيان مباشرة الفلسطينيين الذين وصلوا إلى جنوب أفريقيا الأسبوع الماضي أو التناقضات على موقعها الإلكتروني. وقد تواصلت «إن بي سي نيوز» مع «المجد» للحصول على مزيد من التوضيح.

أخبرت السفارة الفلسطينية في جنوب أفريقيا «إن بي سي نيوز» بأنها تراقب الوضع عن كثب وتتواصل مع سلطات جنوب أفريقيا لضمان حماية ورفاهية جميع المواطنين الفلسطينيين المعنيين، ولكن «نظرًا لحساسية الأمر»، لم تتمكن السفارة من تقديم مزيد من التفاصيل في هذا الوقت.

وأعربت وزارة الخارجية الفلسطينية عن «شكرها العميق للمواقف المبدئية لقيادة وحكومة وشعب جنوب أفريقيا الداعمين للشعب الفلسطيني وقضيته» في بيان أرسل إلى «إن بي سي نيوز» يوم الجمعة. وحذرت من أن أي شركات «تغوي» الفلسطينيين و«تحرضهم على التهجير» ستحمل العواقب القانونية، في حين حذرت الفلسطينيين من الوقوع فريسة «الاتجار بالبشر».

خرج الشباب في سبتمبر بعد حظر الحكومة 26 تطبيقًا للتواصل الاجتماعي في محاولة لإسكات مقاطع تكشف بذخ أبناء ا

طفولةُ فرحٍ فلسطيني.. ترعب أوداج المكر الاسرائيلي

ديمة داوودي ـ كاتبة وصحفية سورية

ما بين العودة مع إيقاف الحرب في غزة إلى حلم العودة الكبرى المنتظر، أفراح تقض مضجع الإسرائيليين وتفتك بحلمهم المزعوم بأرض كبرى من نهر مصر إلى نهر الفرات..

فمشهد لطفل فلسطيني لم يبلغ العاشرة من عمره يغني بفرح الصمود والتحدي: « خلصت الحرب وإحنا عايشين..خلصت الحرب وإحنا عايشين» يكفي لزعزعة العدو بكل تمدده ليغص بكل قضمة حاول قضمها من فلسطين، هذا الفرح الطفولي الممتزج بحليب التصدي والتحدي يخيف الشعب الإسرائيلي وقياداته حيث لم تتمكن 735 يوماً من حرب الإبادة الوحشية من كسر بأس وصمود الفلسطينيين وها هم الأطفال يرقصون ويدبكون فوق الدمار والركام بعد أن برز مشهد إيقاف النار والحرب في الجمعة 10 أكتوبر /تشرين الأول ليكون الحدث الذي غير الرؤية السياسية والإنسانية في القطاع لتتكون شرارة من نور بعد عامين من القهر والمعاناة حين انسحبت القوات الإسرائيلية من مناطق واسعة في غزة نحو ما يسمى بالخط الأصفر ليعود مئات الآلاف من النازحين كالحجيج إلى شمال القطاع وسط دموع من ابتهاج وفرح أعاد للمدنيين جذوة الأمل رغم الحصار والقتل والتشريد الذين أكلوا كل شيء حتى الحجر إلا الشآمة لتي أنجبت أشبالاً فلسطينيين يقفون في وجه آلة الحرب، الأمر الذي يخيف الإسرائيليين فالحرب هنا باتت نفسية تنقلب على مشعل فتيلها الأول الذي انتهك طهارة الأرض حيث اعتبر الاسرائيليون هذا الفرح موجات شعبية مهددة للأمن القومي الإسرائيلي وهم كمشعل نار يخشى اقتراب فراشة من نور بالإضافة لمشاهد عودة أصحاب الأرض الفلسطينية التي تعني إعادة تشكيل البنية الاجتماعية والسياسية في غزة، وهو ما يُقلق إسرائيل من اشتعال فتيل المقاومة مجدداً، خاصة في المناطق التي انسحب منها الجيش. مما يُضعف أي محاولات لتصفية القضية أو فرض حلول أحادية. ما فرض على العدو أن يقف أمام مرآة تعري خزيه وتكلله بالعار فهو القاتل الوحشي الذي ضحى حتى بأبنائه ورمى بهم في النار بيد أنه ركز على قتل الأطفال واستهدفهم عبر مجازر ومحارق وبعضهم لم يعرف طعم لبن أمه بعد ما جعل إسرائيل في مواجهة مع الرأي العام أمام حقائق أفعال دولتهم التي ندد أبناء شعبهم في مظاهرات شعبية متكررة السياسة الإسرائيلية التي تسببت بموت الكثير منهم دون تحقيق تقدم يذكر، إلا أن السياسة ذاتها بالرغم من وقف إطلاق النار تسعى للإستمرار بغية تحقيق حلم نتنياهو بالتمدد والتوسع والتفشي لأنه مازال يردد: إسرائيل ستواصل السعي لتحقيق أهدافها من هذه الحرب « محاولاً تغطية حال الرعب الذي قض الجانب الإسرائيلي حين حوربت الوحشية بالفرح، فالفرح سلاح طفولة تدرك مستقبلها المنتصر ما جعل عدة محللين سياسيين إسرائيليين يؤكدون فكرة : «حين ترى أطفال غزة يبتسمون، رغم كل ما مروا به تدرك أن المعركة لم تحسم بعد!»

أما رئيس الأركان الإسرائيلي إيال زامير فلم يخف توتره وقلقه بل ظهر مصرحاً: «أطلب منكم بينما يشاهد جميع الإسرائيليين الشاشات ويحتفلون بالإفراج عن الرهائن، أن تظلوا يقظين، العدو ما زال هنا، وعملنا لم يكتمل بعد.. ولن نهدأ حتى يعود آخر رهائننا ويدفن قتلى المعركة ونضمن أمن دولة إسرائيل.. هذه أيام تاريخية ويجب علينا إدارة مرحلة الانتقال إلى وقف إطلاق النار بطريقة مدروسة تماماً.»

لم تتمكن هذه الكلمات والتصريحات من تهدئة الخوف الإسرائيلي الذي امتزج بفرح عودة الرهائن والسجناء إلى عائلاتهم بل وقف الإسرائيلي عاجزاً أمام صلابة جيل الصمود الأمر الذي يؤكد أن الفرح الفلسطيني مهما بدى صغيراً سيحول ناراً تصد العدو وتدحضه والعدو مدرك لذلك تماماً وها هو يرزح تحت ضغوط من التوتر الداخلي خاصة بعد تدخل المحكمة الجنائية وكشفها لملفات إجرام نتانياهو ما يضيف تعقيداً سياسياً واضحاً حول موقفه بعد وقف إطلاق النار وإنهاء الحرب بعد تسببت قرارته في استنزاف مؤسسات أمنية كاملة لتقف بكامل دعمها مؤيدة لإنهاء الحرب، فاكبروا جميعاً بسرعة يا أطفال الفرح الفلسطيني وليمسك كل منكم بشمعة فرح حيث يتحد النور ونعمي غول الحرب النتن.

حوار الهدف الثقافي

مع المبدع الفلسطيني

حسين عبد الله المناصرة

حـوار:
باسمة حامد – صحفية وكاتبة سورية

حسين عبد الله المناصرة أكاديمي فلسطيني مجتهد.. تخصص بالنقد الأدبي الحديث والنقد النسوي والسرديات، ويعمل محاضراً ومستشاراً لغوياً في الجامعات السعودية.. له مشاركات بحثية مميزة في عدد من المؤتمرات والندوات والمتلقيات الثقافية.. حائز على جائزة أعلى نسبة عرض للمؤلف،Google - وحدة المعرفة ((knol العام 2009، وجائزة أبها للثقافة في مجال النصوص المسرحية عام 1417 هـ.

قدّم مئات المقالات السياسية والفكرية والاجتماعية، ورفد المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات الأدبية الهامة..

في هذا الحوار وفي هذه المساحة من السؤال والجواب نتعرف على مزيد من الجوانب الفكرية لدى المبدع الفلسطيني حسين المناصرة.

عن النشأة في فلسطين

■ **كيف ينظر حسين المناصرة إلى تجربته الإنسانية والإبداعية بعد سنوات طويلة من الغربة والعمل الوظيفي والبحث والتأليف في النقد والرواية والقصة والمسرح والمقالة الفكرية؟**

بعد ثلاثين سنة تقريبًا، أنجزت فيها ما يقارب أربعين كتابًا، منشورًا أو معدًا للنشر، عدا عن كثير من المداخلات والآراء المبثوثة في الأوعية الورقية والرقمية... أعتقد أنني عشت فيها تجربتي الإنسانية والإبداعية بالكامل، باستثناء بعض المشاريع الكتابية التي لم تكتمل، أو ما زالت تحوم في الذاكرة والوجدان، خاصة ما يتعلق منها بتجربتي السّيرية؛ وهذا الرأي ينبع من نسبية المنجز نقدًا وإبداعًا؛ لأن حقيقة الأمر أن ما ينجزه الكاتب؛ أي كاتب، يبقى جزءًا يسيرًا جدًا من تجربته المكتنزة عمومًا بكثير مما يحتاج إلى أن يُكتَب أو يُنشر.

سنوات طويلة مرت (ستون عامًا) عايشت فيها تجربة النشأة في فلسطين في المواجهة اليومية مع مجرمي الكيان الصهيوني، وقد احتفت قصصي ورواياتي ومقالاتي بهذا الجانب؛ ثم تجربة الدراسة الجامعية في الأردن والعمل الثقافي والسياسي، وما نتج عن ذلك من تجارب السجن سياسيًا في الأردن وفلسطين المحتلة؛ ثم العمل الأكاديمي والكتابة النقدية والإبداعية، وهنا يعني أنّني قضيت أكثر من نصف عمري، في جامعة الملك سعود بالرياض، في مشهد ثقافي في السعودية غني بالثقافة والمثقفين والمثقفات.

أعتز كثيرًا بكوني تعدديًا في تجاربي الكتابية؛ فقد تركت المجال مفتوحً للتجربة الكتابية لدي؛ كي تخرج في شكل ما يناسبها من الأجناس الأدبية المختلفة.. فكتبت القصة القصيرة، والقصة القصيرة جدًا، والرواية، والمسرحية، والمقالة الأدبية، والبحث العلمي، والقراءة النقدية... وفي كل ما كتبت، وخاصة إبداعيًا، التزمت بأطر ثقافية عربية إنسانية، تحارب الاحتلال الصهيوني أولاً، والظلم الاجتماعي ثانيًا، والدكتاتورية ثالثًا، والأوبئة المختلفة كالجهل والفقر والمرض.. إلخ.

في بداياتي الكتابية، تأثرت كثيرًا بالثقافة الإنسانية اليسارية، وفي الوقت نفسه احتفظت بقيمي الاجتماعية المتأصلة في الثقافتين العربية والإسلامية. وعُرفت أكاديميًا وباحثًا وناقدًا أكثر من كوني مبدعًا، وكثيرون غيري تهمّش إبداعهم بسبب أنهم أكاديميون أو نقاد.. النقد والتعليم والبحث حرفة أو مهنة، يمكن أن يمارسها كل الناس... لكن الإبداع مختلف إلى حد كبير؛ فإذا كان الناقد يمسك بزمام تجربته النقدية أو البحثية، فإن الإبداع يمسك بزمام المبدع، ويتحكم بتجربته الإبداعية على طريقة» القصيدة تكتب الشاعر» وليس العكس!!

عندما أنظر إلى حسين المناصرة، في ماضيه كله نظرة حيادية، أشعر أنه أنجز تجربتيه النقدية والإبداعية، وهو إنجاز مشروع على أية حال، بغض النظر عن مدى قبوله أو رفضه لدى الآخر، ورأيي أن أية كتابة لا تخلو من جمال ما...

ومع ذلك هناك أشياء كثيرة ينبغي لها أن تكتب... متى، وكيف؟!

كل إنسان سيموت وفي نفسه شيء من «حتى»!!

والأمل نافذة مفتوحة على المستقبل المشرق إلى آخر يوم في الحياة، بإذن الله.

فلسطين في الإبداع الفلسطيني

■ عُد المكان عنصراً بارزاً في تقنيات السرد لتشكيل فضاء الرواية.. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف تعامل الروائي الفلسطيني مع مكان لم يُسمح له بالعيش فيه ولا يدرك خصوصيته وتفاصيل رائحته وربما.. لا يحمل صورته في الذاكرة؟

المعضلة الجوهرية في الكتابة الروائية الفلسطينية، وفي الإبداع الفلسطيني عمومًا، هي المكان: فلسطين الماضي المحلومة وأرض ميعادنا في المستقبل أولًا، والمنفى والشتات وما فيه من الغربة والضياع والبؤس، وخاصة في المخيم ثانيًا!!

الروائي الفلسطيني، في أكثر من ألفي رواية فلسطينية، كتب الملحمة الفلسطينية بالكامل، من مبدئها إلى مستقبلها، وفي كل اتجاهاته كانت فلسطين هي البؤرة أو مركز الدائرة.. وحينها لا يمكن أن تبتعد فلسطين عن أية رواية، سواء أكانت حاضرة فيها أم غائبة عنها، محبوبة أم مكروهة، واقعية أم حلمية وذاكرة .

إذا عددنا اللغة والشخصية والمكان والزمان عناصر للكتابة الإبداعية أو أبعادها الرئيسة، فإن المكان يكاد أن يطغى على العناصر الثلاثة الأخرى؛ لأنه الفردوس المفقود بالنسبة إلى الفلسطيني؛ لهذا كان عنوان كتابي «فردوس الأرض المغتصبة: دراسات في الرواية الفلسطينية» دالاً على ما يحظى به المكان الفلسطيني من أهمية وثقافة جوهرية في الأدب الفلسطيني!! الرواية الفلسطينية ذاكرة حقيقية تتماثل مع التاريخ في الاحتفاظ بفلسطين، كما كانت وطنًا فلسطينيًا حقيقيًا، وكيف أصبحت مغتصبة مستلبة بأيدي الرعاع الصهاينة، ومدى الإيمان المطلق بأنها ستعود فلسطينية، بعد أن تتقيأ مستعمريها على مزبلة التاريخ، كما سبق أن تقيأت عبر آلاف السنين أكثر من عشرين استعمارًا ؛ لتبقى هي فلسطين اليبوسية الكنعانية العربية!!

كتب غسان كنفاني رواياته في سياق الحديث عن أسباب الهزيمة، وفي الوقت نفسه انتظار شخصياته للمستقبل الذي هو الماضي الفلسطيني، وكان هاجسه البحث عن فلسطين أرضًا يقف عليها الفلسطيني لمواجهة عدوه والانتصار عليه.

وكذلك فعل إميل حبيبي باحثًا عن فلسطين الحكاية التي غدت تُدمَّر يوميًا بفعل الهجمة الصهيونية الشرسة عليها.. ولكنها بقيت «سرايا» المكان التي لا تغادرها الذاكرة. وجعل جبرا إبراهيم جبرا رواياته ساحة لحلم الفلسطيني العائد إلى وطنه سرًا؛ لأنه خياره المصيري الوحيد.

أما سحر خليفة فجعلت رواياتها منصبة على مأساة الوطن الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني من خلال معاناة المرأة الفلسطينية أولًا... وهكذا شأن الرواية الفلسطينية عمومًا التي جعلت جماليات فلسطين المحتلة في الكماشة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية ديدنها ووعيها وإيحاءاتها وأبعادها الثقافية والإنسانية!!

تجزأت فلسطين مكانيًا في الرواية الفلسطينية ثلاثة أجزاء : فضاء رواية الداخل الفلسطيني، تحت الاحتلال الصهيوني المباشر، وهنا يبدو المكان مكبلاً بالقيود والمعاناة وضنك المعيشة اليومية، وفضاء رواية المخيم الفلسطيني، وما يفرضه هذا الواقع من مآسٍ نتجت عن ضياع فلسطين، والإيمان المطلق بالعودة إليها، وأن المخيم مجرد ممر مؤلم ومؤقت؛ وفضاء رواية الشتات في دول العالم، وهي الرواية التي جعلت فلسطين مكانًا كونيًا إنسانيًا، يعيش في جوف آخر استعمار إجرامي في الكون، وهو الاستعمار الصهيوني!!

هنا تبدأ خصوصية الكتابة النسوية

■ كناقد مهتم بالسرد النسوي أود معرفة رأيك: هل كان صوت الأنثى المبدعة جريئاً بما يكفي للتعبير عن واقعها وقضاياها.. أم أنها اتخذت لغة الجسد وإثارة الغرائز وسيلة لكسب الشهرة؟ وفي هذا الإطار: هل يمكن الحديث عن الروايات (الفضائحية) كظاهرة أدبية صحية؟!

النظرية أو النظريات النقدية النِّسوية ولدت من متن الكتابة النسوية التي تحمل إيديولوجيا تحرير المرأة من كثير من التابوهات الأبوية (البطرياركية)، وهي نظرية حديثة نسبيًا، سعت إلى إعادة قراءة ثقافة الماضي من منظور نسوي، كما أنها سعت إلى الكشف عن السياقات الفكرية والجمالية في ما يؤكد خصوصية الكتابة النسوية، والإعلاء من شأنها، والنظر إليها من منظور أنها كتابة مختلفة عن الكتابة الذكورية، ومن ثم فإن وظيفة هذه الكتابة تكمن في الخرق والتجاوز وليس الامتثال كالكتابة النسائية لقوانين الكتابة والمجتمع المهيمنة على الثقافة، وهي على أية حال

أنساق ذكورية مستبدة.

لدينا في العالم العربي ساردات كثيرات استطعن أن يتفهمن الكتابة النسوية باعتبارها قيمة جمالية عليا، وليس القصد منها الدونية أو غيرها؛ لذلك جاءت رواياتهن وقصصهن مسكونة بالوعي النسوي الإيجابي والحقيقي في كسر المحرمات (التابوهات) الذكورية، وهو كسر إيديولوجي واعٍ، ومؤمن بأن المرأة ينبغي لها أن تخرج من عتبة البيت، وأن تمارس حقها بكل مقدرة وصبر، وأنه لم يعد بإمكان الثقافة القبلية أو الذكورية المهيمنة أن تحجبها عن ممارسة حياتها وفق رغباتها واختياراتها، لا رغبات الآخرين الذين يريدونها كبش فداء، أو ثورًا يحمل العالم على قرنية، أو جسدًا متاجرًا به، أو غير ذلك مما يحط من شأن المرأة ودورها الاجتماعي.

واقع المرأة العربية وقضاياها في وضع شديد التعقيد اجتماعيًا ودينيًا وجسديًا وثقافيًا، والكتابة بالنسبة إلى هذا الواقع هي الطريق الوحيد الممكن الذي يتيح للكاتبة حرية بناء عالم محلوم مغاير للعالم الواقعي البائس...فالمعاناة أساس الإبداع، ولا يمكن لأي كان أن يعبر عن مأساة الأنثى إلا الأنثى؛ وهنا تبدأ خصوصية الكتابة النسوية التي عالجت كثيرًا من قضاياها في بعض كتبي وأبحاثي، مثل كتب: «المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية الفلسطينية»، و»النسوية في الثقافة والإبداع»، و» وقراءات في المنظور السردي النسوي».

أعتقد أن المرأة في الخمسين سنة الماضية امتلكت كثيرًا من الأسس التي تصنف كتابتها على أنها واعية وجريئة وملتزمة بمصيرها وقضاياها... وهذا لا يعني عدم وجود كتابة نسائية ركبت موجة النّسوية، فاستخدمت فضائحية المحرمات، لتثير شهرتها من منطلقات غير فنية أو غير أصيلة في السرد النسوي... وغالبًا ما تكون هذه الشهرة آنية، مثل فقاعات زبد البحر.. فالإثارة الفضائحية ليست من الفن، ولا يمكن أن تحظى بدراسات نقدية جمالية إيجابية، ومن ثمّ فإن أثرها في المتلقين الواعين لا يتجاوز أثر الإشاعات سريعة الاندثار.

أما بالنسبة إلى الفضائحية في الرواية عمومًا فهي سلاح ذو حدين، حده الأول إيجابي عندما تكون الفضائحية كسرًا للتابو أو تشريحًا لهمن أجل البناء والمعالجة، والرواية هنا مشرط طبيب؛ لأنها تكتسب بعدًا فكريًا واعيًا، في صياغة جمالية مقبولة عمومًا... وهذا يعني أن الرواية ليست وثيقة تاريخية أو اجتماعية تكتسب مشروعيتها فقط من شرف مضمونها وأهميته.

أما الحد الثاني فهو الفضائحية السلبية التي تضع هدفها في كسر القيم الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو الجنسية، للإثارة لا أكثر ولا أقل، وعادة ما تكون في لغة سلبية أو مترهلة. والفضائحية أو الإيروتيكية تحتاج إلى قلم سردي مبدع؛ كي يبعدها عن الإثارة من أجل الإثارة والشهرة التجارية الانتهازية، ويجعلها في سياق الإثارة الجمالية البناءة، حيث يكون الرأي في ذلك للمتلقي المنتج الواعي، وليس للمتلقي الاستهلاكي الذي يروج للبضاعة الرديئة في الثقافة والإبداع في مجتمعاتنا النامية غالبًا.

نجاح الرواية تجاريًا لا يعني أنها رواية ناجحة إبداعياً

■ كيف تفسر أن(كاتبات الجسد) يبعن كتبهن أكثر من بقية الكاتبات اللواتي يكتبن عن الإنسان والوطن والقهر السياسي؟!

للأسف لدينا في العالم العربي بيئة ثقافية لا تقدر القيمة الحقيقية للإبداع، أو بمعنى أدق لا يوجد لدينا قاعدة عريضة لمتلقٍ حقيقي يدرك جيدًا قيمة الكتاب الثقافي والإبداعي الفكرية والفنية... وهذا ما يجعل بعض المبدعين والمبدعات يحرصون على الكتابة السلعية الرائجة لدى هؤلاء المتلقين الهشين، خاصة في هذا الوقت الذي شاعت فيه ثقافة مواقع التواصل الاجتماعي الرقمية.

لم تُحسب روايات التسلية والترفيه من المقروئية في المجتمعات، وهذا ما يجعل مستوى متوسط القراءة لدينا في أدنى المستويات العالمية، حتى أشاع عنا أعداؤنا مقولات فاضحة، على نحو: نحن شعب لا نقرأ، وإذا قرأنا لا نفهم، وإذا فهمنا لا نطبق، وإذا طبقنا لا نحسن التطبيق!!

على أية حال، راجت كتابة الجسد، وصارت في متناول القراء، وأصبحت دور الكتب تتنافس على نشر بعض هذه الروايات، وصار القراء يقبلون عليها في معارض الكتب باعتبارها من الممنوعات، وبعد أن يباع منها ما يشبع جشع الناشرين، ولا تعود لها قيمة تصبح مشروعة وتباع في أي مكان بأرخص الأثمان...فالمنع صار وسيلة لرواج بعض الروايات، خاصة عندما يكون المنع بسبب جملة، بل إن بعض دور النشر تسعى إلى هذا المنع لتزيد من مبيعاتها من «تحت الطاولة» كما يقال.

منذ أن وُجِدت الكتابة إلى اليوم، ونحن نعيش مأساة الكتابة الجادة والكتابة الرائجة، فالأولى تعاني من تدني تداولها أو مقروئيتها، والثانية تجارة رابحة للكتاب والمسوقين.. وأذكر أنني كتبت قبل عشرين عامًا مقالة بعنوان :»قد ندفع للقراء يومًا»؛ كي يقرؤوا ما نكتب بعيدًا عما هو رائج لديهم على طريقة :»الجمهور عاوز كده» بالنسبة إلى الأفلام والمسرحيات العربية!!

لا شك في أن لجوء بعض الكاتبات إلى الجسد بصفته بنية مركزية هدفها الإثارة والترويج لرواياتهن أو قصصهن هو فشل حقيقي لهذه الكتابة، فالجسد أو الجنس لا يمكن أن يكون عاملًا حاسمًا في نجاح الرواية فنيًا أو جماليًا، بل بالعكس لا بدّ أن يكون وسيلة هدم للرواية إن لم يوظف جماليًا... فنجاح الرواية تجاريًا لا يعني أنها رواية ناجحة في مستويي المبنى والمعنى. صحيح أن الجسد قيمة جمالية مهمة في أية كتابة نسوية أو الكتابة السردية عمومًا، ومن ثمّ فإن توظيفه لا بد أن يكون في سياق نسويّة الكتابة لا سلعيتها، بمعنى أن يكون الجسد مرتبطًا جماليًا بالإنسان والأرض والعلاقات الاجتماعية والسياسية، وكل ما يجعل منه قيمة جمالية عليا، لا دنيا، في الكتابة السردية النسوية.

الحياد جريمة ثقافية..

■ في ضوء ما كتبته عن (الربيع العربي) وعن (الثورة السورية) أود أن أعرف رأيك: هل كان من الأفضل أن ينأى المثقف الفلسطيني بنفسه عن أوحال السياسية ويركز جهوده فقط على القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع في المنطقة؟

ما كتبته في خمس سنوات عن الربيع

العربي لا يشعرني بالندم تجاه فعل الكتابة بحد ذاته، وإن كنت أدرك جيدًا أن هذا الربيع العربي، وخاصة الربيع العربي في سوريا، يمكنه أن يتحول في أية لحظة إلى الجحيم العربي، وهذا ما حدث فعلًا بعد خمس سنوات من الحلم الوهمي بانتصار الشعوب العربية؛ إذ غدونا الآن نعاني من تبعات هذا الربيع، وصرنا نتمنى لو أن الأمور بقيت كما هي عليه قبل هذا الربيع الجحيمي...

ما حدث في بعض البلدان العربية من المجازر لشعوبها وأنظمتها كشف لنا كم كنا ضائعين عندما اعتقدنا بأن الأمور غدت في أيدي الشعوب... منذ أن تشكل وعيي وأنا أؤمن بنظرية المؤامرة، هذه المؤامرة التي نواتها الصهيونية العالمية، وفلسطين هي بؤرة الخراب في الوطن العربي كله، لأنه لا يمكن أن تكون فلسطين «إسرائيلية» بدون هذا الخراب في العالم العربي... لذلك كان الخيار الحتمي بصفتي مثقفًا عربيًا أن أقف مع الشعوب العربية، حتى لو كانت قناعتي تامة بأن هذا الربيع هو حصان طروادة الذي خلقته «الفوضى الخلاقة» الصهيو أمريكية، ومن ثمّ علينا أن نحمد الله على أنّ بعض دولنا لم يقم بها ربيع عربي، لأننا حينئذ كنا ستخسر كل شيء- بسبب هذا الربيع الأكذوبة الكبرى في حياتنا اليوم.

ما الخيار أو ما هو الأفضل؟ يصعب أن أقف مع الأنظمة في مواجهة الشعوب مهما كانت أخطاء الشعوب، ويصعب أن أكون حياديًا؛ لأن الحياد جريمة ثقافية على أية حال!!

لدي ثلاثمئة مقالة كتبتها في الربيع العربي، دافعت فيها عن الوطن العربي، وعن فلسطين، وعندما تأكد لي منذ ثلاثة أعوام تقريبًا جحيمية هذا الربيع توقفت عن الكتابة إلى حين تتغير الأحوال.

المثقف الفلسطيني لا يمكن أن يعزل نفسه عن كونه مثقفًا عربيًا إنسانيًا .. فالوطن العربي كله هو الحضن الوحيد للوطن الفلسطيني، وفلسطين لا يمكن أن تبتعد عن عمقها العربي...قدر فلسطين أنها تواجه أبشع استعمار استيطاني على وجه الأرض.. أبشع مئة مرة من الاستعمار الفرنسي للجزائر .. هذا البلد العظيم الذي قدم مليون شهيد في مواجهته للغزاة الفرنسيين ... أينما كانت الثورة ضد الاستعمار لابد أن يكون المثقفون مع ما يسند ظهرهم... وأنا أعتقد أن فلسطين ستبقى هي القلب النابض في هذا الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، وأنه سندها في أي وقت وتحت أية ظروف!!

نعم، يكفينا في فلسطين ما نحن فيه، وقد كتبت في فلسطين ما يزيد على خمسمئة مقالة، وإن توقفت حاليًا عن الكتابة في الفكر السياسي الفلسطيني؛ فبكل تأكيد هذه الوقفة هي استراحة محارب، ولا بدّ من العودة إلى الانشغال بالهمّ الفلسطيني، الذي هو الآخر يعيش في حالة من الانهيار والتشرذم وانكسارات الوحدة الوطنية، والحلول العوراء التي تجعل الكيان الصهيوني متسيِّدًا، بعد أن أخذ كل شيء بسبب «اتفاقيات أوسلو» سيئة الذكر، واستغلال الدين لمصالح سياسية فصائلية انفصالية.

النقد إعادة إنتاج للعمل الإبداعي

■ الناقد حسين المناصرة كيف يستشعر القيمة الفكرية والجمالية لأي عمل أدبي يقع بين يديه؟

مهما كانت درجة الحيادية أو الموضوعية أو النقد العلمي لدى أي ناقد، فإن الكتابة النقدية عمومًا فيها دوافع تذوقية أو انطباعية. ولا أزعم هنا -كما صرح بعض نقادنا-بأن نقدنا كله لم يتجاوز خيمة النابغة في سوق عكاظ؛ أي أنه نقد انطباعي!!

اليوم، تلاشى مصطلح النقد، وحل مكانه مصطلح القراءة النقدية أو المقاربة النقدية، وهذا المصطلح المرن جدًا يعني مشروعية القراءة وانفتاحها.. وهذا يعني أيضًا أنّ لكل قارئ حقًا في أن يدلي بدلوه، مهما كانت حصيلة هذا الدلو المعرفية والجمالية؛ لذلك انتهت المعايير النقدية التقليدية التي كانت سائدة في النقد الأكاديمي، وانفتحت القراءة على الذات والعلوم الأخرى... وصار النقد بحثًا أكاديميًا فلسفيًا معرفيًا إلى غير ذلك .

شخصيًا، تبدأ شعرية النص الأدبي عندي من اللغة، فهي العامل الحاسم الأول في قبول النص أو رفضه، فإذا شعرت أنني أمام نص يتقن كاتبه أدواته اللغوية، أرفع له قبعتي المجازية تحية، وأؤكد لنفسي أنني أمام نص يستحق القراءة طلبًا للمتعة، أو للكتابة عنه.

بعد اللغة، تجذبني فكرة النص المتجددة، بحيث تشعرني بأنها جديدة، رغم كونها مألوفة.. فالمعاني -كما يقول الجاحظ- ملقاة على قارعة الطريق، ومن ثمّ فإن العبرة في اختيار اللفظ/ التركيب الذي يحتاج إلى مبدع قادر على توليد الصدمة الثقافية الجمالية لدى المتلقي. وهذا يعني أنّ الفكرة في النص الأدبي تحتاج إلى إبداع؛ كي تكون جديدة، كاسرة لكل ما قبلها... فما قبلها «خراف»-فرضًا- وهي «الأسد» الذي هو منتج هضم هذه الخراف، كما قيل في الدراسات البنيوية الحديثة: النص هو مجموعة نصوص سابقة، كما هو الأسد مجموعة خراف مهضومة!!

والأمر الثالث قدرة الكاتب على إظهار شعرية النص في مستوياته الأخرى كالشخصية، والزمكانية، وأساليب العرض، وغيرها. وبدون مبالغة، سنجد النص الجيد يفرض نفسه أو حضوره على القارئ الناقد.

ولكن لدينا اهتمامات كثيرة، آلاف النصوص تحتاج إلى أن تُقرأ.. ويُكتب عنها!!

ويبقى السؤال عن وقت التلقي المحدود جدًا جدًا بالنسبة إلى ما يصدر يوميًا من النصوص الجيدة. ولا تعني الكتابة عن نص ما أنه أفضل النصوص.. ربما يكون لهذه الكتابة أسباب أخرى شخصية أو شللية، خاصة في القراءات الثقافية الإعلامية.

على أية حال، أعتقد أن أي نص أدبي، مهما كانت درجته فكريًا وجماليًا، فإنه لا يخلو من جمال. وهذه الفكرة ليست مني، وإنما هي لناقد غربي قرأتها يومًا ما، ولم أعد أذكر اسمه.

■ برأيك: متى يكون النَّقدُ إضافة حقيقية لأيِّ عملٍ إبداعيٍّ؟ وهل تجد أن المبدع يرغب باكتشاف أخطائه ويسعى لتطوير ذاته خصوصاً مع التطور التقني المذهل على مستوى مستلزمات الكتابة والطباعة والإعلام؟

النقد إعادة إنتاج للعمل الإبداعي، وليس استهلاكًا له أو إضافة إليه.. فإذا قرأنا نقدًا لعمل إبداعي ما، وشعرنا أن هذا النقد أو هذه القراءة أنتجت النص إنتاجًا حقيقيًا، بغض النظر عن مقصدية المبدع أو مقولة «المعنى في بطن الشاعر».

فالناقد هو وحده القادر على معرفة النص، وأسس بنائه، وتأويله، وندرك حينها القيمة الجمالية للنقد بالنظر إلى أنه كتابة جديدة للنص وليست شرحًا أو استهلاكًا له.

في الماضي كان النقد معياريًا تعليميًا، يركز على الإيجابيات والسلبيات، ومن ثم قد تشكل آراؤه السلبية عداءً مع المبدع، في حين تثري الآراء الإيجابية هذه العلاقة . اليوم لم يعد النقد معياريًا ولا تعليميًا؛ لذلك لا أظن أنّ المبدعين يتعلمون من النقاد، باستثناء بعض التقنيات التي يعدونها شكلية كالأخطاء اللغوية إملاءً ونحوًا.

أما بالنسبة إلى المبدعين عمومًا فأعتقد أنهم غدوا جزءًا حميمًا من التقنيات الرقمية الجديدة، فالكتابة الإبداعية اليوم منتشرة رقميًا، وفيها السمين والغث... ويمكن لبعض الكتاب أن يصبح كاتبًا بين ليلة وضحاها؛ لأن النشر سهل جدًا، والمواقع الشخصية غدت أسلوبًا إعلاميًا مهمًا في وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة.

كتاب التواصل الاجتماعي (السوشل ميديا) بإمكانهم أن يجمعوا حواراتهم، وينشروها في روايات أو كتب...والحقيقة أنهم يتقنون وسائل التواصل الاجتماعي اتقانًا مميزًا، وأصبح لهم قراؤهم من جيل الشباب... في حين نجد أن بعض الروائيين الجادين لا يتقنون سوى الكتابة بالورقة وقلم الحبر، مما يحدّ من فاعليتهم في المشهد الثقافي!! وكذلك الأمر بالنسبة إلى النقاد، ما زال بعضهم تقليديًا، لا يتقن وسائل التقنية الرقمية.

نحن في زمكانية تقنية مذهلة، أسهمت كثيرًا في شيوع ثقافة النص (الرواية، القصيدة، القصة القصيرة جدًا....إلخ)، وهمّشت ثقافة شهرة المبدع، بحيث أصبحت الأسماء الإبداعية لا تحفظ أو لا تعرف، كما كان الحال بالنسبة إلى أدباء ما قبل تسعينيات القرن الماضي.

لقاء

مع الشاعر والروائي الأردني أيمن العتوم

وفاء حميد ـ صحفية فلسطينية ـ سورية

أيمن العتوم - الأديب والشاعر - قدَّس العلم وكرَّس نفسه له، حتى أصبح من أهم رواد الأدب في الوطن العربي والعالم. فصار قدوة يُحتذى بها، وعلامةً متميزة في مجال الأدب. يُشكل نموذجه حافزًا لكل من يطمح للصعود إلى القمة وتحقيق أهدافه. وقد نشأ في عائلة مثقفة، وكان لهذا المحيط تأثير كبير في تكوينه. وكان دائمًا يردّد: «من يحمل في قلبه هدفًا، فليكافح من أجل تحقيقه، حتى يرضى عن نفسه، ويسهم في خدمة وطنه».

كتب في روايته «يا صاحبي السجن» عن أحداث سجنه وكيف عاش تفاصيلها، ونقلها إلى قرائه وكان لنا معه اللقاء التالي:

■ عندما علمتَ من أحد أصدقائك أن السجن لا بد منه، وبالفعل كان ذلك، وأمام أبيك الذي أحببته وكان قدوتك، كيف كان شعورك غير الذي قرأناه في روايتك، عندما أخبرك أحد العسكريين عن جمال شعرك، وإعجابك بأبيك القوي المتماسك، وخوفك على أمك من أن تَنهار؟

إعجاب الآخر، الطرف الذي يقف على الضفة الأخرى، كأن يكون عسكريًا، أو مخالفًا لك في الفكر أو المذهب أو غير ذلك، يدل على أن كلمتك مؤثرة في القلوب، وأنها تتجاوز هذه الحدود؛ فهي تخاطب الإنسان في الإنسان، ذلك الشعور الإنساني الذي لا ينجو منه أحد. وبالتالي، إعجابه مع أنه ربما يعتقلني يدل على أن كلماتي مؤثرة. وبغض النظر عن الانتماء إلى طرف أو جهة، تصل إلى القلوب. وهذا بالفعل ما أسعى إليه دائمًا؛ أن تصل كلماتي إلى الذين يختلفون معي، أو الذين لا يتفقون معي فكريًا أو مذهبيًا أو مبدئيًا، قبل الذين يتفقون معي. لأن الذين يتفقون معي سيعجبون بكلماتي بوجه عام، أما الذين يختلفون فأن تعجبهم كلماتي فذلك هو النجاح الحقيقي.

أما الجزء الآخر من السؤال؟ أمي كأيّ أمّ تحب ابنها وتخاف عليه، حتى لو صار أبًا وجدًا - وهي ما زالت تعيش - ستخاف عليه، وهذه غريزة الأمومة في الأمهات. لكن أمي من النوع القوي، الصامت، الصابر، المحتسب، المثقف، الواعي، المحب، الحنون. هذه الصفات بعضها ربما يكون أصعب من الآخر. يعني هي حنونة، ستتأذى بشعورها بأن أحدًا يسيء لابنها، لكنها صابرة، ستصبر على هذه المحنة.

■ أنت خططتَ بذكاء وصبر وحلم، وصنعت من سجنك عالمًا تأقلمت معه من خلال استلهامك حب أبيك لك، ورفقة أصدقاء بمستوى التفكير نفسه تقريبًا. هل ستبقى مستمرًا على هذا لو طالت مدة سجنك؟

بناء على المقدمات، يمكن أن نتنبأ بالنتائج. الجواب: نعم. لأنني إنسان قارئ، وبالتالي القراءة هي سلاحك في مواجهة المحن، القراءة درعك في صد الهجمات عليك، القراءة شفاء، والكتابة أيضًا، كما قلت في روايتي «يا صاحبَي السجن»، حماية للعقل من الانهيار، ومن الفساد، ومن اختلاط الأمور. القراءة فعل مقاومة، يستمر الإنسان صامدًا دون انهيار بفعل القراءة. فلو أن مدة سجني طالت، أعتقد أنني كنت - ومازلتُ - قادرًا على القراءة، وسأستمر. لكن المحنة الكبرى، والمصيبة العظمى، هي أن نُمنع من القراءة. فحينئذٍ يمكن بسهولة أن ينهار الإنسان.

■ قلت في روايتك إنك تتلذذ بالقراءة وتهضمها لتفهم عمقها وسطورها وتعيش فيها ومعها. هل لأن أباك هو من كان يشجعك، أم لأن أيمن العتوم هو كذلك بالفطرة؟

في الحقيقة، هو تشجيع الأب والعائلة، وهو أهم شيء في نمو الموهبة أو الممارسة عند الطفل. لأن الطفل لا يدري، فهو يوجَّه ويقلِّد أكثر مما يسمع. لكن لا يوجد إنسان يحب القراءة بالفطرة. الإنسان يُدَرَّب على القراءة، يُحَبَّب فيها، تُزَيَّن له القراءة. الإنسان يحتاج إلى من هو أسبق منه وأكبر منه وأرشد منه في هذا المجال، كأن يكون أباه، فيزين له القراءة حتى يقع في حبها. فالطفل ينتظر هذا الشيء. هو تحبيب وتعويد ومتابعة، وهو أيضًا قدوة قبل كل شيء. إذا كان الأب قارئًا، فإن ذلك سينتقل إلى الأبناء بطريقة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة. قد يكون الأب أكثر قراءة، وقد يأتي الابن قارئًا وإن كان أقل منه. أما بالنسبة لي، فأنا تعلمت القراءة من أبوَي. وأما القراءة بالفطرة، فهذا لا يوجد. كأن تقول لإنسان: مَلِكٌ بالفطرة، أو ظالم بالفطرة، أو رياضيّ بالفطرة. لا يوجد كل ذلك. التدريب والتمارين هما الأساس. وبعضه أمنيات مستحيلة أن تتحقق، إنما يتحقق الشيء بالجد والمثابرة.

■ كيف تجد نفسك وقد اجتزت هذه المحنة؟ وهل كانت دافعًا لتصنع منك الأديب والشاعر المشهور، لتكمل الدراسات العليا وتصبح على ما أنت عليه الآن؟

هذه المحنة، كما يقال: «الضربة التي لا تقتلك تقويك» - طبعًا المحنة قوَّتني وجعلتني أستصغر محنًا أخرى حين أقارنها بها. وبالتالي، الإنسان يقرأ ويستطيع أن يستمر. ولكنها ليست هي من صنعتني في الأدب. الأديب تصنعه - كما أجبت في السؤال السابق - بالقراءة، وبالحفظ، وبالنفس الطويل، وبالمذاكرة، وبالجلوس للقراءة في الغداة والبكور، وبتقييد الإنسان عن شهواته الأخرى ولهوه ولعبه، وبتوجهه إلى الحد من أجل أن يكون قارئًا. وبالتالي، يمكن أن يصبح بعد ذلك أديبًا معروفًا.

أما إكمال الدراسات العليا، فقد كان لدي طموح في بدايات حياتي، عندما بدأت في العشرينيات من عمري، أدرّس في الجامعات. لكن لم يكتب لي ذلك، وأحمد الله أنه لم يكتبه لي. لأن الجامعات كانت ستكون قيدًا، ربما في مرحلة كانت بالنسبة لي حلمًا. الآن أنا تجاوزت الجامعات بفضل الله تعالى، وأصبحت معروفًا ليس على المستوى الوطني أو العربي فقط، بل على مستوى العالم بفضل الله تعالى. رواياتي تترجم إلى لغات كثيرة حول العالم، رواياتي تُتناول بالدراسة. قبل حوالي بضعة أشهر، نوقشت رسالة ماجستير أو دكتوراه عن رواياتي في جامعة السوربون. رواياتي تُناقش في الهند شرقًا، وفي السوربون في أوروبا غربًا، وفي تركيا شمالًا، وفي الوطن العربي كله. وهذا بفضل الله.

> **يستمر الإنسان صامدًا دون انهيار بفعل القراءة**

■ سافرتَ إلى أماكن كثيرة، ما أكثر بلد تمنيتَ أن تبقى به لو خُيّرت؟

أنا سافرت إلى أكثر من ثلاثين أو أربعين بلدًا. وأسجّل الآن لك هذه الإجابات من الجزائر. خرجت أتمشى في الصباح في الشارع العام، كان الصباح جميلًا ولطيفًا وهواؤه منعشًا، فاستقبلني عدة أشخاص، ورحبوا بي، واحتضنوني وقالوا: «أيمن العتوم على قدميه!» فالفضل أولًا وأخيرًا لله. أنا أقول ذلك استرشادًا بما قال الله تعالى: «وأما بنعمة ربك فحدث». وأنا أتحدث بنعمة الله علي.

البلدان كلها جميلة، وكل بلد له جماله الخاص. قبل فترة قصيرة كنتُ في سوريا - وطبعًا أنا لم أنزل إلى سوريا مدة اثني عشر أو ثلاثة عشر ، مع أنني كنت أنزل إليها كثيرًا، وكتبت لها ومن أجلها رواية «يسمعون حسيسها»، ورواية «خاوية». في سوريا عبق تاريخ، لها نَفَسٌ لا يمكن أن تجده في بلد آخر. أنا إذا أردت الجمال - مثلاً - والهدوء والأناقة، ففي الرباط. ومن المدن التي أحببتها عبر سفري الطويل... أما إذا أردت ودّ الناس والتفاف الناس حولك، ففي العراق، في شماله، في الموصل، كان ذلك واضحًا وجليًا. ولكل بلد ميزته. الجزائر: شعب إذا أحب، رفع المحب إلى أعلى الطبقات، وكذلك إذا كره إنسانا، نزل به إلى أسفل الدركات. هذا شعب ليس عنده حل وسط. هذا شعب كريم وعزيز النفس وأبيّ، لكنه ليس لديه حلول وسط. وهذه ميزته بالمناسبة. فكل مكان وبلد له ميزة..

أيمن العتوم الذي قرأنا عن أخلاقه وتفانيه في كل شيء، ماذا تقول لمن يريد أن يحذو حذوك، وخبرته قليلة، ولا يمتلك إلا القليل من أدوات الإبداع، ليصبح أديبًا أو شاعرًا؟

صحيح أن الموهبة جزء منها رباني، إلهي، يقذفه الله في روع صاحبه، لكن نسبتها 20%. أصلاً، العظماء كلهم ما صاروا إلى ما صاروا إليه إلا بتمردهم على أدواتهم وظروفهم الصعبة. لم يصل أحد وفي فمه ملعقة من ذهب. 90% منهم حفروا في الصخر حتى يصلوا إلى ما وصلوا. فأنا نصيحتي إلى أولئك الذين مازالوا في بداية الطريق: احفر، انبش، اخلص لفكرتك، اعطها من قلبك. هدفك وغايتك لا تجعلها تمر مرور الكرام...

تاريخ وديناميّة وأثر الاتحادات ورابطات ومجمعات الكتاب العرب بين واقع الأمس القيادي وواقع الحال الارتكاسي

الإعلامي أحمد طنيش - المغرب

الاتّحاد العامّ للأدباء والكتّاب العرب
THE GENERAL UNION OFARAB WRITERS

يعتبر الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب تجمعاً عربياً أدبياً قومياً يضم الاتحادات والروابط والنوادي الأدبية في الأقطار العربية، وهو يختلف عنها في أن عضويته مقصورة على الاتحادات والروابط القطرية، في حين يمثل كل اتحاد قطري أو رابطة قطرية الأدباء والكتاب الذين ينتمون إليه أو إليها،

ففي كل دولة عربية منظمة تهتم بشؤون الأدباء والكتاب وترعى مصالحهم وتعمل على توحيدهم وتوثيق الصلات بينهم، وتسمى هذه المنظمة اتحاداً في بعض الدول العربية كما في سورية وتونس والإمارات العربية المتحدة ومصر ولبنان والمغرب على سبيل المثال، وتسمى رابطة في دول عربية أخرى كما في ليبية والأردن والكويت، ويجمع بينها أن عضويتها لا تقتصر على الأدباء وحدهم، بل تضم الكتاب في مختلف حقول المعرفة، غير أن هناك تميزاً عند بعض الأقطار بين الأدباء والكتاب «اتحاد أدباء وكتاب الإمارات العربية المتحدة» أو «اتحاد الأدباء والكتاب الليبيين»، وهناك من لديهم المفهوم شامل «الكتّاب» كما هو شأن «اتحاد الكتاب العرب في سورية» و«اتحاد الكتاب» في كل من تونس ولبنان واتحاد كتاب المغرب، بالمغرب وليس لهذا الأمر تأثير في طبيعة الاتحادات والروابط من الناحية التنظيمية، فكلٌّ منها خاص بأدبائه وتقتصر عضويته على الكتاب من القطر العربي الذي هو فيه، بخلاف اتحاد الكتاب العرب في سورية الذي يقبل في عضويته أي كاتب عربي من أي قطر عربي كان، على أن الكثرة الكبيرة من أعضائه كتاب وأدباء سوريون، كذلك يستثنى الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذي يضم في عضويته الصحفيين بالإضافة إلى الكتاب، وهناك من يستعمل مصطلح «النادي» المملكة العربية السعودية، نموذجاً، ففي كل مدينة في المملكة نادٍ أدبيّ ينهض بمهمة النشاط الثقافي وإصدار الكتب والدوريات، وتشرف إدارة رعاية الشباب في المملكة على هذه النواحي الأدبية.

الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

تأسس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الذي يضم في عضويته كل الاتحادات بتنوع أسمائها في عام 1954 وعقد أول مؤتمر له في العام نفسه في لبنان، ثم توالت مؤتمراته من دون التزام فاصل زمني محدد فعقد المؤتمر الثاني في دمشق بعد سنتين من ذلك التاريخ (1956) وعقد المؤتمر الثالث في مصر (1957) وعقد المؤتمر الرابع في الكويت (1958)، أما الخامس فكان في العراق (1965) وتلاه المؤتمر السادس الذي عقد في مصر (1968) والسابع في العراق (1969)، ثم انتظم الفاصل الزمني بعد ذلك ابتداء من المؤتمر الثامن (سورية 1969) فغدا يعقد كل سنتين، واستمر الأمر على هذه الحال حتى المؤتمر التاسع عشر (المغرب 1995) الذي أقر تعديل النظام الداخلي للاتحاد وأقرّ عقد المؤتمر العام كل ثلاث سنوات.. يعد المؤتمر العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب مؤتمراً ذا طابع أدبي وتنظيمي، في سنة 1971 أحدث هذا الاتحاد مجلة فصلية تعبر عن أهدافه وتنشر إنتاج الأدباء والكتاب العرب وكان اسمها في مبتدئها «الأدباء العرب» ثم أصبح اسمها «الكاتب العربي»، وجرت العادة على أن تصدر هذه المجلة عن الأمانة العامة في الدولة التي ينتمي إليها الأمين العام، فكان أول صدورها في مصر ثم في سورية فالعراق فليبية فتونس وهكذا. وفي عام 1994 دخل الاتحاد العام مجال النشر فأصدر عدداً من الكتب لمؤلفين عرب، ويدخل في خططه إصدار دليل يؤرخ لمؤتمراته ويعرف بأعضاء الاتحادات والروابط التي تنتسب إليه، ويعقد الاتحاد العام ندوات ثقافية في الدول العربية، ويعمل على تعزيز حقوق الكتّاب العرب وضمانها ولا سيما حق الكاتب العربي في التعبير عن رأيه من دون قيود، وتشجيع التعاون الثقافي بين الدول العربية وتمتين الصلات بين الاتحادات والروابط وتبادل الخبرة بينها ويسعى إلى أن يكون تجمعاً فاعلاً في الحياة الثقافية العربية.

الواقع الحالي لاتحادات كتاب العرب

تأثرت دينامية النشر والجوائز والتظاهرات بواقع الوطن العربي عموماً بسبب الحروب والاختلافات والأزمات الاقتصادية وغيرها، ويظهر أن المشعل تسلمته دول الخليج بمبادرات كثيرة منها النشر وتنظيم التظاهرات والمسابقات الكبرى ومؤتمرات عربية متعددة التيمات، كما تشرف وتدعم بسخاء جوائز الرواية والشعر والقصة وغيرها، والنماذج كثيرة، بل أن الخليج أصبح يتكفل حتى بتكريم مبدعي الوطن العربي في الفكر والأدب وغيره.ـ عمت اختلافات داخل الاتحادات، التي تسلمتها أجيال، ليس لها نفس الهم العربي والأيديولوجي، لكون معظم الاتحادات كانت تضم في مكوناتها مناضلين ومثقفين عضويين بمفهوم غرامشي، (أي المثقف المنخرط في قضايا أمته)؛ لذا كانت بيانات المؤتمرات الصحفية لاتحادات كتاب العرب عبر الوطن العربي تعرف جدلاً ووقعاً كبيراً من خلال إصدار بياناتها النارية التي كانت تشخص الواقع العربي، وكانت كل المؤتمرات تحمل نبضاً نضالياً وتدعم القضية الفلسطينية بلغة قوية، بل حتى القصائد الكبرى لأمل دنقل والبياتي ومظفر النواب ومحمود درويش واللائحة طويلة قرأت بمناسبة مؤتمرات اتحاد العرب.

الاتحادات تأكل ذاتها وتاريخها

أصبحت الاتحادات مؤخراً وفي كل قطر، تأكل ذاتها وتاريخها، ففي المغرب نموذجاً، هناك دعوة قضائية بين مكونات هذا الاتحاد، بين المنادين بالمرجعية التاريخية والفكرية والأيديولوجية، وبين جيل آخر له تصورات أخرى، والخلاف مازال قائما وذاك أكبر سبب لغياب اضطراري عن الأثر وعن متابعة القضايا العربية الكبرى مثل التطبيع، وآخرها الربيع العربي، مما يؤكد أنها مرحلة تشهد موتاً أيديولوجياً لكل الاتحادات.

ـ واقع اتحاد كتاب العرب بسوريا، هذا الاتحاد الذي يعد مرجعاً وتاريخاً حري بنا أن نستلهمه لنهضة جديدة ومتجدد لاتحاد عريق، لكونه في مراحل التحولات المتراجعة أثرت فيه بشكل كبير، فهو الآخر يعلن موتاً سريرياً وأكبر دليل أن أول قرار للمكتب الجديد المعين مؤخراً طرد كتاباً من صفوفه لأسباب متعددة.

ـ «اتحاد كتّاب مصر» ومنذ نحو عقد، يمر بعدد من الأزمات التي أثارت وما زالت حالة من الانقسام بين أعضائه، وصولاً إلى طرح تساؤلات حول دور الاتحاد المستقبلي محلياً وعربياً وإمكانية استمراره كمؤسسة أو أفوله نهائياً، وواقع تدبيره حالياً مرهون بتغيير الموعد القانوني، لانعقاد الجمعية العمومية لاتحاد الكتاب، الذي يقرره القانون فى شهر مارس كل عام، ولا يقف الأمر عند ذلك، فالتساؤلات القانونية لا تتوقف حول مشروعية استصدار رئيس الاتحاد قراراً من الجمعية بتأجيل الانتخابات حتى عام 2026 بزعم أن نصف أعضاء المجلس الذين تم انتخابهم في مارس 2022، لم يستكملوا مدتهم.

ـ اتحاد الكتّاب اللبنانيين، بحسب تعريفه «مؤسسة ثقافية لبنانية غير ربحية، مقرّه في بيروت، ويضمّ كل الكتاب.. وهذا الاتحاد هو من أطلال الأيديولوجيات وثقافة الالتزام، لمن يعرفه، ويسمع به، أجرى انتخابات جديدة

واختار أميناً عاماً جديداً، وهيئة إدارية جديدة، بعد «منافسة» بين لائحتين: الأولى مدعومة من جهة حزبية ومرجعية سياسية وفازتْ، وهذا كان متوقعاً، والثانية تشكّلت من مجموعة من الكتّاب والكاتبات.

ـ رابطة الكُتاب الأردنيين تعد من أهم الهيئات الثقافية الأردنية على مدار عقود، قطعت شوطاً بعيداً متعدّد المراحل، متنوع المحتوى، من الإنجاز الثقافي والفكري منذ تأسيسها رسمياً بتاريخ 1974، مروراً بالهيئات الإدارية المتعاقبة التي تولت إدارتها حتى اليوم وهي تواجه إشكالية الأوضاع المالية والخلافات السياسية، وغياب المشروع الثقافي الذي تأسست الرابطة لأجله والأخطاء التي ارتكبتها الهيئات الإدارية المتعاقبة.

على العموم أصبح الوضع غير الوضع، وتدعو الضرورة أن تستيقظ اتحادات العرب، ويحيون مؤسساتهم، ويعودوا لمكانتهم وموقعهم، ويؤمنوا أن المثقف هو الذي يقود السياسي، وليس العكس.

تمثّلات وعد بلفور في الأدب العربي

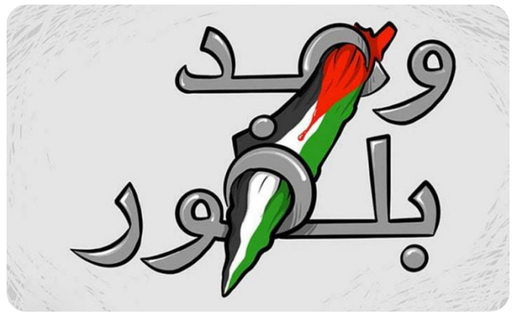

د. ثائر يوسف عودة ناقد وأستاذ جامعي فلسطيني - سورية

شكّل وعد بلفور منذ صدوره في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر عام (1917) لحظةً فارقة في تاريخ المنطقة؛ لأنه وثيقة أكثر من كونه تصريحاً سياسياً عابراً، نقل فلسطين من وطن مزدهر إلى مشروع تحت الاحتلال، وأسّس لمشروع استعماري غيّر مصير الشعب الفلسطيني والعالم العربي، وانعكست تبعاته على الوجدان العربي؛ ذلك أنه حدث تأسيسيّ للمأساة الفلسطينية ومصدرٌ لتحولات الهوية والسردية المقاومة.

منذ اللحظات الأولى للإعلان كان للأدب دورٌ أساسي في استشراف تبعات الوعد، وأدرك الأدباء خطورة ما يحدث، فظهرت تمثّلاته في الشعر أولاً ثم النثر تالياً، وتجلّت تحولاته الجمالية والفكرية ودوره في تشكيل الوعي الجمعي، فنجح الأدب في بناء خطاب مضاد للاستعمار البريطاني والصهيونية، يحفظ الذاكرة ويقاوم محاولات الطمس والتغييب ويؤكد استمرار الصراع، وكان الأدب مرآة للوعي الجمعي ومقاوماً رمزياً يجابه سردية الإلغاء والتهويد. وهكذا غدا الوعد مادة خصبة في نتاج الشعراء والروائيين والقصّاصين، ينقل معاناة الإنسان العربي الفلسطيني ومصادمته للظلم، فتشكّل خطاب أدبي مقاوم يكشف الظلم التاريخي، ويؤكد شرعية الوجود والحق.

تكمن أهمية البحث وإعادة البحث في هذا الموضوع لتوثيق العلاقة بين الأدب والذاكرة الوطنية الفلسطينية، والكشف عن دور الأدب في مقاومة السردية الاستعمارية، وإثراء الدراسات النقدية المتعلقة بالقضية الفلسطينية؛ لذلك سنحاول في هذا المقال أن نتقصى، بعجالة، مراحل حضور وعد بلفور أدبياً وتحولاته من المباشرة الخطابية إلى العمق الجمالي والتأويلي.

بدايات التجلي في مرحلة ما بعد الوعد

ركّز النتاج الأدبي في العقود الأولى لتطبيق الوعد، على التحذير من المخطط الصهيوني وفضح تواطؤ الاستعمار البريطاني، واتخذ الأدب طابعاً خطابياً مباشراً عكسَ الصدمة والانتباه السياسي، كما في كتابات خليل السكاكيني الذي كشف هول الأحداث، ووجّه نقداً لاذعاً للسياسات البريطانية والمجازر بحق الفلسطينيين، فالانتداب البريطاني يعني في عُرفه تحقيق وعد بلفور، وإن التجزئة تعني عملياً تحقيق الحلم الصهيوني في فلسطين، وكان يرى أن الوحدة السورية تسدّ الطريق أمام المطامع الصهيونية، ومما كتبه: «أن تكون سوريا التي تمتد من جبال طورس شمالاً إلى ترعة السويس جنوباً مستقلة استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية» و «أن تكون فلسطين التي هي جزء لا ينفك عن سوريا منطقة مستقلة داخلياً تختار حكامها من الوطنيين بنفسها حسب رغائب أهلها وحاجات البلاد». لقد ربط السكاكيني بين وعد بلفور واتفاقية سايكس - بيكو، وكانت التجزئة هاجسه الأوّل، فأدركها وحاربها في ميادين مختلفة.

أما الشاعر الكبير إبراهيم طوقان فوجّه حديثه إلى حكومة الانتداب البريطاني منوهاً بغدرها بحلفائها العرب، وملوحاً بوعد بلفور، داعياً إلى يقظة الإنسان الفلسطيني والتنبّه إلى أهداف الاستعمار الخبيثة، فقال بصوت عالٍ عن الوعد الكئيب: (بلفور كأسك من دم الشهداء لا ماء العنب)...

بالإضافة إلى إبراهيم طوقان، تحلّى شعراء فلسطين، أمثال أبو سلمى، عبد الرحيم محمود وغيرهم، بالمسؤولية بعد صدور وعد بلفور وعشية النكبة، وأيقنوا بأم أعينهم، بما كان لديهم من قوة الحدس، محذرين مما ينتظر وطنهم وشعبهم نتيجة مخاطر هذا الوعد، وأحسوا بالخطر الداهم على الهوية يلوح في الأفق، فراحوا يدقون أجراس الخطر، ويقرعون جدران الخزان، يحذرون وينذرون شعبهم وأبناء جلدتهم بما يتربص بهم من مؤامرات كبرى، متخذين من شعرهم سلاحاً ووسيلة كفاحية، بهدف إيقاظ الجماهير وتثويرها وتحريضها للوقوف بوجه المؤامرة ومحاولة منع وقوعها .

وفي الأدب العربي الأوسع، تناول شعراء النهضة هذا الوعد بوصفه جرحاً قومياً، كما نجد في شعر أمير الشعراء أحمد شوقي الذي استنهض الهمّم ضد المشروع الاستعماري الصهيوني، وكذلك في أشعار بدوي الجبل وعمر أبو ريشة اللذين تميّز خطابهما ببعدٍ قومي مقاوم يربط الأرض بالكرامة العربية. واتسم الأدب فنياً في هذه المرحلة بالمباشرة السياسية، والنبرة الخطابية، والوعي التحذيري المبكر.

النكبة وتحوّل الأدب إلى سردية مقاومة

جاءت نكبة 1948 بوصفها التطبيق العملي للوعد، فانتقل الأدب من التحريض السياسي إلى بناء سردية الذاكرة والاقتلاع، هنا

اكتسبت فلسطين معنى الوجود والمصير، وأصبح الوعد واقعاً مدمّراً، وتحول الأدب إلى توثيق للتشريد وتأسيس لثقافة المقاومة. وكان هذا التجلي أوضح ما يكون في شعر المقاومة داخل فلسطين، ومثّله محمود درويش الذي ربط بين الوعد وبين تشظّي الهوية في شعره وخاصة في قصيدته: (سجل أنا عربي) التي تعدّ صرخة نموذجية للهوية المهددة. كما استخدم سميح القاسم الرمزية في شعره لتعزيز الصمود، وركّز على الأرض والمقاومة كقيم مركزية. وربط توفيق زياد بين الشعر والسياسة، مؤكداً أن الكلمة الشعرية يمكن أن تكون سلاحاً يعبّر عن الصمود والأمل في مواجهة الظلم، وتوريث الحكاية للأجيال.

أما في الرواية، فقد روى غسان كنفاني في «رجال في الشمس» و «عائد إلى حيفا» قصص اللاجئين وفقدانهم للأماكن والذكريات، وكشف أثر الوعد في تجسيد التهجير وفقدان المكان ومسخ الإنسان. وفي الوقت نفسه، استخدم إميل حبيبي السخرية السوداء في «المتشائل» ليضعنا أمام مفارقات الحياة تحت الاحتلال وتناقضات التهجير النفسي والاجتماعي.

هذه الأعمال وغيرها حوّلت وعد بلفور من حدث سياسي إلى بنية سردية تحكم المصير والذاكرة، واتسم الأدب فنياً فيها برمزية مكثفة، وتصوير المنفى والتهجير، وبناء وعي جماعي، وحضور الأرض بصفتها مفتاحاً للهوية وقضية للوجود.

أدب ما بعد 1967 – من الأرض إلى الوعي التاريخي

توسع الحضور الأدبي لوعد بلفور في مرحلة ما بعد نكسة حزيران/ يونيو، فارتبط بالهزيمة والانكشاف الإستراتيجي العربي، وأصبح متصلاً بالعجز الرسمي العربي وهزيمة المشروع القومي، واستجاب الأدب لهذه المرحلة من خلال توسيع الأفق الرمزي للقضية الفلسطينية.

فاستخدم نزار قباني نصوصه لانتقاد الواقع العربي وربط الهزيمة بفقدان فلسطين، وهو ما عبّر عنه في أشعاره السياسية التي ربطت ضياع فلسطين بالعجز الرسمي، وانتقد الواقع العربي وربط الهزيمة البنيوية بضياع فلسطين من زاوية نقد الواقع العربي والهزيمة السياسية، مستخدماً الشعر كصوت إحتجاج ومساءلة. بينما حول أدونيس القضية إلى سؤال فلسفي وجودي حضاري عن الحرية والهوية، موفراً للشعر إطاراً للتفكير في القضايا الوجودية للإنسان العربي، كما وظّف سليم بركات الرمزية والأسطورة لتصوير تجربة المنفى والاغتراب العميق، مؤكداً على أن الوطن حاضر في الوعي حتى وإن غاب المكان.

والملاحظ في هذه المرحلة أن الكتابة لم تعد مجرد توثيق للماضي، بل مراجعة نقدية لبنية السلطة العربية، وفشل المشروع القومي، وضرورة بناء وعي جديد بالمقاومة، واتسمت فنياً برمزية مكثّفة، ومساءلة للتاريخ، وبناء للبطل الجمعي.

التحوّلات المعاصرة – وعد بلفور بنية استعمار مستدام

مع اشتداد الاستيطان واتفاقيات التسوية، عاد الأدب لطرح الوعد بصفته أصلاً للمأساة المستمرة، فتحوّلت النصوص الحديثة إلى قراءة تفصيلية لآثار الاستيطان وتهويد المكان، وبرزت موضوعات من مثل: تفكيك السردية الاستعمارية، التشكيك في مصطلحات «السلام» و»الشرعية الدولية»، والتركيز على الأفراد المهمّشين، فأصبحنا نلمح الحضور القوي لصوت المرأة والطفل واللاجئ والأسير، كما استمر حضور وعد بلفور، وظهر بشكل واضح في الأدب الرقمي والكتابات حول الأسرى، وأصبحت الأعمال الأدبية تعيد التأكيد على حق الفلسطيني في الأرض والهوية والذاكرة، ما جعل الأدب وسيلة مقاومة حية، لا مجرد تسجيل تاريخي. ومن الاتجاهات المعاصرة نقرأ كتابات الأسرى بوصفها توثيقاً حياً للمعاناة والألم داخل المعتقلات، وأدب المخيم واللجوء العالمي التي تجعل الوعد حدثاً عابراً للقارات، والكتابة الرقمية والشعر التفاعلي في وسائل التواصل، حيث بات الوعد يُقدَّم اليوم بوصفه محرّك مأساة مستمرة أكثر منه ذكرى تاريخية. واتسم الأدب فنياً في هذه المرحلة بتفكيك الخطاب الاستعماري، وتوظيف السرديات المتقاطعة، وديجيتالية النص في كثير من الأحيان.

البعد الجمالي والفلسفي في تمثيل الوعد

شكّل الأدب مساحة جمالية وفلسفية أعاد تأويل الوعد جمالياً، فأسهم هذا البعد في نقل الوعد من وثيقة سياسية إلى تجربة إنسانية وجودية، فلم يكتفِ بالإدانة والاقتصار على سرد الأحداث السياسية المتعلقة بالوعد، من خلال جملة من الرموز العابرة للمحلية، فأصبحت الأرض المعادل للهوية والكرامة والحضور الدائم في النصوص، وتحولت الأماكن (القدس، حيفا، يافا...) من جغرافيا إلى روح ترمز إلى الهوية والقداسة، أما الزمن فأصبح دائرياً وأصبح الماضي حاضراً دائماً، فلا اكتمال دون استرجاعه. وكذلك الشخصيات التي صعدت إلى مرتبة البطل الجمعي الذي هو في أصله الإنسان العادي (محور المقاومة) الذي يحمل التاريخ والهوية والذاكرة لا أبطالاً أسطوريون، أما رموز المفتاح، شجر الزيتون، البحر، الحقيبة وسواها فتحولت كلها إلى شيفرات للحق المغصوب.

ونخلص إلى أنّ وعد بلفور مثّل الانطلاق الأولي لسردية المقاومة العربية، وتحوّل الأدب من الخطابية إلى بناء خطاب فني عميق يعيد تشكيل الوعي، ورسّخ الأدب الفلسطيني حقه في المكان عبر رموز وذاكرة جمعية، وشكّل الأدب العربي حاضنة للهوية الفلسطينية ضمن الفضاء القومي الأوسع، فأثبت الأدب قدرته على مواجهة السردية الاستعمارية وتحدّي محاولات طمس الحقيقة. لقد أصبح وعد بلفور في الأدب الفلسطيني والعربي حدثاً مؤسساً للوعي السياسي، ومأساة إنسانية ممتدّة، أسس على أرض فلسطين مكاناً، في ظل غفلة العرب وضعف حكامهم، وتآمر بريطانيا والمستعمرين في حينها على الأمة العربية والإسلامية، وعلى الشعب الفلسطيني، ولا يمكن إبطال مفاعيل هذا الوعد سوى بالتمسك بالحلم الفلسطيني، وحماية المشروع الوطني التحرري، والتمسك أكثر بثقافة المقاومة، لقد أثمر هذا الأدب سرديةً مقابلة للسردية الاستعمارية الصهيونية، فكان منبعاً للهوية المقاومة، ترفض النسيان وتؤكد أن التاريخ لم يُختَتم بعد. وأنّ الأدب لم يكن شاهداً صامتاً، بل فاعلاً في تشكيل وعي الأمة، وسيظل صوته يقول إنّ الحق لا يُبلى، وإنّ الكلمة مقاومة قبل السلاح وبعده، وسيظل الأدب شاهداً ومقاوماً، يكتب ما تحاول الصهيونية محوه.

ما وراء الحكاية: الذاكرة الثقافية في مواجهة النسيان

تماضر سعيد عودة - صحفية فلسطينية

ثمة ما يتجاوز الحكاية في ظاهرها، ما يتخطى الكلمات التي تروى، ويقيم في عمق التجربة الإنسانية: إنه فعل الذاكرة الثقافية، تلك المساحة التي تحفظ للأمم معنى وجودها، وتواجه بها جحيم النسيان. فكل جيل يظن أنه يبدأ من الصفر، غير أن خيوط التاريخ، مثل نسيج خفي، تحكم التفاصيل الصغيرة في حياتنا: في لهجاتنا، أغانينا، أمثالنا الشعبية، وحتى في طريقة جلوسنا حول مائدة الطعام.

الحكاية ليست مجرد سرد للتسلية، بل هي مفتاح إلى هوية أوسع. حين تروي الجدة لأحفادها أسطورة القرية، أو حين يتردد بيت شعر في الأعراس، فإننا لا نعيد إنتاج الماضي، بل نرسخ قدرة الذاكرة على مواجهة المحو، على التصدي لسطوة حاضر سريع الزوال. ولذا، فإن الحكاية بما تحمله من رموز، تتحول إلى ما يشبه «الأرشيف العاطفي» للجماعة، حيث تختلط الحقيقة بالخيال، والتاريخ بالأسطورة، لكنها تبقى أكثر صدقا من الوثائق الجامدة.

الأدب: الحكاية كخزان للهوية

في الأدب العربي، تتجلى الحكاية بوصفها مرآة للذاكرة الجمعية. روايات غسان كنفاني مثل رجال في الشمس أو عائد إلى حيفا، ليست مجرد قصص فلسطينية، بل استدعاء لذاكرة شعب يحارب النسيان القسري. كل شخصية فيها تمثل شريحة من المنفى والاقتلاع، لكنها تترك أثرا عاطفيا لا تمحوه السنين.

وبالمثل، حمل نجيب محفوظ في الثلاثية ذاكرة أحياء القاهرة، حيث تحولت التفاصيل اليومية إلى أرشيف تاريخي نابض. لم يكن يكتب عن أسر محدودة بقدر ما كان يرسم خريطة وجدانية لمدينة بأكملها، تحفظها الأجيال المقبلة كما لو كانت صورة متحركة من الماضي.

السينما: الصورة في مواجهة المحو

السينما العربية أيضا احتضنت الذاكرة كفعل مقاومة. في فيلم المومياء (1969) لشادي عبد السلام، الحكاية ليست عن لصوص المقابر فحسب، بل عن سؤال الذاكرة الثقافية: لمن تنتمي الآثار؟ وكيف يمكن للشعب أن يحفظ تراثه من الضياع؟ إن الفيلم، بمشاهده المتأملة، هو تذكير بأن النسيان لا يهدد الأفراد وحدهم بل هوية الأمة جمعاء.

وفي زمن أقرب، جاءت أفلام مثل الجنة الآن لهاني أبو أسعد أو باب الشمس ليسري نصر الله، لتعيد الحكاية الفلسطينية إلى الشاشة بوصفها وثيقة وجدانية تقاوم النسيان السياسي، وتذكر العالم بأن الحكاية لا يمكن أن تمحى بالاحتلال أو التهجير.

الفن: الصورة واللحن كأرشيف شعوري

في الفن التشكيلي، نجد لوحات جواد سليم وإسماعيل شموط وقد تحولت إلى أرشيف بصري للشعوب. شموط مثلا، جسد في لوحاته معاناة اللاجئين الفلسطينيين، بحيث لا يمكن للذاكرة الجمعية أن تنسى الملامح التي رسمها.

أما في الغناء، فقد لعبت أصوات مثل فيروز وأم كلثوم ومارسيل خليفة دورا محوريا في صون الذاكرة. أغنية «رجعت الشتوية» لفيروز ليست مجرد لحن، بل استدعاء للذاكرة الحسية عن الشتاء في بيروت. وأغاني مارسيل خليفة، المستندة إلى قصائد محمود درويش، جعلت الشعر نفسه جسرا بين الفرد والجماعة، بين الحنين والمقاومة، بين الماضي والراهن.

المسرح: ذاكرة تعرض على الخشبة

المسرح العربي بدوره كان بيتا للذاكرة، ومنبرا لمساءلتها. أعمال توفيق الحكيم، مثل أهل الكهف، أعادت استدعاء الأساطير والتراث لتطرح أسئلة معاصرة عن الزمن والهوية. بينما جعل سعد الله ونوس من المسرح مساحة مواجهة حقيقية مع النسيان والخذلان، كما في مسرحيته حفلة سمر من أجل 5 حزيران، التي فتحت جرح الهزيمة العربية على الخشبة كي لا يطمر بالصمت.

المسرح هنا ليس مجرد عرض فني، بل فعل تذكير علني، يشرك الجمهور في استحضار أسئلة الماضي والحاضر معا، ويحول الحكاية إلى ممارسة جماعية تبقي الذاكرة حية.

بين الحكاية والواقع: الذاكرة كأداة مقاومة

غير أن استدعاء الذاكرة لا يعني الانغلاق على الماضي. هناك خيط رفيع بين أن نحفظ الحكاية، وأن نحاصر أنفسنا فيها. فالمجتمعات التي ترفض مساءلة ذاكرتها تقع في فخ التكرار؛ بينما تلك التي تستنطق الحكايات لتفهم ما وراءها، قادرة على تحويل الذاكرة إلى أداة إبداعية.

لهذا، فإن مواجهة النسيان لا تكون بالشعارات بل بالفعل: بكتابة الرواية، وصناعة الفيلم، ورسم اللوحة، وتقديم المسرحية، وترديد الأغنية. كل ذلك يشكل طبقات من الذاكرة الجمعية، التي تحرسنا من المحو، وتمنحنا القدرة على أن نبدأ من أرض صلبة لا من فراغ.

رؤية شخصية: ذاكرة أنثوية في مواجهة النسيان

أكتب هذه الكلمات وأنا أستحضر وجوه النساء اللواتي حملن الحكاية على أكتافهن دون أن يعلمن أنهن يحرسن الذاكرة. جدتي التي كانت تروي لنا في الليالي الطويلة حكايات عن زمن لم نعرفه، لم تكن مجرد راو للقصص، بل كانت مكتبة بشرية تحفظ ما لم يكتب في الكتب. وأمي، في أغانيها المتقطعة وهي تطهو، كانت تزرع فينا ذاكرة لحنية لا يمكن للضجيج أن يمحوها.

أشعر أنني، كأنثى، أملك جزءا من هذه المسؤولية: أن أحمل الحكاية لا كتراث ثقيل، بل كنبض يضيء الطريق. أن أفتح النوافذ لتمر الحكاية عبرها، فتتنفس مع الأجيال الجديدة، وتثبت أننا لا نحيا في عزلة عن جذورنا. فكل نص أكتبه، وكل أغنية أرددها، وكل ذكرى أستدعيها، هي محاولة صغيرة لمقاومة النسيان الذي يتربص بنا.

ما وراء الحكاية، بالنسبة لي، ليس مجرد وعي بالتراث، بل هو التزام وجداني: أن أظل وفية لتلك الأصوات التي سبقتني، وأن أترك أثرا يشهد بأننا كنا هنا، وأن ذاكرتنا، مهما طال الزمن، قادرة على أن تفتح عيونها من جديد.

قيس الزبيدي:

عراقي.. فلسطيني الهوى قدم 12 فيلماً عن فلسطين، ومنح الجنسية الفلسطينية

أمينة عباس- صحفية سورية

حصل قيس الزبيدي على دبلوم في المونتاج من معهد الفيلم العالي في بابلسبرغ بألمانيا عام 1964 ودبلوم في التصوير عام 1969 وعمل في استوديو ديفا للأفلام التسجيلية وفي المعهد العالي للسينما في ألمانيا في المونتاج والتصوير والإخراج، وكان الطالب الوحيد من قسم التصوير الذي منحته الكلية فرصة إخراج فيلم التخرج التسجيلي، بالإضافة إلى تصويره ومونتاجه وكتابة السيناريو له والذي حقق نجاحاً كبيراً حين عرضه في مهرجان لايبزغ السينمائي، وأثناء سنوات دراسة التصوير كان يعمل كمونتير لأفلام دبلوم الطلبة الأجانب في المعهد وفق عقود نظامية، وكان قبل فيلم شهادة الدبلوم الذي أخرجه قد أخرج أفلاماً قصيرة عديدة خلال دراسة المونتاج والتصوير وعمل في المونتاج في فيلم «إلى الأمام أيها الزمن» مع المخرج كارل غاس وهو مخرج أفلام تسجيلية مهم جداً أنهاها بفيلم الدبلوم «في سنوات طيران النورس» وكمصور كانت حصيلة الأفلام التي صوّرها وقام بمونتاجها عموماً تزيد عن عشرين فيلماً إضافة إلى دراستين، الأولى نظرية حول طرق المونتاج في فيلم «طفولة إيفان» لتاركوفسكي والثانية و«ظيفة الخدعة السينمائية في اللغة السينمائية».

من الصعب تلخيص مسيرة المخرج السينمائي قيس الزبيدي في عالم السينما وهي واحدة من تجارب السينما العربية تمتد منذ نهاية ستينيات القرن الماضي، والمتميزة بتنوع مساراتها ما بين التصوير والمونتاج وكتابة السيناريو والإخراج، وكان من القلائل الذين يجيدون الكتابة النظرية والتطبيقية، ومقالاته وكتبه عن الدراما والمسرح والسينما، سواء المؤلفة أو المترجمة عن الألمانية مراجع مهمة في الثقافة السينمائية العربية، رحل العام الماضي ليكون أحد أبرز الرواد في السينما الوثائقية العربية تاركاً إرثاً فنياً وثقافياً غنياً من خلال أعماله التي جمعت بين الإبداع والالتزام بالقضايا السياسية والاجتماعية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

عراقي... فلسطين الهوى

كان قيس الزبيدي خارج التصنيف الجغرافي كعراقي تناول في أفلامه قضية العرب الأولى فلسطين وكثيرون كانوا يعتقدون أن الزبيدي فلسطيني وهو الذي انغمس بهموم الشعب الفلسطيني سينمائياً، فأسس الأرشيف السينمائي الوطني الفلسطيني، واستطاع من خلال أفلامه التسجيلية حسب النقاد تقديم شكل مختلف للفيلم التسجيلي الفلسطيني وقد أخرجه من التراجيديا المقيد بها، كاسراً رتابة الفيلم الوثائقي بإغناء المادة الوثائقية وتنوع الرؤى والمواضيع، وكان الزبيدي مؤمناً بأن الفرصة الذهبية للقضية الفلسطينية كانت وما تزال في الفيلم الوثائقي لا الروائي:» ذلك أن الفيلم الروائي حتى في حالاته الجيدة يبقى أسير تقاليد درامية يمكن أن لا تكون كافية لطرح القضية بالمستوى المطلوب، لتبقى المفارقة الأكثر غرابة هي أن الأفلام المتضامنة من الغرب مع القضية الفلسطينية كانت أكثر عمقاً في مساندتها».

وطن الأسلاك الشائكة

كثيرة هي الأفلام التي أخرجها وتناول فيها الواقع الفلسطيني ومن أهمها «حصار مضاد» الذي أخرجه عام 1978 عن معاناة من بقي من الفلسطينيين في الأرض المحتلة والممارسات الفاشية التي يقوم بها جنود الاحتلال الإسرائيلي و»وطن الأسلاك الشائكة» إنتاج عام 1980 و»مواجهة» إنتاج 1983 و»ملف مجزرة» إنتاج 1984 و»فلسطين.. سجل شعب» إنتاج 1985 الذي قدم فيه قراءة للواقع الفلسطيني من أوائل القرن العشرين حتى سبعينياته، معتمداً على وثائق بصرية نادرة مع قراءة تاريخية بصوت الشاعر الفلسطيني خالد أبو خالد، فيما كتب له التعليق والمقدمة المؤرخ الفلسطيني إميل توما، وكان فيلم «واهب الحرية» الصادر عام 1986الذي وثق فيه الزبيدي للعمليات التي قامت بها المقاومة الفلسطينية واللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي انطلاقاً من جنوب لبنان آخر أعماله على هذا الصعيد بعد أن قدم عن فلسطين 12 فيلماً وقد منح الجنسية الفلسطينية عام 2015.

السينما التسجيلية

وعن أهمية السينما التسجيلية كان قيس الزبيدي يقول: «كانت السينما بالنسبة لنا هي السينما الروائية، واكتشفتُ أهمية السينما التسجيلية خلال فترة الدراسة، وكنتُ متابعاً لها في مهرجان لايبزغ الذي هو أهم مهرجان للفيلم التسجيلي في العالم، وفيه تعرفتُ إلى السينما التسجيلية العالمية وعلى أبرز مخرجيها وتياراتها النثرية والشعرية، ولا أنسى مشاركتي وتجربتي لسنوات طويلة في مهرجان أوبرهاوزن المهم أثناء عملي في سورية، وبهذا تأهلتُ حِرفيا وفنياً ونظرياً في إخراج وكتابة سيناريو ومونتاج الأفلام أثناء مسيرتي السينمائية».

غرنيكا فلسطين

كان عالمُ الفن التشكيلي يأسر قيس الزبيدي منذ أن كان طالباً في المعهد السينمائي، فصنع فيلماً بعنوان «نزهة» عالج فيه لوحة غرنيكا لبيكاسو، ثم فيلم «الزيارة» الروائي التجريبي القصير الذي طلب فيه من الرسام نذير نبعة أن يرسم لوحة عن فلسطين شبيهة بلوحة غرنيكا كي يعالجها، وفي فيلم «شهادة الأطفال الفلسطينيين في زمن الحرب» عالج رسوم الأطفال الفلسطينيين التي رسموها في أحد المخيمات، ثم أخرج في المؤسسة العامة للسينما فيلم «زائد ألوان» وهو عن لوحات ثمانية رسامين بارزين في سورية من أجيال مختلفة.. وفي برلين كان قد أخرج فيلم «كابوس» عن رسوم كولاج لناقد ألماني معروف، وكانت هذه فرصة ليصنع فيلماً عن الرسام العراقي جبر علوان الذي كان يعيش بين إيطاليا وسورية وحمل عنوان «ألوان» ويُعتبر فيلمه الوحيد الذي له علاقة بالعراق، مؤكداً الزبيدي أنه ليس فيلم بورتريه عن علوان إنما بحث في جذور اللون الذي يستخدمه أهو من دمشق المدينة الشرقية التي يقيم فيها بعض الوقت أم من روما المدينة الغربية التي يقيم فيها البعض الآخر من الوقت أم من الذاكرة من بلده الأم العراق؟ ويقول: «إضافة إلى أنني استخدمتُ مقطعاً من مسرحية جواد الأسدي التي قدمها في سورية «حمّام بغدادي» التي رسم جبر لها لوحة الخلفية، وهنا استرجعتُ اللوحات التي رسمها عن العراق والتي تختلف تماماً عن اللوحات التي يعرضها في الوقت الحاضر، وفي هذا الفيلم اقترب لأول مرة من الموضوع العراقي لكن بشكل تجريبي».

رجال تحت الشمس

عاش الزبيدي في لبنان وألمانيا وسورية التي قضى فيها سنوات عديدة برز خلالها في أوائل السبعينيات كأحد أبرز الأسماء في الساحة السينمائية كاتباً ومخرجاً ومونتيراً لعدد من أفلام السينمائيين الشباب السوريين، وقد شارك في المهرجان الأول للسينمائيين العرب الشباب الذي أقيم عام 1972 في دمشق وهو من الذين عملوا على تأسيس سينما جديدة بديلة تأخذ في الاعتبار الواقع السياسي والاجتماعي للمجتمعات التي تتحدث عنها وتكون شاهداً عليها، وقد أنجز منها عدة أفلام، منها فيلمه الروائي الطويل «اليازرلي» عام 1974 عن قصة قصيرة لحنا مينة، وقد كتب عنه الناقد البولوني ليسلاف باير في مجلة «فيلم» في تشرين الثاني 1974: «من الأكيد أن فيلم الزبيدي هو تجربة شيقة وجديدة في عالم السينما العربية.. عاش قيس الزبيدي في ألمانيا، وبعدئذ في سورية سنوات أكثر مما قضاها في وطنه، وكان يقول: «ما يربطني بسورية أكثر مما يربطني بأي بلد آخر، فأنا اخترتُها» وكانت الأفلام التي قام قيس الزبيدي بإخراجها أو كتابة السيناريو والمونتاج لها في سورية وخارجها عديدة وقد تنوعت ما بين التسجيلية والروائية والروائية القصيرة، منها: ثلاثية «رجال تحت الشمس» لمحمد شاهين و»إكليل الشوك» للمخرج نبيل المالح، و»بيروت يا بيروت» لمارون بغدادي و»يوم الأرض» لغالب شعث و»عائد إلى حيفا» لقاسم حول و»الليل» لمحمد ملص وحصل معظمها على جوائز في عدة مهرجانات عربية ودولية.

كتابه «فلسطين في السينما»

ألّف الزبيدي عدداً من الكتب أهمها: «فلسطين في السينما» الصادر عام 2006 وهو عمل مرجعي يوثّق التجارب السينمائية التي تناولت القضية في مختلف مراحل الصراع، وقد جمع فيه الأفلام الفلسطينية التي تحدثت عن فلسطين خلال تسعين عاماً تبدأ مع وعد بلفور وتنتهي عام 2005 وتحدث الكتاب عن 800 فيلم وفيه يقدم الزبيدي تحليلاً نقدياً عميقاً لكيفية تصوير وتفسير الهوية والتاريخ والنضال الفلسطيني في السينما الفلسطينية، عبر مجموعة كبيرة من الأفلام الروائية والتسجيلية، الطويلة والقصيرة، التي تناولت الأحداث المفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني. تغطي هذه الأفلام الفترة الممتدة من عام 1911 زمن الحكم العثماني، مرورًا بعهد الانتداب البريطاني والنكبة والتشريد ووعد بلفور الذي بموجبه تم إعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948، وصولًا إلى ما تعرض له الفلسطينيون في الشتات حتى عام 2005، ويشير الكتاب إلى أن جزءًا مهمًا من الأرشيف السينمائي الفلسطيني تعرض للتلف والمصادرة خلال الغزو الإسرائيلي للبنان، في محاولة لطمس الذاكرة الفلسطينية بعد مصادرة الأرض، لذلك يشكل هذا العمل جهدًا لحفظ ذاكرة السينما الفلسطينية، إذ يتضمن معلومات دقيقة عن مئات الأشرطة وآلاف الأسماء التي ساهمت في كتابة القصص والسيناريوهات والحوار، فضلًا عن التصوير والإخراج والإنتاج. وقد شارك في هذه الأفلام 246 مساهماً عربيًا من دول مختلفة، بينهم فلسطينيون من داخل فلسطين التاريخية ومن الشتات، إضافة إلى 204 فنانين وتقنيين أجانب من دول متعددة. كما أُرفق الكتاب بقرص DVD يحتوي على ستة أفلام قصيرة تمثل نماذج متنوعة من الإنتاج السينمائي الفلسطيني، خصوصًا في مراحله الأولى.

صدر حديثا عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية كتاب «فلسطين في السينما (2): ذاكرة وهوية»، تأليف قيس الزبيدي، وتقديم فيصل دراج. يعلن الكتاب الجديد الذي اجتهد الزبيدي في توثيقه «كونية المسألة الفلسطينية اليوم»، واندفاع جيل فلسطيني جديد إلى الأفلام التسجيلية، القصيرة في الغالب، وشبه الطويلة في أحيان أخرى، تتراوح بين دقائق معدودة وما يقترب من الساعة، أو يتجاوزها، وأفلام طويلة متعددة الجهود. وتظهر «كونية المسألة» في أعمال مخرجين سينمائيين متعددي الجنسيات: إيطاليا، ألمانيا، لبنان، العراق، إسرائيل، فرنسا، الدنمارك، سويسرا، فلسطين، بولونيا، الولايات المتحدة، إسبانيا، النرويج.... وفلسطين المنسوبة إلى مدنها الشهيرة (نابلس، رام الله، غزة)، وكذلك «القدس بالألوان» إنْ كانت الحياة اليومية مستودعا للأشكال الفنية، فإن حياة الفلسطينيين مستودع لأشكال القهر والتحدي والعذاب والتصدي، كما لو كان لهم نمط آخر من الحياة، تلتقطه الكاميرا قبل أن يستقر في قصيدة، ويقصده السينمائي قبل أن يتعامل معه الروائي والمؤرخ وكاتب القصة القصيرة. لكأن في هواجس الفنان قيس وهو يلاحق «موسوعة الأسى الفلسطيني» ما يقول: ما هي حياة الفلسطينيين المحاصرين داخل وطنهم وخارجه؟ وما معنى الفن إن لم يكن سلاحا من أجل الحقيقة؟ وما الذي يستطيع أن يقدّمه الفن السينمائي لشعب حُرم الاستقرار والأحلام الطويلة؟

يقع الكتاب في 264 صفحة، وثمنه 14 دولارا أمريكيا أو ما يعادلها.

السينما الفلسطينية في عصر طوفان الأقصى

سينما فلسطينية تنهض من تحت الركام في ظل الحرب والحصار

موسى سعيد مراغة - إعلامي وصحفي فلسطيني - سورية

عاش قطاع غزة على مدى سنتين حرب إبادة ضروس طالت البشر والحجر، فبعد العملية الجريئة والمباغتة التي قامت بها المقاومة الفلسطينية صبيحة السابع من تشرين الأول من العام 2023 حيث تم اختراق كل الحواجز الأمنية والدشم والتجهيزات العسكرية والمراقبة الإلكترونية واستطاع رجال المقاومة مباغتة الجنود الصهاينة في مخادعهم، بعد أن تم قتل وجرح وأسر العديد منهم. وحققت المقاومة في ذلك الصباح انتصاراً مدوياً ...وامتدت المقاومة وعلى مدى سنتين كاملتين أبدى فيها الشعب الفلسطيني صموداً ومقاومة عز مثيلهما رغم الحصار والجوع والقتل والتدمير ومئات الشهداء وآلاف الجرحى.

ومع هذه الظروف الصعبة التي عاشها الغزاويون طوال العامين الماضيين، انبرت ثلة من الشباب المقاوم، حيث كان سلاحهم الكاميرا والصورة لنقل الواقع المعاش وفضح الجرائم الصهيونية حيث تتلاقى دراما الحرب مع الأمل في البقاء والصمود. ومن خلال الأفلام السينمائية التي صنعت تحت الحصار وفي ظل القصف العنيف وحرب الإبادة، وفي ظل الجوع والمرض ونقص الغذاء والدواء. كانت السينما الفلسطينية حاضرة كمرآة تعكس واقع النضال والوجع، وتحكي قصة شعب يعاني القهر والظلم تحت وطأة الاحتلال الصهيوني وجرائمه التي أودت بالآلاف من الشهداء والجرحى والمفقودين.

وقد واكبت السينما الفلسطينية مختلف التحولات التي عاشها المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة، فكانت شاهدة على ويلات الحرب ومعاناة الإنسان الفلسطيني في مواجهة القتل والقهر والتهجير، ومأساة اللاجئين. وصورت أيضاً لحظات العودة بعد وقف إطلاق النار الذي تم في بداية شهر أكتوبر تشرين الأول من هذا العام، مسلطة الضوء على الألم والأمل في آن واحد.

وفي استعراض لأهم الأفلام السينمائية التي صنعت تحت الحصار وفي ظل ظروف صعبة قاسية نشير إلى المشروع السينمائي الذي أطلقه وأشرف عليه المخرج الفلسطيني رشيد مشهراوي والذي له باع كبير في الإخراج من خلال عدة أفلام روائية صنعها في مسيرته السينمائية..

وقد سعى مشهراوي إلى ترسيخ ثقافة الفن والسينما كوسيلة للمقاومة الانسانية. وتوثيق الواقع الفلسطيني بعدسة أبناءه، مؤمنا بأن الصورة قادرة على أن تروي ما تعجز عنه الكلمات، وأن السينما يمكن أن تكون نافذة للحياة حتى في أحلك الظروف.

وقد أطلق المخرج مشهراوي على مشروعه (من المسافة صفر) حيث تم إنتاج إثنين وعشرين فيلماً قصيراً ما بين الروائي والوثائقي والرسوم المتحركة. وقدم إثنان وعشرون فناناً وفنانة من قطاع غزة أفلامهم التي صنعوها في ظل الحصار والقصف والجوع والعطش، يحيط بهم الموت من كل جانب خلال حرب الإبادة

التي شنها العدو الصهيوني على مدى العامين..

جميع الأفلام تمت كتابتها وإخراجها وتصويرها في أجواء وتحديات لوجستية نجح الكثيرون في التغلب عليها. وعاش صناع تلك الأفلام ويلات الحرب وكانوا قاب قوسين من الموت.

وبعضهم فقد أقاربه أثناء التصوير وأثناء الكتابة والتحضير مما أبعد بعضهم لفترات عن إكمال مشروعه الفني...

وفي نظرة سريعة إلى بعض تلك الأفلام، نتوقف عند فيلم (لا) الوثائقي القصير للمخرجة (هناء عليوة). حيث تبدأ عليوة في الفيلم بحكاية قصتها خلال رحلة البحث عن موضوع الفيلم الذي تريد إنتاجه، على أن يكون الفرح والأمل محورين أساسيين له، وحيث تسير المخرجة والمصور عبر أنقاض غزة في محاولة للعثور على لحظة مبهجة لالتقاطها. وفي نهاية المطاف، وجدت مجموعة من الأطفال يغنون وسط الدمار في إشارة على استمرار الحياة رغم هذا الخراب.

وفي فيلمه (عذراً سينما) لأحمد حسونة، يتحدث صاحب الفيلم عن تأثير الحرب المتواصلة عليه وعلى أحلامه التي تهشمت تحت الركام وواقعه المعاش الذي حوله من مخرج سينمائي إلى باحث عن مكان آمن غير متوفر، وبحثه الدائم عما يقتات به وأسرته ويروي عطشهم، كما هو فريق فيلمه، وكل الغزيين في خضم حرب الإبادة التي عاشتها غزة.

ويروي الفنان التشكيلي (باسل المقدسي) في فيلم (شظايا) الذي أخرجه بنفسه، يومياته في الحرب وتوثيقها بالرسم.

أما المخرجة (آلاء أيوب) قدمت في فيلمها (مثقلة) شخصية (رقية) في رواية (الطنطورية) للكاتبة المصرية الراحلة (رضوى عاشور)، وعلاقتها بمكتبتها التي اضطرت لتركها لقنابل طائرات الاحتلال، في مقاربة ذكية لما يحدث من نكبة جديدة في غزة الآن، وما كان من نكبة فلسطين 1948.

بينما تمحور فيلم (خارج الإطار) لنداء أبو حسنة حول ما تبقى من شظايا أعمال الفنانة البصرية رنين زريعي، فيما كان مرسماً قبل الحرب.

ويجب الإشارة إلى ثمة أفلام في إطار مشروع رشيد مشهراوي مع فنانين وفنانات غزة سواء لجهة الفكرة والمضمون أو الإخراج والرؤية السينمائية أو كليهما. ومن أبرزها فيلم (التعويذة) لبشار البلبيسي، مقدماً مشهديه آسرة وقادرة على انتزاع الاعجاب والدهشة بمفهومها الإيجابي وذلك بالاتكاء على ذاكرة طفلة، وذلك المزج ما بين واقع تهرب فيه إلى البحر إلى حيث ذاكرتها والمركز الثقافي حيث كانت تتدرب على الدبكة، وباتت تجيدها، مسترجعة وجوه ورقصات المبدعين والمبدعات من مدربيها ورفاقها في أمكنة باتت أثراً بعد عين، وشخوص لا تعرف عنهم شيئاً.

أما الفيلم الوثائقي (السبع موجات) للمخرجة أسماء بسيسو، فإنه يسلط الضوء على جوانب من واقع غزة قبيل الحرب عبر شخصيتي بيسان ومحمد وهما ورثة أسرة عاشقة للبحر، تتوارث الشغف بكل ما يحمله من ألم وأمل وصراع مع الحياة والمجهول، وقبل كل شيء مع الاحتلال الذي يحرمهم حتى المغامرة في أمواج بحرهم بحر غزة.

ويحيلنا فيلم (السبع موجات) لفيلم (نادي غزة لركوب الأمواج) والذي عالج حكايات قريبة من تلك التي يطرحها فيلم بسيسو مع فارق كبير لجهة الإخراج والصورة والنص والسيناريو المكتوب.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الفيلم الروائي (الناجي الوحيد) ومدته 45 دقيقة سيناريو وإخراج سعود مهنا. حيث ينطلق الفيلم لتصوير الواقع بدقة من خلال قصص حقيقية وتقديم شهادات حية عما يتعرض له الفلسطينيون وبالأخص في قطاع غزة من قتل وتدمير وإبادة ، ويروي الفيلم الوجع الفلسطيني مسلطاً الضوء على واقع الحرب والعدوان ومشاهد النزوح، كما يلفت الفيلم إلى حياة الخيام وانتشار الأمراض جراء نقص الدواء والعناية الطبية، إلى جانب نقص الأغذية وانعدام الكهرباء والغاز والماء.

وفي هذا المقام نختم بالفيلم الذي أحدث ضجة عالمية بعد عرضه بالشهر الماضي في مهرجان فينيسيا السينمائي وغيره من المهرجانات العالمية، وحظي باستقبال جماهيري واسع غير مسبوق. إنه فيلم (صوت هند رجب) للمخرجة التونسية كوثر بن هنية. ويحكي الفيلم الوثائقي قصة الطفلة هند رجب ذات الأعوام الخمسة، والتي استشهدت في كانون الثاني 2024 بعد أن علقت داخل سيارة اسعاف مع عائلتها التي تعرضت لإطلاق نار كثيف من جنود العدو، الذين حاصروا سيارة الإسعاف. وظلت الطفلة هند على تواصل عبر الهاتف مع فرق الإسعاف والدفاع المدني الفلسطيني لأكثر من 3 ساعات تستغيث وتصف ما حولها، قبل أن ينقطع الاتصال معها، ليعثر عليها فيما بعد جثة هامدة إلى جانب أفراد أسرتها وقد مزقت رصاصات جنود الاحتلال جسدها الصغير.

وقد شكل الفيلم وثيقة بصرية هامة، خاصة في دول أوروبا والغرب عامة ليكون شاهداً على همجية العدو الصهيوني وجرائمه بحق الإنسانية وضد الشعب الفلسطيني خاصة.

وبعد... من كل ما تقدم يتضح لنا أهمية السينما في تصوير الواقع وكشف جرائم العدو التي ارتكبها منذ نشأة هذا الكيان الغاصب وحتى يومنا هذا، والتي ما زال يمارسها ضد أبناء الشعب الفلسطيني الذي يعاني الظلم والقهر والتجويع والتشرد جراء سياسات البطش والإرهاب الصهيوني.

ولكن صناع أفلام السينما تحت الحصار في غزة لسان حالهم يقول: نحن صانعو أفلام نقدم أفلامنا هذه من غزة التي تعيش الموت في اليوم ألف مرة، نريد أن يصل صوتنا، وصوت من صنعنا أفلامنا عنهم أو لأجلهم، وأن نجد من يسمعنا. ببساطة لأننا بشر ولأننا موجودون، ولأننا نستحق الحياة، ولأننا جديرون بها.

مضافة أبو خليل

د. محمد أبو ناموس

فاجأني مدير تحرير مجلة الهدف الأستاذ محمد ابو شريفة بطلب أن أعود لكتابة العمود الساخر الذي كنت أكتبه.. فقلت له: يا أستاذ هل عندك الاستعداد لحماية ورعاية هذا العمود؟

فأجاب بالطبع بكل تأكيد ولكن.. قاطعته وقلت له أخفتني بكلمة لكن وماذا تخفي وراءها.. فضحك وقال على رسلك يا رجل لا تخشَ شيئاً لكن.. فعاودت مقاطعته: أرجوك كف عن ترديد كلمة لكن وهل هناك شروط على هذا العمود.. قال بهدوئه المعتاد وابتسامته الهادئة التي تخفي وراءها ما تخفيه من الجدية والحذر واستدرك: اكتب من دون تحريض لأحد أو الإساءة أو إلحاق الأذى لكائن ما كان.

ترددت كثيراً قبل أن أستجيب لرغبته وقلت له: أريد أن أضع عنواناً جديداً ربما يكون مشروعاً أنوي وأخطط لإصداره..

فقال ماذا تريد أن يكون العنوان؟ قلت بسرعة مضافة أبو خليل. ضحك وقال يبدو أنك ستكتب ما يقض مضجع الكثيرين من ولاد الحلال. الله يجيب عواقبها سليمة يبدو أنني تورطت معك..

ابتسمت وقلت لا أدري الأيام حبلى وفي حالة المخاض ولا أدري ماذا سيكون مصير المولود، ولكن أدعو الله أن يبشر بعصر جديد يقطع مع الماضي السحيق.

جاء يركض مسرعاً وهو يلهث والزبد يتطاير من فمه حتى جف لسانه ولم يعد يستطيع الكلام، شاهده أولاد الحارة وسمعوا ما يقوله وهو يصرخ ويكاد يسمع داخل على الله وعليك يا شيخ يا كبيرنا، تراكض الأولاد وأخبر الشيخ الجالس على كرسيه في المضافة بذلك فخرج يشاهد ويسمع ما قاله الصغار.

وما إن وصل باب المضافة حتى وقع أرضاً مضرجاً بدمائه وكان يهدد ويتوعد على الشيخ أبو صابر وأردف يقول:

أبو صابر :وصلت يا عويد... أنت في أمان. ونادى على الصبي جخيدم العامل في المضافة وأمره أن يأخذ بيد عودة.

جخيدم: أمرك يا عم الشيخ... ولكن عودة يتفوه بكلمات لم أفهمها ويقول ويحلف والله لأخلي الله ما خلقه الأيام بيننا يا جابر.

جابر جاء يركض ويريد الانقضاض على عودة، وعندما شاهده عودة صرخ يا عم أبو صابر هاي هو لاحقني وداخل على الله وعليك.

أبو صابر صرخ واستهل عصاه وصاح: قف عند حدك يا جابر فلا تتقدم خطوة واحدة.

جابر: تأمر لكن لمك تدفع ثمن هذا الكلام وهذا التهديد.

أبو صابر: كما تريد، أنت تفصل ونحن بنلبس. لكن بلا فضايح أريد أن أبقى مرفوع الرأس أمام جماعتي.

جابر: تكرم عينك، لنا خلوة خلال هذا الأسبوع نتفاهم على كل شيء.

أبو سويلم: تدخل وقال حسماً للقيل والقال، يا جماعة هذا اللي بتقولوا عنه واشي ولد عمكم والضفر ما بيطلع من اللحم وبدنا نتسامح معه ونطول بالنا عليه فهو زعلان ومعصب فالصبر خير وبكفي زعبرة، وعويد ورسله لازم يشوفوا العين الحمراء، لأنهم زعران وما بيخلوا المركب ساير بسلام ومالنا بركة غير الشيخ أبو عرب.

الراحل زياد أبو خوله شاعراً وصحفياً

بسام سفر - صحفي وكاتب من سورية

تعرفت إلى صديقي الشاعر والفنان التشكيلي الراحل زياد أحمد أبو خولة في مكاتب فصائل المقاومة الفلسطينية في مخيم جرمانا ذي الأزقة الضيقة التي لا تتسع لشخصين يسيرا معاً خارج الشوارع الرئيسية، وكان يحلو لنا أصدقائه شرب الشاي المخمر أمام بيت العائلة، وغرفته المنفردة خارج البيت، بينما لوحاته المرسومة بالحبر الصيني معلق بعضها إلى جانب نافذة الغرفة.

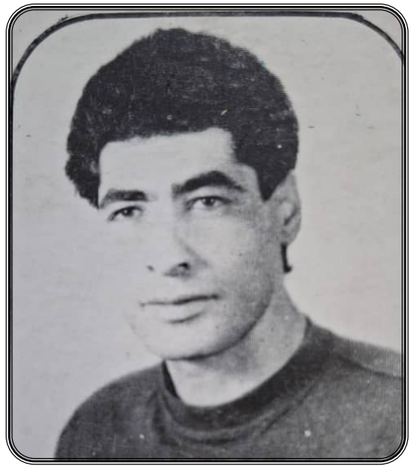

ألتهم أوستراد المتحلق الجنوبي بيت العائلة، لكن زياد بقي في غرفته يقارع خط الترانزيت، وأعمال الترصيف والتزبيط من حوله، لأن غرفته جاءت في حديقة الدوار على طريق المطار لتغيير خط الأوستراد من الاتجاه نحو باب شرقي والمدينة القديمة، إلى خط كفرسوسة، والمزة، وداريا، فلم يكن أحداً مستعجلاً على هدمها، لأن العمل على الشكل الجمالي لمحيط الأوستراد لم يكن جزءاً من عمل مؤسسة الطرق، لذلك بقي صديقي في غرفته بعد رحيل أهله إلى الحسينية، حتى جاءت زيارة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون لدمشق للقاء الرئيس حافظ الأسد في (1994/10/27)، وهو أول رئيس أمريكي يزور سوريا، حيث هدمت محافظة دمشق كل البيوت والغرف المتبقية في محيط المتحلق، وزرعت مكانها أشجار الصفصاف والنخيل الباسق، والورد الجوري، وكأنه موجود منذ زمن طويل.

زياد شاعراً:

لدى زياد أبو خولة مجموعتان شعريتان، الأولى «حوارات مع امرأة من تين» صادرة في العام 1995 عن دار شراع للدراسات والنشر، والثانية «لا فرق كلها مقبرة» صادرة عن شركة دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر في العام 1998، محورهما الأساسي هو المرأة التي احتلت جزءاً كبيراً من حياة الشاعر الراحل، إذ يقول في القصيدة التي حملت عنوان المجموعة الأولى: «هامستك، همس العصافير الصغيرة، قتلتني يا امرأة، تمردت شفتاك، لا يا حبيبي، يا سيف حبي، أنا القتيلة».

تستنهض القصيدة حالة العشق، وتشربه حتى الثمالة في ذاتية خاصة دون فجاجة، مجسدة الوعي العميق والباطن لانتزاع الإبداع من التسليع الحياتي الذي يعيشه الإنسان الفلسطيني في الشتات عبر الهموم المعيشية المقولبة ما بين العائلة والأولاد والمدارس، وتأمين كل ما يحتاجه الإنسان، وما بين الورم النرجسي الذي يتوهم في برجه العاجي الذي يحيا به المثقف والشاعر، ليعالج ألمه الخاص ومكابدة الحب في واقع يطحن المشاعر ويبتعد بها، لكن القصيدة تعود إلى حالة العشق التي تنقل نبضها الكلمات: «امرأة من تين، ألقي بالتعب.. ثم خبئيني بحقل رمشك، في ظل الجفون، أنا طفلك المفقود».

إن مكابدة الشاعر يحاول الهروب منها بالاختفاء بين رموش وجفون المحبوبة التي تعتبر العاشق طفلها المدلل الذي لا تستطيع الوصول إليه.

ونجد في المجموعة الثانية قصيدة «كوني كما أنت.. ولكن لا تكوني حبيبتي»: «سلمت روحي لامرأة، أهدتني أغنية وناي، ضمتني للصدر المعبأ بالحنان، وأرضعتني حفنة الكلمات».

إن إعلان الحب للمحبوبة فتح بوابة الكلمات لها من خلال «أغنية وناي»، فالأغنية زاد وزاد المحب العاشق، الذي يجد ضم المحبوبة له مفتاحاً من مفاتيح الحياة الخارجية عن اليومي والاعتيادي، وتعيد العاشق إلى الحياة الحالمة بالحب الأسطوري من خلال الكلمات، وهذا ما يوضح مكانة الكلمة ودورها لدى شاعرنا الراحل زياد أبو خولة، لذا عمق ارتباطه بالكلمة من خلال الشعر والكلمة.

ولا تقف حدود اهتمام شاعرنا عند المرأة والحب والعشق، بل في المخيم والشتات الفلسطيني قائلاً: «المخيم ترمل، التحف غراباً، أسند على البكاء وجهه (و)الشوارع، ضاع رصيفها الآخذ بالانحسار، اليافطات شاحبة، بهت لون الخطوط البدائية على الحيطان، ضاعت نكهة العبارات، الإسفلت مثقوب بالحفر المتناسلة، الحصى تلم أشلاءها من جديد».

يؤنسن أبو خولة المخيم في أنه ترمل، ويصبغ عليه إنسانية في فعل الغطاء الذي يرتديه (غراباً)، ويقوم بفعل البكاء، ويعمق من وصفه، فالشوارع ورصيفها ضاقا وأصبح إنساناً مريض شاحب، بينما ألوان الكلمات والخطوط الموجودة على جدران المخيم تضاءلت ألوانها، وهذا جزء من شحوب وضعية المخيم في الحياة الفلسطينية، حتى الشعارات الثورية فقدت معانيها إذ ضاعت نكهتها في المخيم، والإسفلت تخرب كجزء من الواقع المعاش.

ويبث أبو خولة الأمل في «الحصى تلم أشلاءها من جديد»، فالأرض يشكل الفلسطيني جزءاً منها تلملم الحصى والإنسان.

ويهدي قصيدة «شظايا» إلى «المنسي في ذاكرة الكتابة الشهيد يحيى عياش»: «يا نورساً، لفظه البحر بعيداً، دوري طلقتان، وأراك مبتلاً بضوء الشمس، تسقط مطراً، فوق كف البيلسان، طلقة، في الظهر، دوري، طلقتان، ينام فوق الأرض عشب، لكن وجهك، راية كالسنديان».

يربط أبو خولة بين الشهيد والنورس محلقاً عالياً فوق البحر بضوء الشمس معمداً بالشهداء شهيداً وراء شهيد، فالشهادة جزء من الفلسطيني منذ نكبة فلسطين إلى الآن.

صحفياً:

ضمتنا مجلة الحرية منذ ربيع 1998 حتى نهاية العام 2001، وكانت من أولى التغطيات المباشرة، جنازة الشاعر السوري الكبير نزار قباني كتب عنها: «نام حين استفاق الياسمين»، قائلاً: «هل تعبت؟ أم أن الدروب الضيقة والمتعرجة في عاصمة قلبك الكبير ضيعتك وحملتك بعيداً...

هل تعبت؟ أم أن شوقك إلى بلقيس لم يعد يحتمل، وروحك لم يبقَ فيها مكان ولو صغير للهزيمة..

هل تعبت؟ منا، من رفقتنا. نحن رفقة السوء-منحنا الأعداء فرصة للدخول في دمك..

هل تعبت؟ أم أن أحداً لم يعطك بندقية، بل صوبوا نحوك كل البنادق... أترحل؟ وأنت تعلم أن الفجر هو أول لحظات الشعراء».

وفي معرض الكتاب الرابع عشر خريف العام 1998 في دمشق كان لنا تغطية صحفية عنه، حيث سألنا أستاذنا الراحل حسين عودات الكاتب والناشر نائب رئيس اتحاد الناشرين العرب عن المعرض فقال: «أصبح المعرض دولياً ومعروفاً للجميع، وكل ناشر يعد كتبه منذ بداية العام، ولكن على الطريقة العربية، يزدحم بالطباعة في آخر ثلاثة أشهر قبل المعرض».

وعن طبيعة المعرض قال: «الموعد خاطئ، والأسلوب خاطئ، والمكان خاطئ، وطريقة التعامل خاطئة، ويحولون المعرض سنة وراء سنة إلى سوق كبير مثل سور الأزبكية في القاهرة لا أكثر ولا أقل، لا ترافقه نشاطات ثقافية حقيقية، ولا معنى جدياً لمساعدة الكتاب ومساعدة الثقافة أو تطوير الكتاب».

أما لقاؤنا مع الفنان التشكيلي بولس سركو في صالة المركز الثقافي العربي بالمزة نهاية العام 1998، سأله زياد: «في كثير من اللوحات هناك استخدام عناصر من الواقع اليومي-الحياتي للشعب الفلسطيني في فلسطين من حرق العلم الأمريكي، والعلم الإسرائيلي منذ استخدام العناصر الواقعية للفكرة، وتجسيدها في اللوحة هل ينصب العمل على الفكرة أم على التجسيد الفني للفكرة؟».

فكان جواب سركو: «خلال كل مرحلة عملي التجريبي، كانت الفكرة بعيدة نوعاً ما عن العمل، لأن غايتي الرئيسية هي كسب الخبرة من التجريد في استعمال اللون، وتبسيط الأشكال وتقديمها بشكل عفوي. الموضوع الحياتي الفلسطيني مهم جداً، وله تأثير يومي من خلال الصحف والإذاعات والتلفزيون، والإعلام بشكل عام ومباشر».

وكتب عن شهيد عملية (تل أبيب) في العام 1997، نص (مبروك يا أم العريس) جاء فيه: (يريدي بزة الديناميت ويمضي يصيح، ديك الصباح، صوته لحظة عشق بين فجر مضى يودع زنابق القرى الصغيرة وشمس تطرح تثاؤبها جانباً، تنهض نحو شروق جديد..

يرتدي بزة الرحيل، يصر زوادة الموت، وينهض مسرعاً يقبل طفلين، تنام الملائكة في سريرهما، ويضحك الحلم على صفحة الوجوه الطرية، يطعم جسده للأرض ويعلن انفجار الصمت أنا «يا عدو الشمس لن أساوم وإلى آخر نبض في عروقي سأقاوم». أعذريني يا أمي سأغيب أكثر من ساعات الشغل سأغيب طويلاً عنك ولكنني أهدي دمي إليك).

ويسجل زياد عشقه للمخيم الفلسطيني في زاوية «حبر للمخيم رائحة الوطن» فيقول: «منذ 17 عاماً لم أغادر دمشق باتجاه الشمال، أي لم أمر في مدينة حمص. بينما خلال خدمتي الإلزامية في الجيش كنت «سري مري» إلى حمص كما يقولون، إلى أن جاءتني الدعوة للمشاركة في أمسية شعرية، بدا الطريق واضحاً، وامتد الإسفلت أمامنا طويلاً. وكانت عجلات السيارة تبتلعه رويداً رويداً، تغير الكثير على جانبي الطريق، حتى اعتقدت أنني أمر من هذا الدرب للمرة الأولى إلا أن ذاكرتي ما زالت تسجل بدقة بعض الملامح التي لا تتبدل، وما إن وصلنا حمص حتى شممت رائحة مفردات الشاعر الحمصي ديك الجن، وكان مطراً خفيفاً رقيقاً يتراقص على الإسفلت فيترك إيقاعه التماعاً شفيفاً وأنا أنظر خلف الزجاج، وبعد.. حين ولجنا مخيم «العائدين» بدا لي كأنني أزوره للمرة الأولى، خاصة أننا عبرنا من طريق لم أعهده من قبل، وتغيرت الدروب إلا أن الحياة والناس في المخيم كسروا حاجز الغربة فشعرت إني لست سوى في مخيمي. وأنا ابن مخيم لجوء فلسطيني».

تشكيلياً:

لا توجد لوحات للفنان التشكيلي زياد أبو خولة منتشرة سوى غلافي مجموعتيه مرسومتين بالأسود والأبيض فقط دون بقية الألوان، فلوحة غلاف «حوارات مع امرأة من تين» نجد أن اللوحة تقدم وجهين لسيدتين أمامهما فضاء منقط نقاطاً بالأسود على الأبيض، بينما في عمق اللوحة ما بين الشعر والرقبة بيوت صغيرة، ويشارك الشعر الأسود خصل بياض كتب عليها أحرفاً عربية، بينما في الجسد تحت الرقبة كتب اسم اللوحة «امرأة من تين»، وإلى جانب اللوحة مستطيل يضم الأحرف العربية، وفي وسط عنوان الديوان كحروف «حوارات مع امرأة من تين».

أما لوحة غلاف مجموعة «لا فرق كلها مقبرة» فقد قسمها أبو خولة إلى ثلاثة أجزاء، العلوي من اللوحة يحتوي على قسمين أحدهما خيال جسد بالأبيض بينما بقية أجزاء اللوحة في الأعلى بالأسود (الحبر الصيني) أجساد بشرية لأشخاص يشكلون رتلاً أمام الجسد الأكبر منهم.

والنصف الآخر يحتوي على إهداء وكلمات صغيرة بالعربي، أما الجزء السفلي من اللوحة فيظهر فيه باطن القدمين وكأنهما في وضعية تلقّي الضرب ما بين الأبيض والأسود، لكن بقية فضائها باللون الأبيض.

أخيراً إن التنوع الذي كان يملكه الراحل زياد أبو خولة جعل منه إنساناً وفناناً وشاعراً بكل معنى الكلمة، فهو ابن مخيم جرمانا الأكثر فقراً في سوريا، حيث أمضى حياته بين الهم اليومي والعمل الصحفي والمتابعة الإخراجية في مجلة الحرية، والفن والشعر دون أن يستطيع جعل هم واحد من هذه الهموم صلب

إسكندر حبش.. هل كان الشعر وصيته الأخيرة بحثاً عن وطن القصيدة الأخير

أحمد علي هلال ـ ناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

في مقاربة تلك الوجوه التي شكلت صيرورة الشاعر إسكندر حبش وصيروراته المدهشة، نقف على ذلك التوتر الجمالي/ الوجودي، بانتباه وشغف ودهشة ممكنة، لنستقرئ صورته التي نجت من العدم والصمت والنسيان، وهو ما زال يكتب قصائده التي تتوالد في توتر قوس دهشتنا، لا بل أكثر من ذلك، مازال يفكر ويغدق ألوان معرفته ليس على الشعر وحده، بل على ضروب كتاباته المديدة والعابرة لأزمنتها وأمكنتها، شأن روح تخطت بأسئلتها الواقع ومرئياته الكثيفة، لكنه في كثافة أسئلته كان هو بذاته سؤال الشعر ومناددة الأرواح، أبعد من كينونة ضيقة كفراشة تعلّم الضوء القراءة والكتابة، وترسي تعاليم الحياة على أفواه الزمن، كتابات تحتفي بالسيرة: الذات/ الآخر، خارج حدود جغرافيا مغلقة.

إسكندر حبش هذا الكائن الشعري مجاز وطن يبحث عن هويته رغم اضطراب أزمنته، ليصوغ معادلة الكتابة بائتلاف وجدانه الجمعي والفردي بآن.

وفي المرايا ستتسع صورته أكثر لتلهم أو تدعو إلى التأمل الفلسفي والوجودي، فضلاً عن التأمل الجمالي، نحاور الشخص كأنه النص بذاته ونحاور النص كأنه وجوه تتعدد في المرايا، ما الذي يحيل إلى تلك التوطئة سواء مرجعاً وموئلاً وكثافة، تحمل تلك الصور إلى متخيل القارئ ومتخيل القراءة، لا سيما وهو يهب الغبطة المعرفية لمحاوريه، فضلاً عن حواريات ذاته الأثيرية، ذاته المفكرة بالشعر طريقة حياة وأسلوب عيش، أكثر منها محض كتابة لنرجسة في مهب الصمت، إذ الصمت -صمت الشاعر- لا ينفك على أن يكون لغة أخرى مترعة بضجيج روحه، واحتدام أسئلته الكبرى التي فجّر فيها سؤال الوطن القصيدة والقصيدة الوطن، بدءاً من مثاقفة روحه لأصوات الشعر الكونية والوطنية داخل سياقات الشعر الإنساني والعالمي، الذي مثل له على الدوام تلك الأمثولات الحية وقوتها وحيويتها وثراءها النظري، كأنه يحاكي ما قاله أولئك الكبار بُناة الأرواح، الشعر هوية الإنسان، وعلى ذلك نتلقى إسكندر حبش في (ضوء الأمكنة المتناغمة) الكتاب الذي أعدته الشاعرة تغريد عبد العال وحاورته بلا ضفاف، عن الشعر والحياة وفضاءات أخرى، ليعبر بالحوار تلك الآفاق التي تحيل على إنتاج المعنى، وعلو كعب اللغة ،وكتابة الصمت، ومرجعيات الثقافة، والأبعاد الفلسفية، والفن التشكيلي وصولاً إلى مضارعة الموت باجتراح الحياة، إذ تنحت الأسئلة الذكية ما يشبه البورتريه، لصورة إسكندر حبش الشاعر في لحظة تقاطع قصوى بين الموت والحياة، ويعيد بأجوبته الطليقة تركيب الصورة ليذهب أبعد من أسئلة باحثة، إلى ما يشبه تدوين سيرة ناجزة له ككائن يعبر المسافة إلى الممكن الجمالي واللغوي، إذ لا بلاغة هنا تتعدى ما يقوله الشاعر إلا بلاغة فضاءات المحكي الشعري الذي يولّده الشاعر في سياقات نظرية وفكرية ومعرفية، كلها تتضافر لتنتج رحلة البحث عن المعنى وتلهم أكثر بأصداء سيرة كتاباته وثقافته الملونة، إذ هو الفيلسوف الموارب في ثوب الشاعر، وهو الباحث العميق في قلب إجاباته، وليحيلنا إسكندر حبش إلى ما هو أكثر من بيان لا يخص الشعر وحده، وإنما يخص الشاعر وفي تلك الجدلية المثيرة سنكتشف أكثر ما هو وراء القصائد، أي ذلك الفكر المتماسك والمخيلة الثرية، بل اللغة القادرة على حوار الأشياء والأمكنة والأزمنة والصمت والصور، لكن الأدل هو حواريات المكان الفلسطيني، والذي يجعل من القصيدة وطناً، وبطبيعة الحال كما يؤكد إسكندر حبش (ليست القصيدة وطناً بديلاً)، بل هي شكل الانتماء وخلاصته في علاقة الفلسطيني بالمكان المحلوم به، والمُستدعى كفردوس مفقود، المكان الذي يؤثثه الشاعر بممكناته الجمالية والفكرية والوجودية، ليبني صرح الذاكرة التي تعيد البناء غير مرة ولتعيد معها دهشة الاكتشاف، للوسائل التي تحيل إليها الكتابة بوصفها وسيلة لإثبات الذات والآخرين، ولاستنطاق التفكير من خلال الرحلة الكتابية والحياتية، يتحدث إسكندر حبش عن قوة الاستبصار التاريخي والذي يقع في صلب عمله الشعري، كما يؤكد على أن الشعر هو صوت الأخوة الإنسانية، متكئاً على ما قاله الشاعر غياندي آيغي من أن اشعر هو: (صوت الأخوة الإنسانية)، لتكتمل نصوص الشاعر في سياق تأمله في مساره، وبدلالة إضافية ما عبر عنه بالميتانقد لهذه التجربة، إذ هو الناقد لتجربته كما الآخرين، وكما يقول: (إنه نص لا يكتفي بوصف أو إظهار أو سرد تجربة، بل هو مهيكل بفكرة من هذه التجربة تُنظّر لها ذاتياً)، ويتابع إسكندر حبش بالقول: (يمكنني تصنيف كتاباتي ضمن أدب متأصل في تاريخ عائلي، مرتبط بتجربة صادمة، الهجرة والنكبة) برواية (أصول)، لعلنا ونحن نتأمل ما اصطلح عليه إسكندر حبش بالسردية الفردية على حافة الجماعية، نعيد تأويل سيرة الشاعر بحثاً عن المعنى وجوهره، وهو يأخذنا من الخاص إلى العام، ذلك هو ديدن الأدب في أزمنته المختلفة، لأنه ببساطة تنزع هذه الكتابات كما تهجس في الوقت عينه إلى (إثبات الهوية)، وعليه فإن كل سردياتها ستظل بمثابة الشهادة على صيرورة الكائن الشعري، الذي يجد أن ارتباطه بالمكان هو دالّة وجودية تعيد اكتشاف وجوده التاريخي والإنساني، وليأتي الشعر بعد ذلك تعليلاً لماهية هذا الوجود، ولعل إسكندر حبش في هذا الطرح الفلسفي الذي يتصالح فيه الشعر مع الفلسفة، ليشكلا معاً ذلك السياق من التأمل والبحث والحفر في الأنساق، لتوليد أنساق ثقافية جديدة، ومنها على الأقل خلق واقع جديد قوامه العلاقة التصويرية والجمالية باللغة، اللغة بوصفها أداة لسبر أغوار الذات، لكن الذات هي كل العالم، وهو المنشغل بسؤال الحنين، لا محض سؤال الصوت الخاص والمعنى المتكرر والصيغ المتكررة، بل سؤال التجربة برمتها، والتي من شأنها أن تمنح الشاعر مأثرة التفرد للذات وهي في موضع السؤال الأكثر جدلاً هو: هل يمكن أن تكون الذات موضوعاً تاريخياً؟، وهو يستنطق كل أشكال الوعي بالكتابة الذاتية وصولاً إلى وعي الذات الكاتبة ووعي تجربتها، وبوصف الكتابة (مجموعة تجريبية من النصوص يتفاوض فيها كل كاتب على هويته) وليحل اضطرابها، أي ليشكل وعياً بها محمولاً على أشكال سرديتها الشعرية والنثرية والفكرية، وبذلك يتخفف من الشبيه إلى الشبيه المختلف، وذلك الاختلاف هو عصب القياس في تجربة الشاعر إسكندر حبش، بل قوة المثال في استنطاق محكياته الشعرية التي لا تنفصم فيها عرى العلاقة مع وطن يعيد اكتشافه في وعيه الذاتي بتجربة كتابية مديدة، قبل أن يصبح في الوعي الجمعي قيماً محفزة على مهمة الشاعر ورسالته ووصيته، والتي لا تنتهي وهو يولّد حضوراته الأخرى لتصبح علامات فارقة، على جبهة الثقافة والفكر والانتماء.

إسكندر حبش.. لحظة معرفية فارقة في زمن الكتابة والقراءة وبناء الوعي، وضبط الإيقاع داخل المعنى وخارجه، هذا المختلف في الأزمنة الرجيمة وحده الذاهب كنداءات لصباحات جديدة، تماماً كما قد قيل: (الشعر فمه مليء بالمستقبل).

أول قسم لرفاقها

فراس عبدو

لم أكن أعرف أن صباحًا شتويًا من عام1994 سيبقى محفورًا في صدري إلى الأبد. كنت أجلس قرب شباك مكتب المحاضرة، مخيم مارإلياس أراقب قطرات المطر وهي تتدلّى ببطء، كأن السماء تبكي شيئًا لا نعرفه. وفجأة جاء صوت مقدم المحاضرة عن حياتها صوتاً دافئاً، لكنّ فيه رخامة حزن، واهتزاز فخر. نطق اسمًا واحدًا... اسمًا جعلني أرفع رأسي كمن يتلقى نبأً شخصيًا.

لم أعرف لماذا هزّني الاسم. أطفأتُ شرودي ، لكن الكلمات بقيت تركض خلفي. كان هناك شيء في نبرة المحاضر يفتح بابًا في داخلي، بابًا لم أكن أعرف أنه موجود أصلًا. ومنذ تلك اللحظة، لم أستطع أن أهدأ حتى عثرت على سيرتها بشكل أوسع من عدة مصادر مثلاً مقال أختها..

وحين قرأت... لم أعد فراسًا العاديّ. صرت كمن يدخل عالمًا جديدًا، مزيجًا من الرهافة والقسوة، من النعومة والصلابة، من امرأة ولدت طفلة... لكنها خُلقت لتحمل وطنًا.

وُلدت في نابلس، في مدينةٍ اعتادت أن تحضن أبناءها كما تحضن الجبالُ القرى.

كان بيتها العربي القديم يشبه قصيدة طويلة من الحجارة، سقوفه العالية تلتقط الضوء بطريقة تجعل كل صباحٍ يبدو وكأنه وعد جديد.

وكانت أمّها تعرف منذ البداية أن في طفلتها شيئًا لا يشبه الأطفال الآخرين؛ شيئًا يشبه الريح: حرة مهرة ، متمردة، غير قابلة للحصول.

كبرت وهي تُنصت لا لضحكات الطفولة، بل لنبض المدينة.

كانت تمشي في الأزقة وكأنها تحفظ أسماء الحجارة واحدةً واحدة. وحين دخلت المدرسة، لم تكن مجرد تلميذة؛ كانت روحًا تبحث عن شيءٍ أكبر، شيءٍ يتجاوز دفاتر الحساب والقراءة.

وفي شبابها المبكر، التقت بالتيار الذي سيصنعها ويشكّلها.

كانت حركة القوميين العرب آنذاك أشبه بورشة حلم كبير...

وهناك رآها ، حكيم الثورة، ذلك الرجل الذي يقرأ الوجوه كما يقرأ الخرائط. قال عنها بصوته الهادئ إنها "تملك عينين لا تنحرفان عن الهدف".

أما وديع حدّاد—العقل الجريء خلف العمل المسلّح—فكان يراها مثل جمرة صغيرة، تحتاج فقط ليد تُقربها من الهواء كي تشتعل.

وحين انبثقت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من رحم الحركة، كانت من أوائل من حملوا الفكرة الجديدة. لم تكن مجرد عضوة؛ كانت إحدى اللبنات الأولى، تلك التي تشبه حجرًا صغيرًا لكنه حاسم في بناء الجدار.

كانوا يقولون عنها:

«تسمع أكثر مما تتكلم... لكن عندما تتكلم، يتغيّر اتجاه الجلسة.»

ومع الوقت، صارت جزءًا من العمل السرّي المسلّح.

تعلّمت كيف تحمل الرسائل، كيف تخفي الوثائق، كيف تمرّ من الحواجز بنظرة لا ترتجف. ثم جاءت مهمتها مع "أم باسل"، تلك الفدائية التي لم تأخذ حقها في التاريخ.

كانت ليلة صامتة، ورائحة الرطوبة تختلط بدخان بعيد. تحت غطاء الظلام، زرعتا عبوة ناسفة داخل سيارة عسكرية. خطواتهما كانت هادئة، لكن قلبيهما كان يطرق بقوة. وحين دوّى الانفجار، كانت المدينة كلها ترتجف: ثلاثة جنود قُتلوا، وآخرون جُرحوا. وكان ذلك أول انتصارٍ يضع بصمتها في قلب العدو.

وبعد أن انتقلت أم باسل لتدرّب المجندات، تولّت هي المهمة وحدها. صارت القوة التي لا يراها أحد، والظلّ الذي يتحرك دون صوت. رفاقها كانوا يعرفون أنها الأقدر، الأكثر صبرًا، والأكثر نقاءً في الهدف.

ثم جاء ذلك اليوم...

اليوم الذي بقي محفورًا في ذاكرة بيتها، وفي قلبي أنا، كأنني كنت أحد الشهود رغم الزمان والمكان المخالفين.

كانت العائلة حول مائدة الطعام. غرفة الطعام تلك ذات الجدران السميكة، حيث تختلط أصوات الملاعق بحكايات البيت.

ثم... قرع الجرس.

نهضت بخفّة، بخطوة فتاة لا تزال تحتفظ ببعض طفولتها.

فتحت الباب.

وفي لمح البصر، مزّق الانفجار الهدوء. اللهيب اندفع مثل وحشٍ جائع، يلتهم

الجدران. صراخ، رائحة دخان، وحجارة تتساقط.

ركضت العائلة تبحث عنها وسط الظلام: «ابحثوا عنها... بالله عليكم ابحثوا عنها!»

لكنّ النار كانت أسرع من أقدامهم.

لم يبقَ منها إلا خصلة شعر... وجزء من ثوب.

كأن الأبطال هكذا ينتهون..

ثم جاءت الجنازة... الجنازة التي لا تُنسى.

خرجت نابلس كلها.

شباب الجبهة اصطفّوا بزيّهم العسكري الملثمين ، أكتافٌ مشدودة، خطواتٌ متناسقة، كأنهم يقدّمون لها آخر تحية... وأول قسم.

النساء أطلقن زغاريد طويلة، تلك الزغاريد التي لا تنتمي للفرح وحده ولا للحزن وحده... بل للفلسطينيات اللواتي يَمزجن الدموع بالأمل.

وأختها...

يا إلهي، أختها..

وقفت عند الباب بثوب أسود يشبه فستان عرس. عيناها كانتا تُحملان تناقضًا لا يصدق: دمعة لا تسقط... وابتسامة صغيرة، خجولة، لكنها حقيقية.

كانت تزفّها... لا تدفنها.

دُفنت قرب أمها، وفي المقبرة الغربية نُقشت كلمتها الأثيرة:

«أنا إن سقطتُ، فخذ مكاني يا رفيقي للكفاح.»

وعندما انتهيتُ من قراءة سيرتها، ، شعرت بشيء ينكسر داخلي... أو ربما يولد.

شعرت بالنقص، وكأنني صغير أمام امرأة لم تعطها الحياة إلا سنوات قليلة، لكنها أعطت الوطن عمرًا كاملًا.

وشعرت بالغيرة... غيرة جميلة، تدفعك لأن تكون أفضل.

ثم فاض الفخر... فخر لا يمكن لكلمات أن تحتويه.

عندها فقط فهمت لماذا هزّني ذلك الاسم منذ البداية.

إنها

شادية أبو غزالة...

الفتاة التي جعلت من نفسها وطناً أكثر مما سمحت لها الحياة أن تكون إنسانة عادية.

البدء هنا كان

راسم الحديثي- كاتب وروائي عراقي

هي الملاذ المعرفي، هي السحر وينبوع الماء العذب الذي سقى بذور أدمغتنا لتزهرَ في عالمٍ لم نكن ندركه ونحن في مقتبل حيواتنا الناشئة، في مدينة بسيطة تطفو وسط شواطئ نهر الفرات، هي المكتبة العامة في مدينتي» حديثة»، هي العشق الأبدي، نعبر النهر بزوارق صغيرة خشبية وبعدها نكد السير على الأقدام كي نصلها، ببناياتها التي تبدو لنا من عجائب الدنيا السبع؟! بجدرانها وغرفها وحدائقها البسيطة، تتوسطها قاعة تمتد في منتصفها منضدة تضاهي طولها تحيطها مقاعد خشبية متينة.

هنا كان البدء، حين ندلف إلى مدخلها مبتهجين مبتسمين لرؤيا أمين المكتبة « محمد مكتبة» هذا هو اسمه، لا أحد يهمه اسم أبيه، محمد مكتبة ليس من أهل مدينتي، هو من سكنة الرمادي، يرحب بنا مبتهجًا، ننحشر بين رفوف الكتب باحثين عن الجميل منها، نقلّبها، وندوخ بالاختيار، رواية في بيتنا رجل لإحسان عبد القدوس، يقول الآخر قرأتها، أمتعتني لكني سأختار اليوم رواية لمحمد عبدالحليم عبدالله اسمها شجرة اللبلاب، قرأها صديقي وأعجب بها، نختلف ونضحك ونختار ونتجه إلى «محمد مكتبة»، يفتح سجله ليسجل به اسم المستعير وعنوان الكتاب، والبعض يهوى القراءة في قاعة القراءة، فتجد مقاعدها معظمها ليست خالية، نعم هنا كان البدء، بعمر الورود كنا.

وكبرنا قليلا لنختلف في أفكارنا، وأقصد السياسية منها، هذا قومي وذاك اسلامي والآخر شيوعي، كل هذا لإثبات ذواتنا، رجولتنا، ونروح نبحث في كتب السياسة، لتوحيد الأمة العربية وتحرير كل فلسطين من النهر إلى البحر!! والآخر يبحث عن كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب طامحا لتوحيد الأمة الإسلامية كما يراها مؤلف الكتاب أعلاه، وغيرنا راح يقرأ لكارل ماركس طامحًا للوصول إلى دكتاتورية الطبقة العاملة مرددًا مصطلح دولة البروليتارية، أو المرحلة الشيوعية.

هكذا كان البدء، ما كنا نحلم أن نكتب يوما غير حاجات المدرسة، كنا نرى كتّاب الرواية أو أي كتاب معرفي ذي مقدرة وشأن صعب نيله أو مستحيل.

فكان للسياسة البدء، في بحوث عدّت لدى المهتمين محكمّة بقدرة معرفية، كانت تجوب الفكر اليساري والصراع الطبقي نتاج الفكر الماركسي، هو ولعي آنذاك، لم أر غيره البتّة، امتلكتهُ من تنظيمات عروبية يسارية رأت ضرورة اعتماد هذا الفكر في الجانب الاقتصادي.

ودارت الأيام ليرحل بي هذا الفكر إلى معتقل الحاكمية عام 1982 وثم تكررت عام 1984 لأدخل مدرسة من نوعٍ خاص بحوارات سياسية مع بعض المعتقلين، ومع أشبالٍ من منظمة فتح قدموا إلى العراق لقتل الفلسطيني أبو نضال المنشق من تنظيمهم الأصل، وألتقي بحملة أفكار وانتماءات سياسية معادية للنظام، هناك أمست لي شخصية غير التي أعرفها، بين هؤلاء وبين الغرف الانفرادية وبين أذرع الكهرباء، شخصية جديدة قد تختلف عن الآخر قبل الاعتقال.. حينها كنت موظفًا في المؤسسة العامة لنفط الشمال بعنوان كيمياوي أقدم.

من هنا كان ما حصل، ثمّةَ مبررًا لمغادرة الكتاب والكتابة ما خلا بعض الروايات ذات القلق الفكري مثل رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ التي كانت مدعاةً لمحاولة قتله من قبل المتشددين الإسلاميين.

وبعد صمتٍ طويل، وحتى بعد أعوام 2003 وفوضى الكتابة، هناك يراعي بدأ يستذكر ويحيك القليل من القديم بمقالات سياسية وبعدها طرّزَ بواكير رواياتي وهي رواية دائرة الخوف ثم تطور حالها إلى رواية خريف الشرق، عدّت من بعض نقّادها رواية أدب سيرة وأدب سجون، من هنا تحرر قلمي وانطلق برحاب السرد فنال نصيب الإبداع ونصيب النقد ونصيب بحوث متمكنة ونصيب دراسات عليا.

وكتابي هذا الذي بين أيديكم بعنوان (رواياتي وكتبي بعيون من كتبوا عنها) خلاصة لما قرأتموه في مقدمتي هذه كي تدركوا أن الكتابة قد تكون نتاج مسارٍ صعبٍ لإنسانٍ مدركٍ لما يحصل في هذا الكوكب العنيف بأهله.

وأخيرًا وليس آخرًا أقول عسى أن يروق لكم أصدقائي أينما كنتم.

التقاء الساكنين

ركان حسين.. كاتب فلسطيني ألمانيا

كان يُدعى عيسى. أو ربما أبو جرير، أو أبو منصور، أو "سْهيْلْ"، نجمه الذي يرتبط به عبر حبل سري خفي. لم أكن متأكدًا من اسمه الحقيقي أبدًا، هذا المصري الذي اتهم بأنه فلسطيني وعاش آخر حياته تحت القصف كأي سوري، كأن وجوده نفسه كان مؤقتًا، معلّقًا على هامش دفتر سقط من حقيبة موظف تسجيل السكان، ولم يُسترجع.

أسير محرر، قالت أمي، بصوت يشبه الدعاء ولكن بإجلال. بطل من زمن آخر، همس جارنا البقال مطلق النابلسي، وهو يطوي كيسًا من النايلون. رجل خرج من جدران السجن، لكن شيئًا منه بقي هناك، كقطعة لحم تُركت عمدًا في قدر يغلي على نارٍ خفيفة. لم أكن قد التقيته بعد، ومع ذلك كنت أراه في كل وجه غريب يعبر أمامي. كنت أعتقد أنه لا يمشي، بل يُسحب، كما يُسحب الظل خلف جسم لا نراه.

كان يملك أرضًا. لا، لم يكن يملكها فعليًا، بل كانت منحة غامضة من زمن غير واضح، رقعة من الرمل في قلب صحراء سيناء، لا تصلح لشيء سوى لتذكيره بأنه لا يملك شيئًا. لم يُسوّرها، لم يُسمّها، فقط أشار إلى أطرافها بأحجار صغيرة، كأنها شواهد قبور لنية لم تكتمل.

كانت تنبت فيها أشواك هزيلة، لا طُيور تحط، لا جمال ترعى، ولا ظلّ يتبرعم. لكنه كان يعود إليها، مرارًا، كمن يفتّش في قبر فارغ عن معنى يُثبت أنه كان حيًا ذات يوم. يطوف حول الأحجار، يعدّها، يتحسسها، كأن بها سرًّا انكسر داخله. لم يكن يعرف لماذا يعود، سوى أن الأيام خارجها أكثر جفافًا.

في تلك الأرض، لم تكن الحياة مرئية، لكنها كانت تنبض من تحت الرمل بصمتٍ لا يسمعه سوى أمثاله. كان يقرأ آثار المخلوقات على السطح كما يقرأ الآخرون الكتب المقدسة. يعرف من بصمة القدم إن كان الضبع قد اصطدم بثعلب، أو إن كانت أفعى قد التهمت طائرًا مذعورًا. بل كان يعرف من آثار الخطى إن كان عابرها عاشقًا أم مكسور الخاطر، متزن النفس أم مثقلها.

ثم غاب. ستة عشر عامًا في العتمة، هناك حيث الأثر لا يطبع على البلاط، بل على الروح. وحين خرج، لم يُعد إلى أرضه، بل نُقل، كما يُنقل الطرد البريدي، إلى سوريا. وهناك، في بلدة صغيرة تُدعى المزيريب، ضاع عيسى الذي كان يقرأ الرمل كأن فيه نبوءة، ضلّ في الممرات المبللة.

سكن في شقة لا تبعد سوى شارع عن بيتنا. لكن تلك المسافة كانت تمتد كأنها صحراء بيننا، وكان الزمن يتكرّس ليحرسها. كلما حاولت أن أقترب، كنت أرتطم بجدار شفاف، غير مرئي، جدار من نظراته الشاردة وصمته المقطّر.

ثم، بعد أعوام قليلة، التقيته. لا، بل وُضعت إلى جواره، مثل غرضٍ غفل أحدهم عن ركنه. كان في الموقع ذاته الذي صرت إليه، بين وجوه كثيرة تشبهه، كانوا جميعًا أسرى محررين. هناك، تعلّمت أن الأسطورة تشبه الجلد الذي كان عيسى النوري يشده على أوتاد بحجم قلم الرصاص قبل أن يثبّته على خشب الرباب. قد يلمع تحت الضوء، لكنه يتهرّأ مع كل لمسة.

عيسى لم يكن أسيرًا فحسب. كان شيئًا لم أفهمه تمامًا. جسدًا بملامح متذبذبة، وكلماتٍ تخرج منه كأنها تجهل الطريق. كان يتحدث، وأنا أسمع الصمت بين جمله أكثر من معانيها. لطالما ظننته يتكلّم بلغةٍ لا أعرفها، ثم ظننت أن المشكلة في أذني، ثم استسلمت لفكرة أنه لم يكن يريد أن يُفهم أصلًا.

كان مصريًا من سيناء. أو ربما من مكان أقدم، أعمق، من صمتٍ ما قبل الخرائط. خرج من السجن ووجد نفسه بلا أرض. لا، ليس بلا أرض، بل بلا اعتراف. الأرض التي ولد فيها لم تعترف به، والورق لم يتعرّف إلى بصماته. عاش كأن كل شيء مؤقت، حتى نفسه.

في السجن، تحوّل إلى شيء آخر. قرأ، كثيرًا. ربما أكثر مما يجب. كان يلتهم الكتب، لا ليتعلّم، بل ليثبت لنفسه أنه لم يمت هناك. صار يعرف كل شيء، ويشكّ في كل شيء. صار الناس يرونه مثقفًا، لكنه كان يرى نفسه خرافة.

حين مات، لم أعرفه. مررت على نعوته كما أمرّ على إعلان عن وظيفة لا تناسبني. ثم تذكرت. لا، بل ارتعد شيء في داخلي. ذاك الذي ركض معي تحت الرصاص، ذاك الذي دفعني وقال: "اهرب!" وهو لا يقصدني وحدي، بل يقصد كل من يمكنه أن يبقى على قيد القلق.

ركضنا. لم نكن نعلم من الذي يطاردنا. ربما لم يكن هناك أحد. ربما كنا نهرب من أنفسنا. من كوننا شهودًا لا يموتون. وكم هو مؤلم أن تبقى شاهدًا، لا شهيدًا. أن تبقى حيًا لا لتعيش، بل لتتذكر.

لم يمت عيسى في السجن، بل مات خارجه، ببطءٍ لا يلحظه أحد. لم يسقط في المعركة، بل انزلق في هوّة الحياة اليومية، في جحيم الطوابير والمكاتب والبطاقات الذكية. نجا من الحرب ليعيش في خرابها الممتد. جُرّد من سلاحه ومن سِجله ومن حكايته، ثم أُسكن في بلد غريبة، لم تكن تعرف اسمه، ولا وجعه، ولا أمنيته.

عاش كما تعيش الورقة حين تُقتلع من غصنها: تتراقص في الهواء لحظة، ثم تهوي، وحين تلامس الأرض، لا يسمع أحد صوت ارتطامها. وحين مات، مات كما عاش، هامشيًا، بلا ضجيج، بلا اعتراف، بلا شاهد يُعيد إليه اسمه الحقيقي. مثقلًا بالذكريات، لكنه محكوم بأن يحملها وحده. لا وطن يسترجعه، ولا مجتمع يعيد ترتيب وجعه في جملة مفيدة. وحين نُقل جثمانه، لم يُلفّ بعلمٍ، لم تُكتب على قبره سيرة، بل مجرد اسم... ربما لا يكون اسمه.

أُقْحُوَانَةٌ لِفلَسْطِينَ أُرْجُوحَةٌ لِغَزّةَ

محمود علي السعيد

شاعر من فلسطين سورية

أَقمتُ عُمْرِي عَلَى ذِكْرَاكَ يَا وَطَنًا
مُصَغَّرًا فِي عُيُونٍ كُنْتُ أَحْصِيهَا
أُسَائِلُ الرَّوْضَ مَا حَلَّت بِقَارِنَةٍ
تُغَازِلُ الوَقْتَ سِرًّا فِي روابِيهَا؟
تَحْلُقُ القَوْمُ حَوْلَ القَصْفِ فِي أَرَقٍ
أَمْسٍ يُحَاصِرُ بِالأَحْدَاقِ قَاصِيهَا
فَطَارَ مِنْ وَرْدِةٍ مَجْرُوحَةً عَبِقٌ
يُجَاوِرُ الهَمَّ هَمًّا كَانَ يُشْجِيهَا
لَا تُفْصِحَنَّ عَنِ الجَانِي مَقَاصِدَهُ\
وَقَدْ تَزِلُّ بِالأَقْوَالِ تَمْوِيهَا
قارورةُ العِشْقِ غَالَت فِي تَأَلُّقِهَا
يُجَنْدَلَ القَهْرَ نَجْمًا ظَلَّ يُغْوِيهَا
أَقُولُ لِلْمَوْتِ خَفِّفْ وطء مطرقةٍ
لَمْ يَبْقَ خَيْطٌ مِنَ الأَنْوَارِ يُؤْوِيهَا
تَطَاوَلَتْ حُرْقَةُ الأَيَّامِ مُنْتَجِعًا
مِنَ المَصَائِبِ نزف الجُرْحِ يُرَوِّيهَا
يَا غَزَّةَ المَجْدِ أقداح المدى قبلٌ
أَحَنَّ للملتقى فِيكِ أَوْ فِيهَا
حُنَيْنُ نُوقِ الفَلَا أَجَّتْ عَوَاطِفُهَا
لعالم الغَيْبِ تَرْجُو لُطْفَ بَارِيهَا
أُحِبُّهُ الضَّوْءَ سَطْرًا لَا يُمَاثِلُهُ
حُرُوفُهُ البِيضُ فَاضَتْ فِي مَعَانِيهَا
هُنَاكَ فِي مَلْعَبِ التَّجْوَالِ أُغْنِيَةٌ
تُبُوحُ بِالعِطْرِ جَهْرًا فِي تَجَلِّيهَا
أُعْطِيكَ قَطْرَةَ حُبٍّ لَا تُعَادِلُهَا
قَلَائِدُ مِنْ جُمَانٍ كُنْتُ أُخْفِيهَا
فَأَنْتَ فِي خَافِقِي مِثْقَالُ أُمْنِيَةٍ
يَطُلُّ مِنْ عَالَمِ الأَحْلَامِ مَاضِيهَا

هُنَا جَمَالُ الصبا رَقَّتْ نَسَائِمُهُ
عَلَى طُولِ النَّدَى فِي الفَجْرِ يُزْجِيهَا
مَدِينَةُ الدِّفْءِ أَحْجَارٌ مُطَرَّزَةٌ
بِكُلِّ نَقْشٍ تَجَلَّى فِي مَبَانِيهَا
أَرُومُ مِنْكَ وِصَالًا بَعْدَ مَجْزَرَةٍ
صالَتْ وَجَالَتْ بلا رِفْقٍ أَيَادِيهَا
أَضْحَت حُطَامَ قِلَاعٍ كُنْتُ أُمْطِرُهَا
بِوَابِلٍ مِنْ بُرُوقٍ لَا تُوَازِيهَا
جَدَاوِلُ مِنْ صَبَا نَجْدٍ جَدَائِلُهَا
رَقَصَ القَوَارِبُ ضَجَّتْ فِي سَوَاقِيهَا
تَفَرَّقَ القَوْمُ أَشْتَاتًا تُقَلِّبُهَا
كَوَارِثُ تَصطِلِي جَمْرا لَيَالِيهَا
فَاسْتَبسل المَوْجَ يُهْدِي خَيْمَةً أَبْقَتْ
مِظَلَّةً تَشْتَكِي وَجْداً قَوَافِيهَا
مَاذَا أُجِيبُ وقَدْ أَضْحَت شَوَاطِئُنَا
تَرَقْرَقُ الدَّمْعَ دَمْعًا فِي مَآقِيهَا
أَضَمامَةَ الوَرْدِ شَبَّتْ فِي مَسَاكِيهَا
تَطُوفُ مُشْتَاقَةً عَمَّن ينَاجِيهَا
ضَاقَتْ عَلَى الخَلْقِ أَطْوَاق تُلَاطِفُهَا
أَصَابِعُ تَرْتَوِي ظُلْمًا بِوَادِيهَا
حَدَائِقُ القَوْلِ أَغْفَتْ فِيه أَعْنَتُهَا
تُعْطِيكَ مِنْ هَمْسَةِ الذِّكْرَى وَتُعْطِيهَا
مِمَّا تَيَسَّرَ مِنْ تَرْنِيمَ سَاقِية
طَعْمُ النَّسَائِمِ يَرْعَى فِي خَوَابِيهَا
القوس مِنْ قُزَحٍ هَلَّتْ بَشَائِرُهُ
يُقِيمُ لِلْعُرْسِ عُرْسًا فِي ضَوَاحِيهَا
حَقِيقَةٌ تَرْتَجِي وَصْلًا تُعَانِقُهُ
ضفائر اللَّيْلِ بِالأَحْضَانِ تَوْوِيهَا
يُجَلها مُزْنُقٌ أَعْلَى مِنَصَّتِه
عَيْنَاهُ تَرْنُو لأَرْضٍ لَا تُضَاهِيهَا
سِوَى الجَنَائِنِ وَالأَيَّامِ صَاغِرَةً
لِنَبْضِ صَوْتٍ يُسَحِّرُ الضَّوْءَ يغنيها
خَيْرُ الأَنَامِ لَكُمْ فِي القَلْبِ مُتَّسِعٌ
لأَسْقُفِ الدَّارِ بِالقَامَاتِ تُعْلِيهَا
أَيْقُونَةٌ مِنْ عُرُوقِ الشَّمْسِ رَوْنَقُهَا
يَا رَوْعَةَ النَّصْرِ، ضُمِّينِي وَضُمِّيهَا

فعاليات أكاديمية دار الثقافة في بيروت ودمشق

• بيروت

تحت عنوان الإبادة الثقافية في فلسطين وتفكيك السردية، أقامت أكاديمية دار الثقافة في مكتبتها في مخيم مار الياس، جلسة نقاش وحوار بحضور الباحث د. عبد الملك سكرية والكاتب المناضل مروان عبد العال وبحضور باقة من المثقفين والشباب المهتمين أعضاء الأكاديمية وأنديتها.

قدمت للجلسة الحوارية منسقة الأكاديمية تغريد عبد العال. حيث تحدث د. عبد الملك سكرية، في محاضرة قصيرة عن زمن، عمل فيه العدو بآلته الاستعمارية على تدمير فكرة المقاومة عبر الكثير من الأدوات، ومنها تفتيت فكرة الوطن باختراع مؤسسات ورجال دين يتحدثون بخطاب انساني يبدو مهماً أحياناً لكنه يتخفى بأقنعة لا تجرؤ على الاقتراب من قضية فلسطين.

وأضاف، أنه قد أجري العمل طويلاً على اقتلاع القضية من العقول، عبر الأفلام والسينما والأدب والكثير من الخطابات الاستعمارية لتشويه وشيطنة المقاومة بكل أشكالها بدءاً من القومية العربية حتى اليوم.

وتطرق أيضاً لفكرة هي غاية في الأهمية هي اعتناق الأيديلوجية الصهيونية والسردية الصهيونية من قبل العدو الذي يؤسس لذلك في محاولة منه كي تنتصر سرديته.

وتحدث مروان عبد العال عن الإبادة الثقافية الحاصلة اليوم وسمى ما حدث طوال النكبة إبادة صامتة خفية للفلسطينيين وهذا ما أشار له كيث وايتلام في كتابه: طمس التاريخ وكيف عمل العدو على محو الفلسطينيين ومحو كلمة شعب أيضاً وما يحدث اليوم هو إبادة عميقة تستلزم العمل على بناء المشروع الوطني على أساس المقاومة لا الإدارة.

وأضاف أنه رغم الكارثة، أحدثت غزة انقلابًا في الوعي: أعادت تعريف العدو، والمقاومة، والشرعية، وأثبتت أن القوة الحقيقية هي قوة الإرادة والمنعة الاجتماعية. طرحت سؤال الحق والعدل من جديد، وأعادت الشعب إلى موقع الفاعل التاريخي لا الضحية.

والمَآل الذي تفرضه غزة اليوم هو أن معركة التحرر تبدأ من معركة الوعي: تحرير العقل من الارتهان قبل تحرير الأرض من الاحتلال.

وكان للحضور الكثير من المداخلات والأسئلة، أبرزها ما قدمه الأستاذ عارف أبو خليل، حول تفكيك سردية التوراة وأيضاً ما يحدث في مدارس الأونروا.

والإعلامي أحمد الصباهي والصحفية زينب السيد وغازي عبد العال والزميلة سارة ياسين الذين تحدثوا عن السردية الفلسطينية ولماذا لم نعمل عليها كما عملوا على سرديتهم المزيفة؟

وقدمت أكاديمية دار الثقافة بيد منسقتها تغريد لوحة هدية للباحث د. عبد الملك سكرية وهي احدى رسوماتها التي كتبت عليها جملة قالها محمود درويش لغسان كنفاني: لأن الوطن فيك صيرورة مستمرة. وقالت للباحث وهذا ينطبق على غسان وعلى المناضلين أمثالك.

• دمشق

تحت عنوان وعد بلفور وراهنية اليوم..... أقامت أكاديمية دار الثقافة ندوة حوارية فكرية وذلك يوم السبت ٢٠٢٥/١١/١، في مقر الأكاديمية في مخيم اليرموك، بحضور نخبة من المثقفين والكتاب والمهتمين، أدارها الزميل الروائي د. حسن حميد حيث استضافت الأكاديمية الأستاذ والباحث د. بلال عرابي أستاذ علم الإجتماع في جامعة دمشق، والذي استهلها باستحضار سياقات ووقائع الوعد المشؤوم، إذ رأى أنها درسا متجددا عن تكالب المصالح الإستعمارية على مر التاريخ في احتلال أرضنا طمعا بخيراتها، حيث استعرض الباحث تطورات المأساة الفلسطينية بسبب وعد بلفور والمنهجية التي اتبعتها القوى العربية للرد على الوعد ومقاومته، مستعرضا نشأت الحركة الصهيونية والعلاقة بينها والدول الإمبريالية، فضلا عن جهود لتنفيذ وعد بلفور، بوصفه الخطوة الرسمية الأولى باتجاه تنفيذ المخططات الصهيونية في فلسطين وتوجيه الأحداث لتحقيق حلم مزعوم، لافتا إلى المقاومة العربية الفلسطينية لمأساة وعد بلفور وابرز محطاتها. و إحياءً لليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني والذكرى الثامنة والسبعين لقرار التقسيم، أقامت أكاديمية دار الثقافة مهرجاناً شعرياً تضامنياً، وذلك يوم السبت 2025/11/29 في مقر الأكاديمية في مخيم اليرموك.

شاركت فيه كوكبة من الشعراء السوريين والفلسطينيين:

أحمد عموري، يوسف قائد، رضوان قاسم، عدنان حلاوة، سليم المغربي، ماهر محمد، عائشة بريكات، هناء داوودي، إيمان موصلي.

أشادت القصائد بصمود وتضحيات شعبنا الفلسطيني في غزة وكل فلسطين، وأكدّت على حضور القضية الفلسطينية في وجدان وضمائر الشعوب الحية، وأن فلسطين ستبقى البوصلة والمقياس لتحرر الشعوب وانتصارها.

واتسّمت القصائد التي قدمها الشعراء بالتنوع والتدفق، والحساسية، والحماسة والقيم الفّنية والإبداعية المتضافرة مع نبل القضية وعدالتها وحتمية انتصار الحق الفلسطيني.

الجبهــة الشّعبية لتحرير فلسطين

تنعي رفيقها المناضل التاريخي

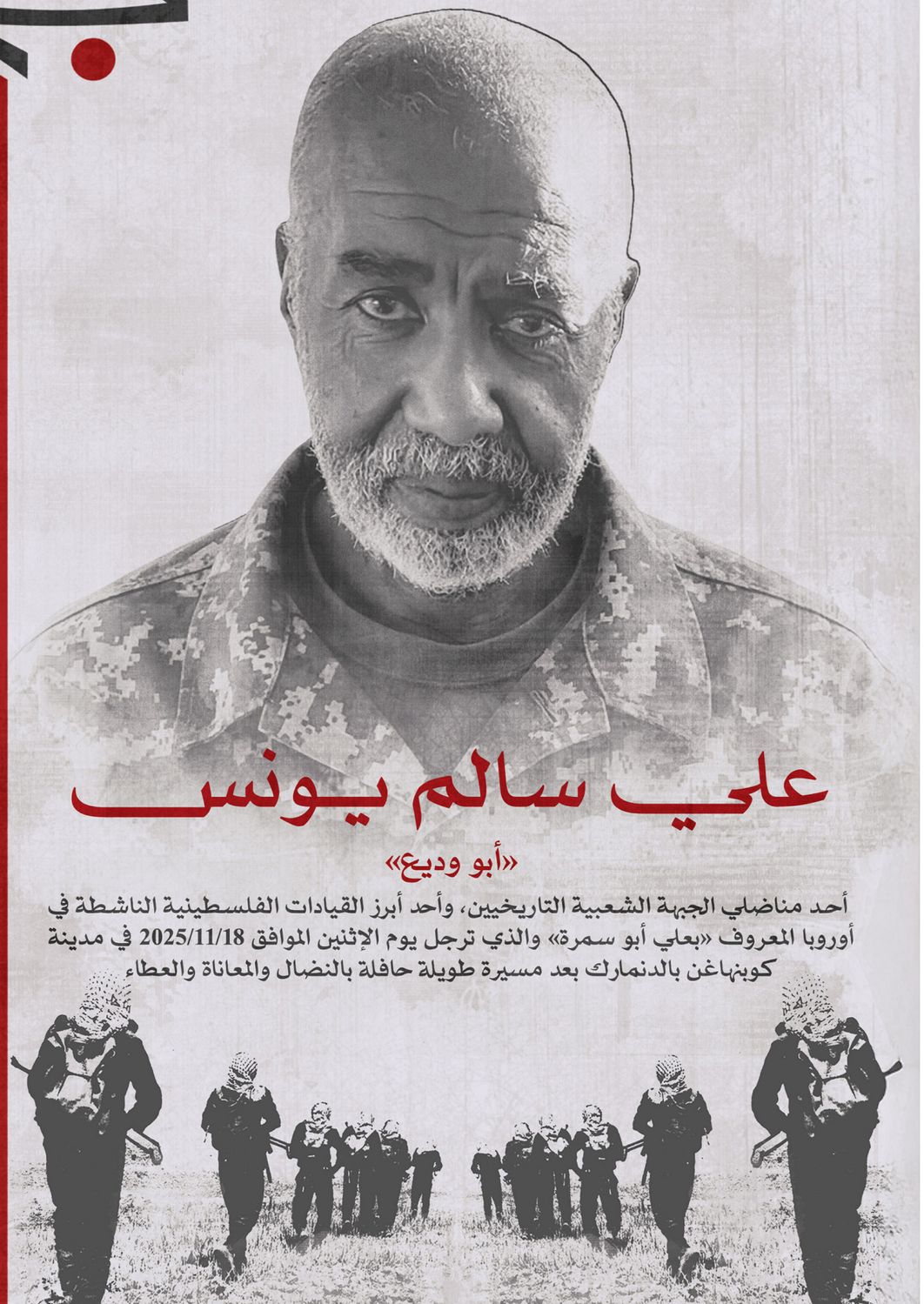

علي سالم يونس

«أبو وديع»

أحد مناضلي الجبهة الشعبية التاريخيين، وأحد أبرز القيادات الفلسطينية الناشطة في أوروبا المعروف «بعلي أبو سمرة» والذي ترجل يوم الإثنين الموافق 2025/11/18 في مدينة كوبنهاغن بالدنمارك بعد مسيرة طويلة حافلة بالنضال والمعاناة والعطاء

"إسرائيل" في غرفتي!

مروان عبد العال

التقيت به في الشركة، شاب من الفلبين، مثلي، جاء إلى الخليج العربي ليعمل ويعيش بسلام بعيداً عن وطنه. لم يعرف أحداً هنا، ولا يعرف شيئاً عن فلسطين، ولا عن التاريخ الذي يحمله اسمه بالصدفة: "إسرائيل". عند سماع الاسم شعرت برعشة غريبة، كأن صدى التاريخ يطرق أذني في لحظة واحدة. لم يكن هو القاتل، ولم يكن يحمل أي نية سيئة، بل مجرد شخص بريء لم يكن يعرف أن الاسم الذي يحمله يصطدم بتاريخ يلاحقني منذ طفولتي. داخلي تذكّر كل شيء: البيوت المهدّمة في غزة، الأطفال الذين سقطوا تحت الركام، القرى التي اقتُلعت، مخيمات يتم تدميرها، وأسرى يقتلون بدم بارد، أصبت بالحنق العميق على أن اسم شخص بريء يشبه اسم قاتلي.

ابتلعت دهشتي وحاولت أن أبتسم، كما أفعل مع الغرباء، لكن الاسم أثقل ابتسامتي وشل لساني. كيف أجامله بينما يختلط في رأسي كل ما يرمز إليه الاسم من ألم واغتصاب وتهجير وطمس للذاكرة؟ قلت له بهدوء: أنا فلسطيني، لم يكن في ذلك أي عداء شخصي، بل إعلان هوية، تذكير لنفسي بأن خلف هذا الاسم شعب يُقتل يومياً، وذاكرة تُغتصب، وأرض تُسلب، وأن القهر ليس مجرد حدث تاريخي بل واقع يفرض نفسه على حياتنا اليومية.

ثم جاء القرار الإداري ليزيد الأمر تعقيداً: سيُسكن في الغرفة نفسها التي أقيم فيها. حينها أدركت أن الاسم لن يبقى مجرد صوت عابر في مكتب العمل، بل سيصبح جزءاً من حياتي اليومية، يطرق غرفتي، يشارك لحظاتي، ويجعل كل حديث بسيط مع شخص بريء اختباراً للوعي والصبر، تداخلت المشاعر داخلي: غضب مكتوم، اشمئزاز، إحساس بالظلم وحرج شديد. لماذا يجب أن أشرح لكل من حولي أن اسماً ما يؤذيني؟ لماذا أحمل وحدي جرح التاريخ كله؟ شعرت أن المعركة ليست معه، بل مع الاسم ذاته، ومع من حوللوا اسمه إلى رمز للقهر، ومع العالم الذي يسمح لهذه المصادفات أن تثقل كاهل النفوس.

بدأت أفكر في الخيارات: أكتب رسالة للإدارة أطلب فيها نقل السكن؟ أبحث عن غرفة عند صديق أثق به؟ أستقيل؟ أم أتعلم أن أتعامل مع الاسم كحقيقة واقعة، وأن أقبل أن أشمئز داخلياً دون أن أظهر شيئاً؟ كتبت رسالة بلغة هادئة ومحترمة أشرح فيها أن خصوصيتي كفلسطيني تتطلب عدم مشاركتي السكن مع شخص يحمل هذا الاسم. لم تتفهم الإدارة الموقف، ولم تقدر على البعد النفسي والرمزي للموضوع. جاء الرد الصادم: "رفضك اقتسام الغرفة هو تدخل في سياسة الشركة وسبب كافٍ لاتخاذ إجراء صارم"، وكان ذلك في التاسع والعشرين من تشرين الثاني، يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني، شعرت بالصدمة لأن دفاعي عن كرامتي وهويتي الفلسطينية تحول إلى سبب للطرد.

خرجت من الشركة ذلك اليوم وأفكر في السؤال الذي يثقل كل خطوة: كم مرة سنصطدم بالاسم قبل أن يسقط المعنى؟ وكم من الدم والذاكرة والجرح سيُحتفظ به قبل أن يتحرر الاسم كما تتحرر الأرض؟ كم من تاريخ يمكن أن يعيش معنا في الغرف الصغيرة وفي لحظاتنا اليومية؟ في هذا اليوم أشعر أن الاسم لا يجرحني وحدي، إنه رمز لكل ما تعيشه فلسطين يومياً: الاحتلال الذي يسكن حياتنا، يقتلع الأرض، يمحو الذكريات، ويقتحم أصغر لحظاتنا، حتى في غرفة مزدوجة في بلد بعيد. وأنا، كفلسطيني، أحمل هذه الجراح، أعيش معها، وأتعلم أن أميز بين الجرح والبراءة، بين الاسم والشخص، بين الألم والتعاطف، في صراع داخلي لا يهدأ.

الصدفة قد تكون قاتلة، لكنها أيضاً مرآة تكشف كيف يمكن لتاريخ أن يعيش معنا في كل لحظة، وكيف يمكن لاسم أن يطرق غرفنا، يجلس في الصالون او غرفة النوم؟ يشاركنا العمل، ويستفز مشاعرنا دفعة واحدة. والآن، بينما أقف أمام الغرفة التي سأشاركها معه، يظل السؤال مفتوحاً ويثقل كل خطوة: كيف أسكن مع "إسرائيل"؟ كيف أنام، كيف أتنفس، كيف أنادي، وكيف أتعامل مع اسم يحمل كل هذا التاريخ والوجع في غرفتي الصغيرة؟

الهدف AL-HADAF